المستطرف

فى كلّ فنّ : مستظرف

تأليف

﴿ شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى المحلى ﴾

﴿ ٧٩٠ – ٨٥٠ هـ ﴾

ثمرات الاوراق فى المحاضرات

الجزء الثانى

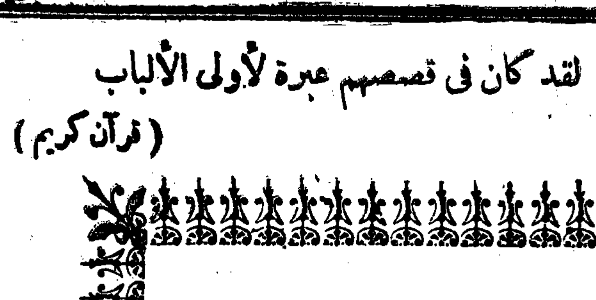
لتقى الدين أبى بكر بن على بن محمد بن حجة الحموى القادري الحنفى

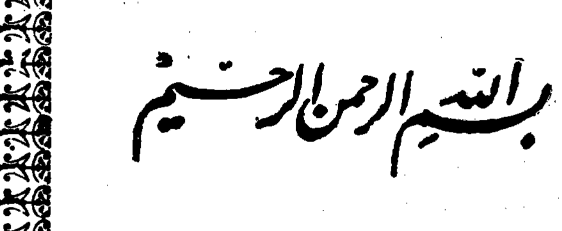
ويليه ذيلان

١ – لابن حجة الحموى ٢ – لمحمد بن ابراهيم الأحدب

الناشر
مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها . عبدالفتاح عبدالحميد مراد
شارع الصنادقية بجوار الأزهر - مصر

لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب
(قرآن كريم)





بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والأربعون

فى الهجاء ومقدماته

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الإنسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا ٭ قال المتوكل لأبى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا أو أساؤا ٭ وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم ٭ وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

إنى من القوم الذين همو همو ... قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا لذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله إنى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر ... بأول إنسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه ٭ ومن العبث بالهجو ماروى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما ... بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال :

تنحى فاجلسى عنا بعيدا ... أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام ٭ وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساق إلى حلقى فى

حرأمك

(بقية ثمرات الأوراق)

(قال الشافعى رضى الله عنه) وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز إلى أين عزمت فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج فى مكة بالامس فقيرا وتعود إليها مسترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وصار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث إلى يستحثنى على الفعل ويعدنى أنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما صار إلى منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شىء مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولنى أياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت أدفع إليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت إليها ودخلت إلى

حرأمك قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لم يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير إذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار إذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب تهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن يسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير إلف ... يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف ... يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشىء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال

داود محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش أنت له وذاك بمسجد ... كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك ياقبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله ... وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا ... وانت تعفى دائما ذلك الأثر

(وقال) المبرد فى حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة ... لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذيب آكله ... والذيب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضاً)

ياابا الفضل لاتنم وقع الذئب فى الغنم ... ان حماد عجرد شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة فى من الادم ... ان رأى ثم غفلة يجمع الميم بالقلم

فضاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لاهجونك هجاء يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى فقال أقول:

بنى أمية هبوا طال نومكموا ... أن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر إلى البصرة لينظر فى أمرها فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ماهذا وإذا به بشارا وهو سكران فقال له يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول: ان بشار بن برد ... تيس أعمى فى سفينة

فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فاخرجه إلى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا إلى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامه أنشد يقول:

لقد خاصمتنى دهاة الرجال ... وخاصمتها سنة وافيه ... فما ادحض الله لى حجة
ولاخيب الله لى قافيه ... ومن خفت جوره فى القضاء ... فلست أخافك ياعافيه

مكة فما بت تلك الليلة الامديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما كان دفع إلى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق فى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبدالله ابن عبدالحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسألنى المزنى إملاء ذلك بحضرته فلما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبي فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج إلى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنة الله من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى صلى الله عليه وسلم فانفتل النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى إلى أبى طالب عمه وقال ياعم ألا ترى مافعل بى فقال له أبو طالب من فعل بك

فقال عافية لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني قال أبو دلامة إذاً والله يعزلك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحد ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر إلى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فلست من الكرامة ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
إذا لبس العمامة قلت قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه (وقال) ابن الأعرابي إن أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد ابن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر إلى الايام كيف تسوقنا قسرا إلى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم:

أقول وقد عاينت دار بن صورة وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض هدمته كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافة قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسده بين الشمس ما طرني سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها مع ليلها ليست على عادتها
وبها من الجرذان ماقد قصرت عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسواها أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها حجامة ايدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ماراعني شيء سوى وزغاتها فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربها حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رحـ فينا حمانا الله لدغ حماتها
ة ولا حياة لمن رأى حياتها كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا
منسوجة بالعنكبوت سماؤها والأرض قد نسجت على آياتها

هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله ابن الزبعرى فأخذوا أبو طالب فرسا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تأمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك قد زعمتك ناصحي
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي

فضجيجها كالرعد فى جنباتها　وترابها كالرمل فى خشناتها　واليوم عاكفة على أرجائها
والدود يبحث فى ثرى عرصاتها　والجن نأتيها إذا جن الدجى　تحكى الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها　وجهنم تعزى إلى لفحاتها　شاهدت مكتوبا على أرجائها
ورأيت مسطوراً على جنباتها　لاتقربوا منها وخافوها ولا　تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبداً يقول الداخلون ببابها　يارب نج الناس من آفاتها　قالوا إذا اندب الغراب منازلا
يتفرق السكان من ساحاتها　وبدارنا الفا غراب ناعق　كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا امل الله يعقب راحة　للنفس إذا غلب على شهواتها　دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها　كم بت فيها مفردا والعين من　شوق الصباح تسبح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا　يارازقا للوحش فى فلواتها　أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى
أخراى هب لى الخلد فى جناتها　واجمع بمن أهواه شملى عاجلا　ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(ولبعضهم فى بلان) أشكو إلى الله بلانا بليت به　مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة　ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى به حد الشفار المرهفات هرى جسمى فألبسه نجيعا على حلل الستور السابلات ورام بلين أعضائى برفق فأيبسها وكسر فوقحاتى ولم أنظر له أبدا جميلا وذلك من عظيم المهلكات وأعمى مقلتى بصنان ابط يفوح به على كل الجهات فلا تجعل الهى مثل هذا يغسلنى إذا حانت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام)　وحمام دخلنا لامره　حكى سقراوفيها المجرمون
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا　فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أتجمل يانظام الملك أنى أعود من ذراك كما قدمت وأصدر عن حياضك وهى نهب بأفواه السقات وما ردت يدل على فعالك سوء حالى ويخبر عن نوالك ان كتمت

إذا استخبرت مانلت منه　وقد عم الورى كوما سكت

(وممن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف ومثلك إن قال قولا يفى فان أنت أنجزت لى ماوعدت والا هجيت وأدخلت فى وقد علم الناس مابعده فى فقط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده ويقول

أعد مدحى على وخذ سواه　فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب إذا أنشدت يوما　سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعدمدحا كذبت عليك فيه　وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكى ماأصدق فيك قولا　فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها　تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن الفارقون وجوههم　فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة　ولاوضعوا فى كف طفلالنا نقلا

طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا ه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لأقررت بها عينيك فأنزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن أسلامه واعتذر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

أنى لمعتذر اليك من الذى
أسديت إذ أنا فى الضلال مقيم
فاغفر فداؤك والدى كلاهما
وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب مانقله

(القرطبى فى الاعلام)

وقال آخر) إذا رمت هجوا فى فلان تصدنى خلائق قبح عنه لاتتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه بأقبح مايهجى به المرء يمدح
(وهجا بعضهم امرأة فقال)
لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها إذا ما رأيتها وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها إذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
إذاعاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسى ويصبح
(لبعضهم فى عظيم أنف)
لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن جعلوا نصفه على غير قبله
(وفيه أيضا) رأينا للزكى جدار أنف يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه فلولا عظمه لرأى الهلالا
(ولبعضهم فى أبخر مخنث)
قالوا فلان به نتن فقلت لهم ياقوم قد حار فكرى فى مساويه
ياقوم لاتعجبوا من نتن نكهته فالاير يدفع مافيه إلى فيه
(ولصفى الدين الحلى)
رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى بسقط اللوى بين الدخول فحومل
نقعقع من برد الشتاء أضالعى لما نسجتها من جنوب وشمأل
(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعبدا سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سين وهذا عاقل من غير لام
(وله فى الطبيب يدعى اسحق)
مباضع اسحق الطبيب كأنها لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لاتسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل
(وله فى أحمق طويل اللسان)
لو ان قوة وجهه فى قلبه قنص الاسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه أفنى الكنوز وأنفذ الأموالا
(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)
انى مدحتك من فساد قريحتى وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده يدنى إلى بيت الخلا فيضوع
وقيل) لبعضهم ماتقول فى فلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتقص سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر
هجوت زهيرا ثم انى مدحته وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

إن الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الأول فيماذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختاروا واحدا منهم وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان إذا أتى بلده يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى إلى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لايعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفه

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لوقطع زبك لم تبق وعلق زانية بالكوفة إلا عرفته (وقال) أبو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... ان الكلام طويلة الأعمار

وقال المتوكل لأبي العيناء ما بقي أحد في المجلس إلا هجاك وذمك غيري فقال

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والأربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الأول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والأجر العظيم (وقال) عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عن أقربه والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شيء حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق مناجاة لأربابه ... وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس احسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ماالسيف الصارم في يد الشجاع بأعزله من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد إلا من الساعي ويقال لوصدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والأرض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق ويقال الصدق بالحر أحرى وقال عتبة بن أبي سفيان إذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه فان الصواب إلى مخالفة الهوى وقال ارسطاطاليس والموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق عز وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرى إلا واحد فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعودة لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه وخطب بلال لأخيه امرأة قرشية فقال لأهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وأن تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فأنكحك

عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والأطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض وهذا شيء من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له أن بيني وبينك سرا وهو أن كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فأخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هي التي أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر وأخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأجله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت

الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقال رجل الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا أنه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه (الفصل الثانى من هذا الباب) فى الكذب وما جاء فيه قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله ﷺ اياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة * وعن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال راوى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لاينفكان من الكذاب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب إلى يوم القيامة * وقال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا أنى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبى الجنود)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيلة ... من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتى فيه قليله

(ويقال) فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول أن منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لأجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ماينالنى من نفعه * وقال فيلسوف من عرف نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البليـة ... بعض مايحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة ... من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبدالله بن السدى قالت قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لوحلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شىء حتى أنينه فى سقمه وحتى أن الصبى ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لاتفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لايكذب المرء الا من مهانته ... أوفعله السوء ومن قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبه المرء فى جد وفى لعب

(ولما نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل فعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال ياأمير المؤمنين اعلم انك لولم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لاتقول ياأبابحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال ياأبابحر انى لأعلم ان هذا شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له

الاحنف

المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برىء مما عليه وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج إلى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذين يرى الملك برأيه ثم أن العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لايخرجوا من ذلك الطعام وأن قتلهم الملك فلما علم الملك بماعزموا عليه قالوا الوزير ماشأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا ايها الوزير ان فى ذلك البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرفان برجل يبعث آخر الزمن يقال له محمد ووصفوه له قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء أن ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع

الاحنف ياهذا أمسك فان إذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد إذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق إذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا إذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء يكذب وقال يحيي ابن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كـذابا صار صادقا وكان عمرو بن معد يكرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معد يكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال * قيل ان بلال لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى برالوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانسان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكرلى ولوالديك إلى المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربيانى صغيرا * وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيئا فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل أن رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله ﷺ قال من حج عن والده بعد وفاته كتب لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله ﷺ إياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على إخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قاله سبع مرات قال حسبى ثم قال ياموسى ألا إن رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيي بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده إلى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة فى يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى اما بلغ منها الكبر انها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل أن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يتكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنه إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ماتسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا لانفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء أن يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس أن يبنوا اربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم واعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا فى ذلك المكان إلى أن يجيء زمان النبى صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه إلى عالمهم الكبير وامره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن أدركه وإلا فيوصى به أولاده مثل ما أصابه وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الكتاب * أما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شئ وبكل ماجاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام فان أدركتك فيها ونعمت والافاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب

(الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والأتقياء) قال رسول الله ﷺ الولد ريحانة من الجنة وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قلت لسيدي رسول الله ﷺ يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده أن الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي اليه ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله تعالى عنه اني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات من ثلاث شم الصبيان وملاقات الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن وقال لاتقل ياعمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو ياأمير المؤمنين انك حببتهن إلى وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية ولدت غلاما فالك حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على الف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف ياأمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وإن لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم سررا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية ياغلام إذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتي الف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال ياأبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا الاأحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت .

أرى قمري أفق وفرعين أشامة ... يزينهما عرق كريم ومحتد ... سليلي أمير المؤمنين وحائزي
مواريث ما أبقى النبي محمد ... يسدان أنفاق النفاق بشيمة ... يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت مارأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافه ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بها الإسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقدهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وسب اعرابي والده وذكر له حقه فقال ياأبتاه أن عظيم حقك على لايبطل الصغير حقي عليك قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى

أحب بنيتي ووددت أني ... دفنت بنيتي في قاع لحد

ونقش عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد) كتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميري ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل إلى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لاتزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أمر تبع برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف في ايصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي ﷺ في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله ﷺ ومابي

فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقى آبو ليلى (١١) متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك آثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ فأخذه النبى ﷺ ودفعه إلى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى ﷺ كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الاملا احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام (ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى) ما أورده مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ فى قول الله عز وجل إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه إلى آخر الآية إن أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما

ومابى ان تهون على مخافة أن تذوق الذل بعدى فان زوجتها رجلا فقيرا
أراها عنده والهم عندى وان زوجتها رجلا غنيا فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا ولو كانت أحب الناس عندى

(وقال هرون بن على بن يحيى المنجم)

ارى ابنى تشابه من على ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا فقد تسرى إلى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بنى سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك ولاسيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوى)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول)

أزهر من آل بنى عتيق مبارك من ولد الصديق ألذه كما ألذ ريقى

(وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد * أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

(وكان اعرابى يرقص ولده ويقول)

أحبه حب الشحيح ماله قد ذاق طعم الفقر ثم ناله اذا أراد بذله بدا له

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاماً فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى انقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية تغسل رأسى وتكون الغالية وترفع الساقط من خمارية
حتى إذا مابلغت ثمانية أزرتها بنقبة يمانية أنكحتها مروان أو معاوية
(أصهار صدق ومهور غالية)

قال فسمعها مروان فزوجها على مائة الف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لايكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم والله أعلم

(وما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق)

(قيل) نظر اعرابى الى ولده قبيح المنظر فقال له يابنى انا لسعه من زينة الحياة الدنيا * قال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت لاأقسم بهذا الولد ووالد بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون زراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يابنى وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يمشى مع أبيه إذا رجل يصيح بشاب ياعبدالله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيدالله فاى عبدالله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد إذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال ابن حمزة الاعرابى كلنا حاميز الله فأى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس يعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه وكان لمحمد بن بشير

رآه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال

الشاعر بن جسيم فأرسله فى حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال :

عقله عقل طائر   وهو فى خلقه الجمل

فأجابه

مشبها بك يا أبى   ليس لى عنك منتقل.

ونهى أعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال :

أمن شربة من ماء كرم شربتها   غضبت على الآن طابت لى الخمر

ساشرب فاسخط لارضيت كلاهما   حبيب إلى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر .

﴿ وما جاء فى صلة الرحم ﴾

قال رسول الله ﷺ صلة الرحم منها للوالدة مثراة للمال وقيل وجدحجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أى قطعته وقال رسول الله ﷺ أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الأحبار إنه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسيرك وأصرف عنك فى عسيرك وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب جلا وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب لاعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى إلى قول شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم كان أبو كبشة جد رسول الله ﷺ من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه قال نسبى الإسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ، ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الأقارب اعظام الاصغر الأكبر وحنو الاكبر على الأصغر قال رسول الله ﷺ حق كبيرة الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثروة   فامنح عشيرتك الادنى فضلها

واعلم بأنك لم تسود فيهم   حتى ترى دمث الخلائق سهلها

﴿ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم واحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والألوان والشياب وما أشبه ذلك ﴾

(الفصل

يارب زد فى عمره قال لا إلا أن تزيده من عمرك قال وماعمرى قال الف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قدوهبتها لابنك داود قال ماوهبت لأحد شيئاً فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة ه وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة أخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم (ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الأعلام للقرطبى) ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الأر   ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو   ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك إلى يوم القيامة (ومن غرائب التفسير مانقلته من الأعلام) ان فى قوله

(الفصل الأول فى الحسن ومحاسن الأخلاق) وإلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد ﷺ ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الأنف كأن عنقه أبريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعره يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كاون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعد وأحسنهم وأكلمهم من قريب كأنما منطقة خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

وأحسن منك لم تر قط عينى ... واجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ماحسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفىء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة مابال شفتيك مشققة فقالت ان التين إذا حلا تشقق والورد يتشقق إذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول مانظرت وجهى فى مرآة مع إنسان إلا رحمته من حسن وجهى إلا الوليد فكنت إذا نظرت إلى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر :

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت ... قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير ولو أن عزة حاكمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضى لها

(وما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق إلى القدم)

(ماقيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليتحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو وجه أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبى : نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... فى ليلة فأرت ليالى أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كى يصن به الجمالا

وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقال الصفدى: لولا شفاعة شعره فى صبه ... ماكان زار ولا أزال سقاما

العرب كانت اذا وجدت شجرة منفرده فى فلاة من الأرض لاشجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وما نال الاسلام من العز وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبه إلى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قول مشيرا إلى قريش فى خطابه إلى النبى صلى الله عليه وسلم والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسدهم التراب فينا (قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل فى) الروض الأنف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه

لكن تنازل فى الشفاعة عنده   فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ: نمى غصنا ومد عليه فرعا   كظلى حين أطلب منه وصلا

وبليـــله على الأرداف منه   فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر: أرخى ثلاثا يوم حمامه   ذوائبا تعبق منها الغوال

فقلت والقصد ذؤاباته   واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر: بدت ثريا قرطها وشعرها   متصل بكعبها كما ترى

ياعجبا لشعرها لما ابتدى   من الثريا فانتهى إلى الثرى

وقال ابن المعتز: توارت عن الواشى بليل ذوائب   لها من محيا واضح تحته فجر

يغطى عليها شعرها بظلامه   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل فى الاصداغ)

قال ابن المعتز: ريم يتيه بحسن صورته   عبث النعاس بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت   لما دنت من ورد جنته

وقال العادلى: وعهدى بالعقارب حين تشتو   تخفف لدغها ويقل ضرا

فما بال الشتاء أتى وهــذى   عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر: وما ضره نار بخديه تلتوى   وأمواج ورد فيه بخضريه تلعب

عناقيد صدغيه بخديه تلتوى   وأمواج ورد فيه بخضريه تلعب

شربت الهوى صرفا زلالا وإنما   لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر: حل القباولوى صدغيه فانعقدا   واحيرتى بين محلول ومعقود

وأسكرتنى ثناياه وريقته   هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة   انظر إلى تلك السوالف تعذر

حسنت وطاب نسيمها فكأنها   مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدوه والهوى معتكا استتارى   وساعدنى البكاء على اشتهارى

وكم أبصرت من حسن ولكن   عليك لشقوتى وقع اختيارى

ولم أخلع عذارا فيك الا   لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر): ومعذر رقت حواشى خده   فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضة السواد وإنما   نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر: ومهفهف راقت نضارة وجهه   والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله   فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر: أصبحت سلطان القلوب ملاحة   وجمال وجهك للبرية عسكر

طلعت طلائع وجنتيك مغيرة   بالنصر يقدمها اللواء الأخضر

وقال آخر: ياذا الذى خط العذار بخـــده   خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى أن لحظك صارم   حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر: من لا أرى كعبه الحسن التى حرست   بالنمل حيث مقام النحل فى فمه

لا شرفا إلا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيهما مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن فى صلة الرحم منسأة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد فلينظر

فلينظر النمل أضحى فوق عارضه يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

تحدث ليل عارضه بأني ســألوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادي حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكنني خلعت العذار على خده

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره فياحسن ريحان العذار حاميا

(وقال ابن نباتة) وبمهجتي رشأ يميس قوامه فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلي) لحديث نبت العارضين حلاوة وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرء قلت ترفقوا فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسورا بسهم لحاظه ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا ســيف العذار مجردا فخشيت يقتلني وذا من شأنه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتي وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسبقي واجل حديثك كله في الكاس

(ابن نباتة) وضعت ســلاح الصبر عنه فماله يغازل بالالحاظ من لايغازله
وسال عذار فوق خديه على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر في ذمه) قلت لأصحابي وقد مربي منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) ما زال ينتف ريحانا بعارضه حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طورسينا فوق عارضه طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) ما زال يحلف لي بكل ألية أن لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده فتعجبوا السواد دوجة الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن من طول جفوته
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر) غزاني الهوى في جيشه وجنوده وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها وميمنة تقضي بزج الحواجب

ثم هلك (ومن شهي المجتنى من ثمرات الأوراق) ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي متناشيا مثل القضيب الناعم
فكأن نور البدر سنة وجهه يمشي ويصعد من ذوائب هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله ﷺ فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وان الذي عمل الفراق بقلبها فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضي الله عنه إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى علي ابن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفي عنه (ومن مناقب الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في فتح بيت المقدس) ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير إلى قيسارية أو إلى بيت المقدس

فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير اكتب إلى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يامعاذ ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فاذافتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى ﷺ وصدقت أنت ياأباالحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى وأسلم على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشير نى إلى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدمه الجيش إلى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم

(وقال آخر) أيا قمر تبسم عن اقاح ... ويا غصنا يميل مع الرياح

جبينك والمقبل والثنايا ... صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان اقصده النعاس تلاعبت ... فى جفنه ســـنة وليسُ بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى ... سريع بكسر اللحظ والقلب جازع

فيجرح احشائى بعين مريضة ... كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولا تلم بدار بنى كليب ... ولا تقرب لها أبدا رجالا

ترى فيها بوارق مرهفات ... يكدن يكدن بالحق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألفاظ العيون كأنما ... هززن سيوفا واستللن خناجرا

تصدين لى يوما بمنعوج اللوى ... فغادرن قلبى بالتصبر غادرا

ســفرن بدوراً وانتقبن أهلة ... ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس تصرف طرفه ... نحو امرىء الا رماه بحتفه

قد قلت إذا أبصرته متمايلا ... والردف يجذب خصره من خلفه

يامن سلم خصره من ردفه ... سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هفان) أخو دنف رمته فاقصدته ... سهاما من جفونك لاتطيش

فواتك لا يقال سوى احورار ... بهن ولا سوى الاهداب ريش

أصبن فؤاد مهجته فأضحى ... سقيما لا يموت ولا يعيش

كشيئا ان ترحل عنه جيش ... من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى ... فصبوا عليه الماء من شدة النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة ... ولو أنصفوا قالوا به أعين الإنس

(وقال عز الدين الموصلى) لها عين لهاغزو وغزل ... مكحلة ولى عين تباكت

وحاكت فى فعائلها المواضى ... فيالك مقـلة غزلت وحاكت

(وقال برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى ... من لقتلى بين الانام استحلا

فأتى السيف والسنان وقالا ... حدثنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن ... حسد الأسمر المثقف قده

ذو جفون مذرهت منها كلاما ... كالمتنى سيوفهن بحده

(قال بدر الدين حبيب)

عيناه قد شهدت بأنى مخطىء ... وأتت بخط عذاره تذكارا

يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى ... فالخط زور والشهود سكارى

(وقال جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملالة ... منى وأن وداده تكليف

لكننى لم أنا عنه لأنه ... خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال

فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت القدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ماهذه الضجة التى أسمع قالوا ياأبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال أنا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد أن أشرف عليه وأنظر إلى صفته فان كان هو أجبته إلى ما يريدوان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلادنا هذه وجميع الأرض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل فنسلم اليكم وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يا مقلة الحب مهلا ❊ فقد اخذت بثارك ❊ وأنت ياوجنتيه ❊ لاتحرقيني بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلى من لواحظها سهام ❊ لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشك به فؤدا ❊ يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة ❊ خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها ❊ لاترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى ❊ فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم ❊ لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس ❊ مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى ❊ وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى ❊ عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما ❊ فنقطه بدينار وحبه

(ولابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده ❊ ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده ❊ وأسكن كل فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال خد الحبيب له ❊ فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ❊ وكان عهدى بان الخال لايرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله ❊ ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة ❊ علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال إذبدا ❊ فى نقا جيده السعيد ❊ فزت ياعبد قال لى ❊ أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أبيك) فى الجانب الايمن من خدها ❊ نقطة مسك اشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها ❊ وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كذا ❊ باللحظ تضنى وتسبى ❊ نصبت نقطة خال ❊ فصدت طائر لبى

(ومما قيل فى الخدود) ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا ❊ من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض ❊ وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات ❊ وتصافح الشفتين فى الخلوات
شىء أسر به وأعلم أنه ❊ وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصراف

بروحى من ولى قولى بمهجتى ❊ وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه ❊ وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذى يريدون فان كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك إلى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يامعشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذى تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا أبداً وإنما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر الخطاب بن

(وقال آخر) أنفقت كنزاً مدامعى فى ثغره وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة فقضى وراح تغزلى فى البارد
(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه وأحسن ماكان الرباط على ثغر
(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى ثلاث شامات غدت فى المنام
لاتعجبوا إن كثرت حوله فالمنهل العذب كثير الزحام
(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة قال ذو الرمة)
أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه زجاجة خمر طاب فيها مدامها
(وقال شهاب الدين الكردى)
ذكرت ريح حبيبى بشرب راح تعطر وليس ذا بعجيب فالشىء بالشىء يذكر
(غيره) رشفت ريقك حلواً ولم يكن لى صبر وسوف أحظى بوصل فأول الغيث قطر
(الصلاح الصفدى) نقل الأراك بان ثغر من قهوة مزجت بماء الكوثرا
قد صح مانقل الاراك لأنه يرويه نصاً عن صحاح الجوهرى
(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها ملاح أدلتها واضحة
فان قيل ما هى لى قل أقل هى الطعم واللون والرائحة
(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكاسه فسكرت فى الحالين من خرطومه
(وقال آخر) أريقا من رضا بك أم رحيقاً رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن جهلت بأن فى الأسماء ريقا
(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى
ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائى الدر حسناً ولافطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد بيوم ولم نشرب شراباً ولاخمرا
إذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها وان نطقت هاجت لألبابنا سكرا
(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح معرضاً فكأنه ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له در يساقطه إلى لسانه
(وما أحسن هذه الأبيات) وهى من طارف الشعر ووافره ونافقه وجيد الكلام وبارع الوصف
وكل حديث الناس الاحديثها رجيع وفيما حدثتك الطرائف
حاذرواوارتمت بهن الروادف جرحن بأعناق الظباء وأعين ال
رجحن بأرداف ثقال وأسوق جزال وأعضاء عليها المطارف
(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز
نضت عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها إلى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطراً وهمت على عجل إلى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى فليت الوصل كان له دلالا ترى من فوق حقويه قضيبا
اذا ما حركته خطاه مالا إذا كلمته أثرت فيه وان حركته فالخز سالا

(وقال بشار) وما ظفرت عينى عداة لقيتها بشىء سوء طرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس قوله)

نظرت إلى وجهه نظرة فأبصرت وجهى فى وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبى فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته ولم أر جسيا قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقال آخر) ولهيف قده كسى احرار وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لمظفر الأعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها فى الخد واقنع بها ما قارب الشىء له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى نيمنى قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة لو مات ماقبلته

(الشيخ عز الدين الموصلى) كالزرد المنظوم أصداغه وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه فلم أدر أيهما أنور سوى أن ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر وذاك يغيب وذا حاضر وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل مد خديه فوق عذاره عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر).

قبلت رجل حبيبى فازور واحمر خدا وقال تلثم رجلى لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا ولا تجاوزت حدا رجل سعت بك نحوى حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباته.

إنسية فى مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبى خبص) تصد من غير علة بالعز أضحت مذله كأنها حين تدنو
شمس عليها مظله وان أضاءت بليل تفوق نور الأهله.

البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الأمر على ماذكرتم فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة إلى الإمام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال ياأمير المؤمنين أن الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم مستخف فلا يلبثون إلا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نعم عندى غير هذا الرأى وأنا

(وقال آخر) قسم بالله وآياته ... ما نظرت عينى إلى مثله
ولا بدا وجهه طالعا ... الا سألت الله من فضله
(وقال آخر) أقيمى مكان البدران أفل البدر ... وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها ... وليس لها منك التبسم والثغر
(عمر بن أبى ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى ... فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم فى سوى هذا اختلف
(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده إلى المدح فقال)
لو أن اجماعنا فى فضل سودده ... فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان
(وقال آخر) يا مفردا فى الحسن والشكل ... من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نور ... والشمس من نورك تستملى
(وقال آخر) ففى أربع منى حلت منك أربع ... فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فى ... أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى
فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال
وفى خمسة منى حلت منك خمسة ... فريقك منها فى فى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى ... ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى
(ابن نباتة) ايها العاذل الغبى تأمل ... من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين (محمود المخزومى) ... ان فى الليل والنهار عجائب
رأيت فى الشمس المنيرة غضوة ... فكنت على عينى أبهى من الشمس
لأنك تزهوان بدا الليل بهجة ... وشمس الضحى ليست تضىء إذا تمسى
(وقال آخر).
إذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها ... وتكفيك البدر أن غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها ... ووالله مامن ريقها حسبك الخمر
(ومما قيل فى البنان المخضب) قال ابن الرومى.
وقفت وقفة بباب الطاق ... ظبية من مخدرات العراق ... بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق ... قلب من أنت ياغزال فقالت ... أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان ... قد صبغناه من دم العشاق
(وقال الراضى بالله)
قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها ... فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت أن بنانها من فضة ... قطمت بنور بنفسج عنابها
(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت ... عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر ... وجمعن بين بنفسج وشقائق
(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها ... مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى أهكذا ... يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت فى الحشى لاعج الجوى ... مقالة من بالود لم يتبرم

البرد والقتال وطول المقام وإن سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك فى مسيرك الأجر العظيم ولست آمن منهم انهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة على وقال لقد أحسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو وعلى أوحسن النظر للسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة على فما عرفناه الأمحموذ المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غراران فى احداهما سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال فى ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله

بكيت

وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ
الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشر رقعة بعضها من أدم قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواد ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم أنه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فأشرف رجل من المنتصر فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المنتصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر

بكيت دما يوم النوى فمسحته   بكفى فاحمرت بنانى من دمى
(وقال آخر) دنوت عشية التوديع منى   ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفونى   ولكن رمن تخضيب البنان
(ومما قيل فى النحور) قال دعبل
أتاح لك الهوى بياضا حسانا   تباهى بالعيون وبالنجوم
نظرت إلى النحور فكدت تقضى   فكيف إذا نظرت إلى الخصور
(ومما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الاحنف
والله لو أن القلوب كقلبها   ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب دانه   تفتاح صدر ما حوته ناهد
(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها   تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة   تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها   بقية طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابلية   وصدر به نهد بحق مفكك
(عمرو بن كلثوم) تراك إذا دخلت على خلاء   قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا   حصينا من أكف اللامسينا
(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما   ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها   فالناس فى الحل والركنان فى الحرم
(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج   ودر زانه حسن اتساق
تقول للناظرون إذ رأوه   أهذا الحلى من هذى الحقاق   وما تلك الحقاق سوى ثدى
جعلن من الحقاق على وفاق   نواهد لايعد لهن عيب   سوى منع المحب من العناق
(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا   ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود إذا التقينا   بسمر من أسنتها النهود
(ومما قيل فى الأرداف والخصور) قال ابن الرومى
وشربت كأس مدامة من كفها   مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها   عجبا ولكنى بكيت لخصرها
(الطنبغا المحاربى) ردفه زاد فى الثقالة حتى   أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا   فضعيفان يغلبان قويا
(وقال آخر) ياخصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل * ياردفه ملت عنى * ماأنت الابخيل
(القيراطى) بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى * فقلت يابدر هذا * حيا خيال لحينى
(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقدسرت   معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته   الى معصمى لما تعلق فى خصرى
(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده   بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده   وأرق من شكوى المتيم خصره
(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات   جواعل فى الثرى قضبا جدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد   وقدا بعد ذلك واعتدالا

وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذاك فخرج من قامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم هلا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو مني فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرق فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله ﷺ يخشى عليك من الانفراد بلاد عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم ... ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكة عن سواعد فضة ... فكانما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه ... أتزعم أن اللين عنـد ما ثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه ... ليقضى على من مال منا إلى الهوى

وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمة حتى كانه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبي قم ومل يا ❊ معذبى ... كميلة خود غير السكر حالهـا
ولا تله عن شيء إذا ما حكيتها ... فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه ❊ فى قتل ضب ما غوى ❊ فاعجب لعادل قده ❊ فى نفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عنى يميل ولم يمل ... يوما الى فضحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا ... فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى السارق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامـدا ... عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لاتعجبوا ان قام فيه قيامتى ... ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس ... كاؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى ... وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب ... ظبي لكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا ... فما لأعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة ... هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز ردينى تداوله ... أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر)

يمشين مشى قطا البطاح تأودا ... قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة ... يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل فى العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقـد ❊ وأهون السقم على العائد ❊ كأنى عانقت ريحانة تنفست فى ليلها البارد ❊ فلو ترانا فى قيص الدجى ❊ حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فصل وشاحه ... وأعرته من ساعد وشاحا
بات الغيور يشق جلده وجهه ... وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل ... والليل فى كل فج يد

ونحن ضجيعان فى مسجد فلله ماضمنا المسجد أيا غد ان كنت لى محسنا

فلا تدن من ليلتى ياغد ويا ليلة الوصل لاتقصرى كما ليلة الهجر لاتنفد

وقال آخر: أوليل رقيق الطرتين تظلت   كواكبه من بدره المتألق

لهونا بغزلان الصريمة تحته   تميت الهوى مابين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز: وكم عناق وكم قبل   مختلسات حذار مرتقب

نقل العصافير وهى خائفة   من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن)

ومعدولة مهما أمالت أزارها   فغصن وأما قدها فقضيب

لها القمر السارى شقيق وانها   لتطلع أحيانا له فيغيب

أقول لها والليل مرخ سدوله   وغصن الهوى غض النبات رطيب

لأنت المنى يازين كل مليحة   وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة   وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة   من الخمر فيما بيننا لم تشرب

وقال آخر: ياليل دم لى لا أريد براحا   حسبى بوجه معذبى مصباحا

حسبى به نورا وحسبى ريقه   خمرا وحسبى خده تفاحا

حسبى بمضحكه إذا استضحكته   مستغنيا عن كل نجم لاحا

طوقته طوق النهاد بساعد   وجعلت كفى للثام وشاحا

هذا هو اليوم النعيم فخلنا   متعانقين فلا نديم براحا

وقال آخر: ولم أنس ضمى للحبيب على رضا   ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل

ولا قوله لى عند تقبيل خده   تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا إلا محمد بن الحسن قال الشافعى:

لاأعشق الأبيض المنفوخ من سمن   لكننى أعشق السمر المهازيلا

انى امرؤ أركب المهر المضمر فى   يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الألوان والثياب)

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان ﷺ أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ماتقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم:

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم   لون الغوالى ولون المسك والعود

إنى امرؤ ليس بشأن البيض مرتفعا   عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم   فانى بسيط الكف والعرض ازهر

ان سواد اللون ليس بضائرى   إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

هم يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بغيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب رجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطبها محرابا وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ وذلك بعد أن كتب الإمام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية (ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق) مانقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى ﷺ ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخرة فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند

الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائنى) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضى الله عنهم حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا إليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون إليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتى لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على على باب داره فعرف العجوز وهى منكرة فبعث إليها غلامه منها

(دخل) إبراهيم بن المهدى على المأمون فقال إنك لتمم الخليفة الأسود فقال إبراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق ثم قال ياعم أخرجنا الهزل إلى الجد فأنشد إبراهيم

ليس يزرى السود بالرجل الشهـ ... ـم ولا الفتى إلا ريب الأديب
إن يكن للسواد فيك نصيب ... فبياض الأخلاق منك نصيبى

وقال آخر: لام العواذل فى سوداء فاحمة ... كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وماعموا ... انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

ويكون الخال فى خـد قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من ... يراها كلها فى الخـد خالا

وقال آخر: فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم ... إنى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى ... فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر: أشبهك المسك وأشبهته ... قائمة فى لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا ... ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم ... قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر: قالوا به صفرة شانت محاسنه ... فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل إن اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيبانى إلى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره وإذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة ... وآخر للحناء يبتدريان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد ... لأصبح فى حافاتها الحنان

(وقال إسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب ... كأنه والد يمشى بمولود
ماطول داود إلا طول لحيته ... يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد ... دكاكينهم إلا عليها الموالیا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم ... كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

(قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثر أسنانها فوزن السن

منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها إلى ابن مبارك فجعل يلقيها ويتعجب من عظمها ثم قال

إذا ماتذكرت أجسامهم تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم أن يباهي أهل الإسلام فبعث إلى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثديبه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس * سراويل قيس والوفود شهود * وكي لايقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد أحرزتها ثمود * وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرىء القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال :

لقد زعمت امرىء القيس إننى قصير وقد أعيا أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها تدل على الحق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه إلا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب إلى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدمه فدعه يذهب إلى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط إلا امرأة مرت بى إلى صائغ فقالت له اعمل لها صورة شيطان فقلت لاأدرى كيف أصوره فأتت بك إلى لأصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو العمى فى عين كل ملاحظ

ولو أن مرآة جلت تمثاله ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ماأراك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم ، وقال بعضهم لرجل طلع لى دمل فى اقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شىء وخرج رجل قبيح الوجه إلى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها من غلامه إلى الحسين رضى الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر رضى الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفى شاة وألفى دينار فقالى لها لو بدأت بى لاتبعتهما فى العطاء اعطوها عطيتها فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما أنه جرى بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب إلى أخيه الحسين ابن على بن أبى طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إلى فترضنى وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل التى أنت أولى به منى والسلام فلما قرأ الحسين رضى الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه (وقال أبو الفرج الاصفهانى

لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر) لك أنف أنوف أنفت منه الأنوف
أنت فى القدس تصلى وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا يا ثقيل للثقلاء أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء أنت فى الأرض ثقيل وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال ﷺ تعمموا تزدادوا جمالا وقال ﷺ العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله ﷺ وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم إلى النبى ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الطاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدرا بدا فى ظلمة الليل البهيم
والقيت السواد فقلت شمس محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا إلى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة إلا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها لا تنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر

وجارية أدبتها الشطاره ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت فى قميص لها أخضر كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس فأبدت جوابا لطيف العباره

هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس فأقبل على بن الحسين رضى الله عنهما وهو احسن الناس وجها وانظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم إجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الأمير قال أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه ياشامى قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلهم
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم
الاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
شققنا

شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه إياك أن تلبس ما يديم الملك نظره اليك بهواعلم أن الوشى لا يلبسه إلا الأحمق أوملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين من الديباج لتوسط بقائه * وقال بعض الأمراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البر وقيل كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعا إذا اتسخت فيلقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور وإذا قرب اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية وإذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها * وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شىء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الأعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال ياأمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها

(ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعى رأيت أعرابيا فاستنشدته فأنشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكنت سكنة ثم قال

أأخى ان الحادثا　　ت عركتنى عرك الاديم　　لا تنكرن أن قد رأيت
أخاك فى طمرى عديم　　ان كان أثوابى رثا　　ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله تعالى:

على ثياب لو تقاس جميعها　　بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها　　نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده　　إذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه　　وفى أثوابه أسد هصور　　ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير　　لقد عظم البعير بغير لب　　فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه　　ويحبسه على الخسف الجرير　　وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا عار عليه ولا نكير　　فان أك فى شراركمو قليلا　　فانى فى خياركمو كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

أن العيون رمتك إذ فاجأتها　　وعليك من سوء الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهيت　　وأجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والتطيب والطيب وما أشبه ذلك)

(ما جاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

فالدين من بيت هذا ناله الأمم ، وليس قولك من هذا بضائره ، فالعرب تعرف من أنكرت والعجم تحتجم هشام ثم أطلقه فوجه اليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له على بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالى جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثنى أبى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية فى موكب نبيل فأعرض عمر فجعل يمشى إلى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فأقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لأنا فى بلاد لا تمنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان امرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه

(ومن لطائف معاوية) أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا

كف الرسالة لبس يخفى حسنها   وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله ﷺ كان يختتم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى ايام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ تختموا بالخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك و بلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب عليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق و نقشه نعم القادر الله وكان لأبى نواس خاتما أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه اشهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنه ما افترقت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للبال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ماجاء فى الحلى) قيل إن قرطى مارية بنت ظالم بن وهب الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنها فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى ﷺ وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ماجاء فى الطيب والتطيب) قال رسول الله ﷺ أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم * وعن سهل بن سعد رفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله ﷺ فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلب العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب   لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول :

أطيب الطيب عرف أم أبان   فار مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلى جنده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك * وعنه وعن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين احرم والغالية على صدغيه كأنها ازقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لى لكان رأس مالى وقيل لابنى عمار بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بفاطمة

فى أرض عبدالله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ما ساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه اصفر وجهه فقال يا بنى إذا رميت بهذ الدواء داره بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية إلى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما

بنت عبدالملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد فى العقل وقال على كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو فى العام مرة فإن فى قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس وكان الشعبي يقول إذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف فى طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة إلا بالطيب الطاهر ﷺ وما أحسن ما قيل

إذا لم أطب فى طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فإذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد ان كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها وحكى أن العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شىء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان إلا فصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون بما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت أناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود * وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة إنما هو شىء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلى وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه ان تطبع فيه نقش الخاتم فإن انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه ان رائحته الطبع فى الثوب أسبوعا فلا يقمل مادمت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فإذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل جرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب إنى صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمنى ... والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس الثياب الموردة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الأورام وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابى فخرجت من الأمير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الأحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنى من ريح مسك شممته من الناس الأريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والأربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الأول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتى العلم إلا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى وإذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله

بمجلسك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخير إلى الخليفة فردهم إلى القاضى ليعرف أحوالهم فألقى القاضى على أبى الحسن الثورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فأرسل إلى الخليفة يقول إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فأكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى داود القاضى) أنه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فأدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقد رآه يمشى إلى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال أما إذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسن وتصدق الأفئدة وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الأليق بشيمتك الطاهرة ثم أنشد

تعالى عنه قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جميع الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر :

أحلى الرجال مع النساء مواقعا   من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده كما قال رسول الله ﷺ جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر أن الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان إلى النبي ﷺ شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ انه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إلي اني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يارسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه سيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الإنس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام ياأطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام في وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز ابن مروان من لم يتعظ بثلاث لم يتنه بشيء الإسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

ياعامر الدنيا على شيبه   فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه   وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للصبا   وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه   ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف في بياض اللحية)

تكونني هم لبيضاء نابته   لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب أني إذا رمت قصها   قصصت سواها وهي تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغواني   بمنزلة شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل   والشيب يغمزها بأن لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بني إن أطلتها بغير ثمن ، ومن رحل

رأى مرء عما قضى الله يفلت

ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة .
وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وما جزعي من أن أموت وانني
لأعلم أن الموت شيء موقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا

وإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم

(ومن لطائف المنقول من المستجاد) إنه كان بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها

الخط بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك أني أكره منك مثل ما تكره مني فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأيت الغواني الشيب لاح بمفرقي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر: سألتها قبلة يوما وقد نظرت ... شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت ونولت وهي قائلة ... لا والذي أوجد الأشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من أرب ... أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال آخر: قالت أرى مسك الشعر البهيم غدت ... كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في ... معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا ... المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر: قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها ... تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال ابن نباته: تبسم الشيب بوجه الفتى ... يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه ... من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز: فما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأيت وضحا في الرأس من قراعها ... فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع ... فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل إذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

إذا نازع الشيب الشباب فاصلتا ... بسيفيهما فالشيب لا شك غالب

وقال آخر: ألا ان شيب العبد من نقرة القفا ... وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبي: قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع: كبرت ودق العظم مني وعقني ... بني وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الأرض بالعصا ... يقودني بين البيوت الولائد

وقال آخر: عريت من الشباب وكنت غصنا ... كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب: وكم كان من عين علي وحافظ ... كم كان كامن واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم ... ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شبهت الشباب إلا كشيء كان في كمي فسقط قال الشاعر

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

وقال الحافظ: أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فإن أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤدي بالمال أو يتلف فانصرف علي ابن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني وبينه من المداوة فقال نعم فإن الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري له حرمة توجب بلوغ مارجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يرده على ذلك شيأ فنهض علي بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر إلى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين أن لعلي ابن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعده بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فإن رأى

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله ﷺ عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبي عامر الأنصاري رضى الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس إلى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع إلى مكة اختضب فقالت امرأة نبيلة ماأحسن هذا لودام فقال

لودام لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

وقيل آخر: ياخاضب الشيب الذى * في كل ثالثة يعود
إن الخضاب إذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد * فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق: فامنك الشباب ولست منه * إذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث في العافية والصحة) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اليك انتهت الأماني ياصاحب العافية وعنه ﷺ أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه تعالى عنه في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والأبصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله العفو والعافيه وقال قبيصة بن ذويب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة في مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومي

إذا ماكساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم إن كان شيء فوق الحياة فالصحة وان كان شيء مثل الحياة فالغنى وان كان شيء فوق الموت فالمرض وإن كان شيء مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبي معي إلى البيوت التي فيها أنواع النعم والخصب فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيألها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا الاوان العافية والفقر أحب إلى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت إلى البرية * وكان عند رومي خنزير فربطه إلى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف مايتناثر فقال لأمه يا أماه ما أطيب هذا العلف لودام فقالت له يابنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه وجعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى إلى

أمه

أمير المؤمنين أن يخبرني على حسن كرمه بعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من إحسانه ولم يزل يتلطف إلى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون إلى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع مارآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على ابن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وارسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ماشفعت عند أمير المؤمنين إلا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما رده كاتبه إلى على بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر (ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يابني ليس لي مال فأوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فأما أولاد

أمة وأخرج لها أسنانه وقال ويحك ياأماه أنظرى هل بقى فى خلال أسنانى شىء من ذلك العلف فأقعليه فما أحسن القنع مع السلامه والله أعلم بالصواب .

(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والإسلام) قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الإسلام إذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وأنه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وسنين فى الإسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوما فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى أن آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنه وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه أدريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلح تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبدالله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائه سنة وكانت العرب لاتعد من الاعمار إلا مابلغ مائة وعشرون سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الإسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الإسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الإسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى ابن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاش مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العدوى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمر بن معد يكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أره من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ من دفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يرن إبليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والأرض ورنة حين ولد محمد ﷺ ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله ﷺ لايرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وأن امتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الأمم ما اثقل موازين امة محمد فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة اسماء من اسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء

عمر بن عبد العزيز فما رؤى احد منهم الا وهو غنى ومنهم واحد جهز من ماله مائه الف فارس على مائة الف فرس فى سبيل الله تعالى وما روى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية ابن ابى سفيان إن بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى اعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد ابن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال اخبرنى بأعجب مارأيت فى عمرك قال نعم ياامير المؤمنين كنت فى حى من احياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم استطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الابيات

ياقلب إنك من أسماء مغرور
فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير .
قد بحت بالحب مانخفيه من أحد .
حتى جرت لك اطلاقا محاضير .
فلست تدرى ولاتدرى أعاجلها .
ادنى لرشدك ام مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العسر إذا دارت مياسير

وبينما المرء فى الأحياء مغتبط إذا هو الرمس تعفوه الاعاصير يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور . وذاك آخر عهد من أخيك إذا . ما المرء ضمنه اللحد الخناسير . فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناى ينسكبان إذ قال لى رجل إلى جنبى من عذرة ياعبدالله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذى دفناه وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه ولا نعلم أنه قائل هذه الأبيات وذو قرابته الذى ذكرته مسرور هو ذاك وأشار إلى رجل فى الجماعة فرأيته لايستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية ياأخا جرهم سل ماشئت قال ما مضى من عمرى ترده والأجل إذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لى سل غيره قال ياأمير المؤمنين ليس اليك ردشبابى ولا الآخرة فتكرم مآبى والمآل فقد أخذت منه فى عنفوانى ما كفانى قال لابد أن تسألنى قال اما اذ شئت فأمر لى برغفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم إنك مفارق ما أنت فيه وقادم على ماقدمت فأمر له معاوية

(وأما الاسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لا نعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يافقيه ياأخى يافقير ياسيدى ياصاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شىء أن أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل ياأمير المؤمنين قال أسألك عن شىء له اسم ولا كنية له وعن شىء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لأنه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الإسلام وقيل لأنه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقيل أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله ﷺ يقول ياأبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف ٭ ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ٭ ذو الرياستين الفضل بن سهل لأنه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه هدايا فقال :

اليوم يوم المهرجان هديتى فيه اللسان لك دولتان حديثة وقديمة ورياستان
لك فى الورى من هاشم بنت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ ـت فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا ٭ المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوف ثم تحالفوا ٭ شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه ٭ يضىء فى ظلام الليل كالقمر البدر وقيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبد لى ٭ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبدالله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لأنه أول من صدق رسول الله ﷺ ٭ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لأنه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الإسلام وفرق بين الحق والباطل ٭ الكامل سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم ٭ طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه ٭ رشح الحجر وأبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره ٭ عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه ٭ الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر ٭ الاشدق عمرو بن سعيد لأنه كان مائل الشدق ٭ الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه ٭ المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة ٭ راح يكذب لقب به المهلب لأنه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب وأصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان تسمع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزال

﴿ سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني ﴿ أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني ﴿ اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه . ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لأحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه ... ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال أباخالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن يعرف الا بذلك كالاعمش والأعمى والأعرج والأحول والأفطس والأقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا ﴿ الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامن على وجاء أن يعيش فيولد له وقد يتكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله ﷺ في علي رضي الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله ﷺ وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب اسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء ابنائهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبدالله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول ﷺ فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير مافعل النغير . ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لاأدري فقال:

تسميت لاأدري فانك لاتدري ... بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه مامن قوم كان بينهم مشورة فحضر معه من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه في مشورتهم الاكان خيرا لهم ومامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء في مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم في مليح اسمه ابراهيم

باهيأه من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودع وانصرف (قيل) وفد عبدالله بن جعفر رضي الله عنه على احد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني اباه قال كان رحمه الله يعطيني الف الف درهم قال زدناك لترحمك عليه الف الف درهم قال بأبي انت وأمي قال وبهذه الف الف قال لااقولها لاحد بعدك قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه الف الف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على أهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لايشعر فلما قدم المدينة فرق جميع مامعه حتى احتاج بعد شهر الى القرض) ومن لطائف المنقول) ان رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى الف الف واكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين سنا عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال ياهذا ماسنك قال عظم قال أبن لي ابن كم انت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) وعرض

رأيت حبيبي في المنام معانقي   وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة   وماضر إبراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة   وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى في البقاع بأسرها   هذا المقام وأنت إبراهيم

(وفيه أيضا) سمى الخليل ان فؤادى   فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيبا قائلى ان قلبي   فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم في مليح اسمه عمر)

ياأعدل الناس أسما كم تجور على   فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر   وأبدلوها بعين خيفة للعين

(وفيه أيضا) ماعليهم في الهوى لونظروا   حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا   أخطؤا ما أنت إلا قمر

(ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافي بشمعة وضاؤها   وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ماالاسم يا كل المنى   فأجابني عثمان ذو النورين

(ولبعضهم في مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء نمل عذاره   النجم يشهد لى بأنى هدهد
صيرت قلبي من صدورك فاطرا   فامنن على بزورة يايوسف

(وللصفى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبي من حديد   وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب   اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خد   حرته صوارم الحدق المراض
آية ذا بياض في سواد   وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى   كليم الله في الحقب المواضى

(وللقرطبي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما أن فاق في حسنه ونما   وأجمع الناس إذ رأوه بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الأنام أمامنا الحبر الذى   سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه   والعلم تشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من أخوته بقضاء ماتوجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة   وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها   ولا خير في الدنيا بغير خليل

(وقال آخر في مقبل)

يامن تحجب عن محب صادق   مازال عنه كل يوم يسال

محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين الف درهم فلما حضروا ليشتروا وقال بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص قالوا له والجوار يباع قال وكيف لايباع جوار من إن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة الف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فدخل بثلاثة أقراص فأتى كلب فدنا منه رمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبدالله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت الكلب قال لأن أرضنا ماهى بأرض كلاب وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبدالله بن جعفر الأمر منهى على السخاء والله ان هذا لأسخى مني فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له) ومن لطائف المنقول إنه رفع الرشيد موت العباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلى المعروف بالنديم وعشيمة لخارة في يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول إبراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا ابن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ

زمن

من لى بيوم فيه تسمح بالقا ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم فى مليح اسمه محسن)

وأهيفه يعلو على عشاقه برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن وكم دموع فى الهوى أسالها

(ولصفى الدين الحلى فى اسم حسين)

حبيبى وافر والشوق منى طويل والهوى عندى مديد
وأعجب اننى أهوى حسينا وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل لمرتجى الوصل لها فاطمة
تنكر ما القاه من وجدها وهى بشوقى والجوى عالمة

(قال ابن مكانس فى اسم عائشة)

يادهر خبرنى بحقك واشفنى فسهام فكرى فى أمورك طائشة
أيحل أنى فى المحبة ميت وحبيبى من بعد موتى عائشة

(وقال شمس الدين البديرى فى اسم حليمة)

ولما رأتنى فى هواها متيما أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ومن أين تدرى الجور وهى حليمة

(ولبعضهم فى اسم بركة دو بيت)

لما نصب الهوى لقلبى شركه ناديت وقلبى تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل لشركه تفنيك سنين ساعة من بركة

(مرذوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبى شركه فى كل طريق
ناديت وقلبى تارك من تركه لوكان يفيق يا قلب أفق ولا تمل لشركه
ما الشرك يليق تفنيك سنين ساعة من بركه عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت إلى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الأثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الأخلاق أن الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشانى ولا أكن على الأهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن لا هرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى وقيل إذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الأرض عمرى لعله يسر صديق أو يغاظ حسود

حضر فقال بقوله وسعى بها قوم وقالوا انها لهى التى تشقى بها وتكابد فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم انى ليعجبنى المحب الجاحد ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياأمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ماحكاه صاحب الاغانى) حكى أن رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر هذا القاضى هل تعرف قال له قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك إلا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غضضن من أبصارهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لايرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لأنها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

وقال رسول الله ﷺ عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار فى غير رفقة وقال ابن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقه فقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال ﷺ إذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمان ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

همننا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشىء ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان

(قال الفرزدق) وفى الأرض عن دار القلى متحول وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هى إلا بلدة مثل بلدتى خيارهما ما كان عونا على دهر

(وقال آخر) وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدفع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ففى الأرض أحباب وفيها منازل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرىء القيس أنه مضل ومن ذا يهتدى بمضلل

(وقال عبد الله الحمدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة أجد عنك فى الأرض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ماكان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لايرى مظعن أحبابه ثم انشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق ٭ بساقيه من ماء الحديد كبول ٭ قليل الموالى مسلم بجزيرة له بعد نومات العيون الليل ٭ يقول له الحداد أنت معذب ٭ غداة غد أو مسلم فقتيل

باكبر منى لوعة يوم راعنى فراق حبيب ما اليه سبيل

(وقال الشاعر) وماأم خشف طويل يوم وليلة بيلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى إلى أين تبتغى ٭ مولهة حزنا العفافيا ٭ أضربها حر الهجير فلم تجد لعلتها من بارد الماء شافيا ٭ إذا بعدت عن خشفها انعطفت له ٭ فالفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم ونادى منادى البين أن لاتلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا قد كنت أحذر هذا قبل ان يقعا ما كان والله شؤم الدهر يتركنى حتى يجرعنى من بعدهم جرعا . ان الزمان رأى الف السرور لنا . فدب بالبين فيم بيننا يسعى

فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا فلا زيادة شىء فوق ماصنعا

وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حسنك فارس
بالسبق فيك إلى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله إن سألوك عنى قل
عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بذا وأنا الذى سوقته
(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (فان الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعلمه مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو أن لايحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى صحون فلما أحضر فقال

فقال والله لأعيننك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد … ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الأظعان من نفسى … ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أتى الرحيل لحين جد ترحلت … مهج النفوس له عن الأجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه … لم يدر كيف تفتت الأكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا إلى دير هرقل فنظرنا إلى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال المثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم إلا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو … وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها … يرنو إلى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم … ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
يا حادى العيس عرج كى أودعهم … ياحادى العيس فى ترحالك الأجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم … ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى

(وقال آخر) لما علمت بأن القوم قد رحلوا … وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له … ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى … وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم … بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى .

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا … إلا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة … تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
إذا تمشت على صرح الزجاج ترى … شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة … ترى عليها من الأنوار ناموسا
وحشية ماألها أنس قد اتخذت … فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم … قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت إذ رحلوا للبين ناقتها … ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم … على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو … والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا … وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها … وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودعت … وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر … يسير ويدرى ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها … فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت إلهى كن عليه خليفة … فيارب ما خابت لديك الودائع

بعد ذلك تفرق منه وقال كيف يؤكل وقد مسسته بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه إلا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما افرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وتورعه بالجمال وعف وصبر إلى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرىء الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرىء إلا الأحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العلم التى … بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة … غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة … الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة وقيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق

ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمر النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه .

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا إلى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أبلاه
ياويحه من عاشق مايلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذات إلى أن كاد يفنى عاشقا
وعن دقيق الفكر سهادا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكى
منهله قطر السماء تحكى
إلى غزال من النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الأسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم بهأى هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولايخشى القود
متى نقل هاقالت الألحاظ قد
كأنه ناسوته حين اتحد
ياليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف سارا
حتى إذا الليل طوى النهار صرت له حينئذ ازارا

(وقال آخر) يا راحلا وجميل الصبر يتبعه ... هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية ... ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(وقال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه ... والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى لقد ضعفت ... قواه عن حمل مافيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى ... من شقت شمل اهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى ... غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال ابن البديرى)

قفا حاديا ليلى فانى وامق ... ولا تعجلا يوما على من يفارق ... وزما مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق ... ولا تزجرا بالسوق أظعان عيسها ... فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا ... ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع البين يحجب بيننا ... تسارقنى فى نظرة اسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا ... ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

(وقال آخر) تذكرت ليلى حين شط مزارها ... وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا ... وسمر العوالى للمنايا تشرع ... وخالفت لوامى عليها وعدلى
وحالفت سهدى والخليون هجع ... ولم أستطع يوم النوى رد عبرة ... فؤادى أسى من حرها يتقطع
فقال خليلى إذ رأى الدمع دائما ... يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة ... على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت إلى التوديع كفا ضعيفة ... وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ... ولا كان ذا التوديع آخر زادى

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية ... وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة ... كأنى سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى)

ياسادة فى سويد القلب مسكنهم ... وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو ... يا من يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لو أن مالك مالم بذرى الهوى ... وبحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق إلا بالهوى ... وإذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردى)

دهر تد أضحى ضنينا . باللقا حتى ضنينا ... ياليالى الوصل عودى إجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضى)

عللانى بذكرهم واسقيانى ... وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى ... قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم ... نعم واشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو ... أنى أعذبه بالدمع والسهر

(قال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا ... وعقولنا وجفا الجفون منام

والطيف قد وعد الجفون بزوره ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل فى البكاء) قال الشاعر

وجرت طيف خياله وكيف لى بهجوع والذاريات جفونى والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما أخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر)

خاض العواذل فى حديث مدامعى لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكموا حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز)

رحت يوم الفراق أجرى دموعى حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم إذا تجرى دموعك تمى أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مداعى من بعده وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلى غار من طول ليله عليه كأن الليل بعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف إذا ماتت خبيئته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفرق الاحبه

(ومما جاء فى الحنين إلى الوطن) أما محبة الوطن فستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبى ﷺ فقال ياأبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها توافة وإلى مسقط رأسها مشتاقة ومن حب الوطن) ماحكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى إلى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل متته فى تابوت من ذهب إلى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من

يا عمر بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
يوما مقداره ماتقصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى إذا مانام كل هاجع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس

تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة إذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ماقال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة ... وقد يؤلف الشىء الذى ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التى لاهواء بها ... ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبدالله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الإسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام

(ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر ... يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ماالغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان * ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد أعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى ... وذرى الشهور فانهن قصار
فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا ... وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن لهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه ﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر راس كل بلاء وداعية إلى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لاخير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى إذا وقيت الأواقى ... بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئا أمر من الفقر فان افتقرت فلاتحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال الزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد

بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشمون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر
وعيد مزمارى الرفيع الذكر
وعيد شهياء وبالهيا كل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بهامن خبل كل خابل
ومن دخل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العناد
قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنى عشرة من الأمم
ساروا إلى الاقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
بحق سافى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخيرى ذى نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كا غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تقدستك فى الأعياد
وشربك القهوة كل صاد
بما يمينك من السواد
بطوى تقطيعك للاكباد

خطاؤه صواب وسيئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب وان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل مايلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني بعدما مات مرحب
(وقال آخر) المال يرفع سقفا لاعماد له ... والفقر يهدم بيت العز والشرف
(وقال آخر) جروح الليالي مالهن طبيب ... وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره ... تحقه الأقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها ... يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال اخطأت جاهل ... اذا قال كل الناس انت مصيب
(وقال آخر) الفقر يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد يسود غير السيد المال
(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
(وقال آخر) إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان على الادنى فكيف الأباعد
(وقال ابن الاحنف) يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة ... خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا ... نبحت عليه وكشرت أنيابها
(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه ... إذا بلي بالفقر إلا غريب
(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا
(وقال آخر) ما الناس الامع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

(قال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة ... فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا
(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ... حجر يلين قوة الأحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن احتاج إلى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى ... ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطا ... فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة ... ترى عزيز القوم فيها ذليل

شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم لم ينطقا قط بغير الفهم موتهما كان حياة الخصم بحرمة الاسقف والمطران والجاثليق العالم الرباني والقس والشماس والديراني والبطرق الاكبر والرهبان بحرمة المحبوس في أعلى الجبل ومار قولا حين صلى وابتهل وبالكنيسات القديمات الاول وبالمسيح المرتضى ومافعل بحرمة الاسقوفيا والبيرم وما حوى مغفر رأس مريم بحرمة الصوم الكبير الاعظم بحق كل بركة وحرم بحق يوم الذبح في الإشراق وليلة الميلاد والتلاق والذهب الى بريز لا الاوراق بالفصح يامذهب الأخلاق بكل قداس على قداس قدسه القس مع الشماس وقربوا يوم خميس الناس وقدموا الكاس لكل حاس الا رغبت في رضا أديب باعده الحب عن الحبيب فذاب من شوق إلى المذيب أغلى مناه أيسر التقريب أنظر أميري في صلاح أمري محتسبا في عظيم الأجر مكتسبا في عظيم الأجر مكتسبا من جميل الشكر من نثر ألفاظ ونظم شعر (قلت والشيء بالشيء يذكر) الشيخ مدرك ألجأته

(وأما ماجاء فى الاحتراز على الأموال)

فقد قالوا ينبغى لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمخترقين الموهمين والمتمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام إلى أن يأنسوابهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدموا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال أنه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك و نصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الأوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابا نوفان روعى صاحب المال ووفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفى مافيها الا فى الآخرة وان هولم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه وراطأ عليه البائعين والمشترين حصل لنفسه وعمل مايقول به فان حل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك انهم يوهمون الغر أنهم ينيلونه خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم الا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن مايلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فنهم من يكون شوقه إلى أن يدخل إلى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فتأخذها وينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لاينتهى إلى مدة فيقنع فى تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك أن كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول الذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأن سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا . ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافيهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوم أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين دعتهم الطمعة فى قماشه أى العدة التى معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم إذا ندب صاحب المال أحداً منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها او وزنها اوذرعها ووضع من أصل ثمنها شيئا وزنه عنده حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وامانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يظهر الحال الأول فى الباطن فينبغى لصاحب المال ان لاينفك عنه (واما المخترقون

الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهى أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر إلى بغداد بسبب مع الشريف الوسوى نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذى سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر إلى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب إلى الشريف وإلى تتر

عذبت طرفى بالسهر ❊ وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو مودتى ❊ من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنا ❊ وكحلت جفنى بالسهر
وجفوت صبا ماله ❊ عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا ❊ دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالأغن ❊ من الظباء وبالأغر
ريم يفوق ان رما ❊ ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها ❊ من بأسهن على خطر
وزمت فاصمت عن قسى ❊ ى لاينال بها وتر
جرحتك جرحا لايخيـ ❊ ـط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو ❊ ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج ❊ وكأنهن لها أكر
تعنى الهوى وتصره ❊ وخفى سرك قد ظهر

الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الأموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الأصدقاء . ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه ربح الأرباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى إذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى أنه مثل البازى إن أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيئا واحتجب إلى أن تطعمه وإلا مات وأنا والله لو كان عندى علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان إلا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة إلى ان يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع إذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهو أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الأموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويعدون إلى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه بأحد من الاولاد يظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما إلى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا والاقوال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك إن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر :

صلى وصام لامر كان أمله حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير للفقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر .

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة يكرمك للمال وقال بعض الحكماء إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن كان ظنه حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه ومامن خلة هى للغنى مدح الاوهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا أن كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له النعم والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه حتى كأن مات الا أنه صنم لما رأيت أخلائى وخالصتى والكل مستتر عنى وحشمهم أبدوا احتفاء وأعراضا فقلت لهم اذنبت ذنبا فقالوا ذلك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا إلى بلاد الكفار وضمنه امورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى إلى ان وصل الكتاب إلى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان فى الدرج قرأ الخليفة الكتاب امر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى إلى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده واصبح يوم العيد لم يأت احد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى اثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر

رشأ تحاوله الخلوا
طران تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ
ه فحين عاينه عذر
قمر بزين ضوء صـ
ـبح جبينه ليل الشعر
تدمى للواحظ خده
فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسانا سفر
ويلاه ماأحلاه فى ه
قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده
وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى به وطا
ف ولبى واعتمر
لان الشريف الموسوى
ابن الشريف أبى مضر
أيدى الجحود ولم يرد
إلى مملوكى تتر
والبيت آل أمية الـ
طهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر
وعدلت عنه إلى عمر
وإذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قمت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على ه آل
النبى ولاشهر كلا ولاصد
البتول
عن التراث ولازجر
وأتابها الجبتى وما
شق الكتاب ولابقر
جنح الظلام

قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عادانی الدهر نصف يوم فانكشف الناس لی وبانوا
يا أيها المعرضون عنی عودوا فقد عاد لی الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

لأنما قوة الظهور النقود وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما ولئيم تسعى اليه الوفود

والأطباء يلعون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على درهم والعين تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها قوة الإنسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد إذا ضعف الفقر ضعف له البدن (حكى) أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشباب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره لحادثه فی ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيآن إذ أنت حفظتهما لاتبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فی هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وتدكار فی الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس . ولنذكر الآن نبذة من الذخاير والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فی كتابه الملقب بالعجائب الطرف ان أبا الوليد ذكر فی كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة عام الفتح فی سنة ثمان من الهجرة وجد فی الجب الذى كان فی الكعبة سبعين الف أوقيه من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها الف الف وتسعمائة الف وتسعون الف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين الف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة الف وخمسون الفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين الف دينار وكانت قيمتها الف الف دينار ومائتى الف ووجد المستوردين ربيعة يوم القادسية ابراق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ماقيمته فقال رجل من الفرس أنا أخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به إلى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لاتبعه إلا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة الف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فی سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى الف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فی سنة تسع وثمانين وجد قدور ذهب ينزل اليها بسلالم . ودفع مصعب ابن الزبير حين أحس بالقتل إلى زياد مولاه فصامن ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف الف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لاينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فی ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغها قيمتها ألفى الف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى

وقرأت من اوراق مصـ
وأزور قبرهما وأز
جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنـ
ين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل ليصـ
لح من بنيها فی زمر
وأنت لصلح بين جيـ
ش المسلمين على غرر
فأتى ابو حسن وسا
ل حسامه وسط وكر
وأذاق اخوته الردى
وبغير أمنهم عقر
ماضره لو كان كف
وعف عنهم اذ قدر
وأقول أن إمامكم
ولى بصفين وفر
وأقول أن أخطأ معا
وية فما إخطا القدر
هذا ولم يغدر معا
وية ولا عمرو ومكر
بطل بسوأته يقا
تل لا يصارمه الذكر
وتجنيت من رطب النوا
صب ما نتمر واختمر
أقول ذنب الخارجـ
ين على على مغتفر
لاثائر اقتالهم
فی النهروان ولا اثر
والأشعر بما يؤ
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لی منبرا
فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر
واقول ان يزيد ما
شرب الخمور ولا فجر
والجيش بالكف
عن ابنا طيبة أمر

نسائك وأهلك فقال لا بل إلى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادفع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته درج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش إلى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته الحاج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه إذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الأرادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء مالا يحصى عدده إلا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف حسكة وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب مالا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره ، وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا ... وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى ... وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الإنسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى

والشعر ما قتل الحسـ ين ولا ابن سعد ما غدر
وحلفت فى عشر المحـ رم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب الملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريق
أقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقو
ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلاة
من بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغدير
سكنت خلق واقتدي
ت بهم وان كانوا بقر
واقول مثالهم مثل مقالهم
بالفاشر ياكدفشر
مصطيحتى مكسورة
وفطيرتى فيها قصر
بقرترى برئيسهم
طيش الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خشن وقدت من حجر
ما يدرك للتشبيب تغر
يد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا
رله البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمى بالشرر

وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى ﷺ يبيت طاويا ليالى ماله ولا لأهله عشاء. وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان ﷺ خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة ٥ قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ﷺ الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره إلا أولياء الله تعالى وفى الخبر إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لملائكته أدنوا إلى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا إله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر إلى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها لقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون إلى أعلى مراتب الجنان وقال ﷺ هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين إذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم. وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الأرض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها إلى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا احسن من ثيابى ودابة احسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الإنسان كثرة ماله ... كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبدالله بن طاهر)

ألم تر ان الدهر يهدم ما بنى ... ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى اعوذبك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب

هنذا الشريف أضانى بعد الهداية والنظر مالى متصل فى الورى الا الشريف ابو معمر فيقال خذ بعيد الشرف فستقر كما سقر لواحه تسطو فقاه تبق عليه ولا تذر والله يغفر المسىء إذا تنصل واعتذر فاحش الاله بسره فملك واحتذر كل الحذر والبكها بدوية رقت لرقتها الحضر شامية لو شامها قس الفصاحة لا فتخر ودرى وأيقن انى بحر وألفاظى درر حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر والى الشريف بعثتها لما قرأها وانبهر رد الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر وأثابنى وجزيته شكرا وقال لقد صبر

(ومن لطائف المنقول) مانقله الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردى رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة فى أيام قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى ورضوانه فأجلسه فى صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتابة مشترى فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين

فيها

فيها إنما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب إلا على من العيش لم يزل حزينا على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ماعشت فى غد لكل غد رزق من الله وارد

(قال هرون بن جعفر الطالبى)

بوعدت همتى وقورب مالى فعمالى مقصر عن مقالى ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع وهو من بين ما اكتسوا اسربالى ولقد تعلم الحوادث أنى ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده إلا تواضعا فأحسن الفقير وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الإمام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيئا قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله تعالى عنه فسأله شيئا فقال والله ما أصبح فى بيتى شىء فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال ياقنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها إلى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله ﷺ فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال ياقنبر والله مايسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شىء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه الف دينار . وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال له ماوسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم إذا سئل ارتاح واللئيم إذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدى من الرى إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال ابو دلامة ما أسرعك للأولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره . وسمع الرشيد أعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام وبرتنا طوارق الايام
فأتينا كو نمد أكيفا لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا أيها الزائرون بيت حرام.

فبكى الرشيد وقال لمن معه بسألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير . وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال اخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى أضحت حوائجنا اليك مناخة معقولة برحابك الوصال

محمد بن يونس بن سنقرا من مالك بن أحمد بن الازرق كلاهما قد عرف من خاق فباعه قطعة أرض واقمه بكوره الغوطة وهى جامعة لشجر مختلف الاجناس والأرض فى البيع مع الغراس وذرع هذى الأرض ابالذراع عشرون فى الطول بلا نزاع وذرعها فى العرض أيضا عشرة، وهى ذراع باليد المعتبره وحدها من قبلة ملك التقى وجائز الرومى حدا المشرق ومن شمال ملك أولادعلى والغرب ملك عاملى برجبيل وهذه تعرف من قديم بأنها قطعة بيت الرومى بيعا صحيحا لازما شرعيا ثم شراء قاطعا مرعيا بثمن مبلغه من فضه وازنة جيدة مبيضة جارية للناس فى المعاملة الفان منها النصف الف كامله قبضها البائع منه وافيه فعادت الذمة منه خاليه وسلم الأرض إلى من اشترى فقبض القطعة منه وجرى بينهما بالبدن التفرق طوعا فما لاحد تعلق ثم ضمان الدرك المشهور فيه على بائعه المذكور وأشهد عليهما بذاك فى رابع عشر رمضان الاشرف من بعد خمس تلوها الهجره والحمد لله وصلى ربى على النبى وآله والصحب يشهد بالمضمون من هذا عمر ابن المظفر المصرى إذا حضر فلما فرغ الشيخ

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضى الله تعالى عنه قال ياكميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فإذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فإذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق إذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ماجعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات .

أرى الجزار يشحذ مديتيه   إذا هبت رياح بنى عقيل   طويل الباع أبلج جعفرى
كريم الجد كالسيف الصقيل   وفى ابن الجعبرى بما نواه   على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية إنى تركت قول الشعر فأجيبى الامير عنى فقالت .

إذا هبت رياح بنى عقيل   تداعينا لهبتها الوليدا   طويل الباع أبلج عبشمى
أعان على مروءة لبيد   بأمثال الهضاب كان ركبا   عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا   نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد أن الكريم له معاد   وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يابنية لولا أنك سألت وقلت عد فقال ياأبت ان الملوك لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لأنت فى هذا أشعر منى ، ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ماندرى إذا مافاتنا   طلب اليك من الذى نتطلب   ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
أحدا سواك إلى المكارم ينسب   فاصبر لعادتك التى عودتنا   أولا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار فعاد اليه من قابل وقال ياأمير المؤمنين ان الرؤى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لوقلت حتى تنفد بيوت الأموال لأعطيتك . وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم ياأمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه . وروى أن أبادلامة مشاعر كان واقفابين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء ياأمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة ياأمير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد أقطعتك ياأمير المؤمنين مائة ضيعة عامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا كلها عامرة فانظر إلى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسار فبينما هما فى الطريق وإذا بمقصبة خرج منها رجل بقصبة

زيد الدين وتأمل الجماعة سرعة (٥٠) بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا أنه ابن الوحى وأجلسوه فى الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم إلى جانبه يدعى ابن رسول .

قد حضر العقد لذاك أحمد   ابن ر ول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء) قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لوكان الوحى ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كتاب الانشاء . وقال البلاغة هى مارضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ماكان فحلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب إلى يحيى بن خالد فى شكر ماتقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ماتأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بأبلغ عبارة وأوجز (عمر بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ماأبلغه ألا ترى إلى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (إبراهيم الصولى كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه والنبي ﷺ يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر ... ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائلة ... كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الأول العديم لايكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة والامل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفي السطر الرابع أما نعم فمثمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر الف دينار (وحكى) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال انلى على ابن عبيد الله دينا ومعي به اشتهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك ما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة ... والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها ... الله وابن عبيد الله مولاكي

فمضت اليه المرأة وحكت له ماقال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) أن مطيع بن اقاس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده وأراد معن أن يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذه البيتين

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحبه نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان يرى عظامي ... ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا اني جهلتك ناسيا ... لامري ولا اني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله ... الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي ... ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل ... بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني ... لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه ... يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي ... أم في المعاد تجود بالانعام

(وما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه) روى عن

الى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لأمير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازنه في غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

أناة فان نغن عقب بعدها ... وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ماتكلت في مكاتبتي الا على مايتخيله خاطري ويجلس في صدري الا قولي وصار مايحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من أخرى فانزلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال فاني ألممته بقولي آجالا من آمالي بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني

موف على مهج في يوم ذي وهج ... كأنه أجل يسعى الى أمل

(وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام)

فان باشر الاصحى فبالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما ... أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بأنك ساخط ... عليك فان الخوف لاشك قاتله

(ومن رقيق شعره حين أحضر لمناظرته . ... أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

وأطاع الوشا والعذالا ... صدقني وصدق الأقوال

أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا قطرب المتوكل واهتز وخلع عليه

عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله تعالى عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا ويتناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يابني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر * وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال أبو علي السعدي

إذا مارماك الدهر في الضيق فانتجع قديم الغنى في الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله ﷺ مسئلة الناس من الفواحش ماأحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه

قال الشاعر: ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبازي: لموت الفتى خير من البخل للغنى وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر: إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضله ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق: شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد: وقائلة مات الكرام فمن لنا إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده سؤالا لمخلوق فليس بنابه
إذا مات من يرجى فمقصودنا الذي ترجيه باق فلوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل: لما افتقرت اصحبي ماوجدتهم لجأت لله لباني أغناني
واها على بذل وجهي للورى سفها فلو بذلت إلى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة قل من قيمتها فردني ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شيء أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم سوى من غدا والبخل ملء اهابه فجردت من غمد القناعة صارما
قطعت رجائي منهم بذبابه فلاذا يراني واقفا في طريقه ولاذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى إلا عن الشيء لا به إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

(ومن رقيق شعره أيضا قوله)

دنت بأناس عن تناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبس قميص الصبح (بديع الزمان الهمداني) الحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لأمر إذا هم وسبيل ذوي الالباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول إلى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي) وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة إلى لطائفها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل وج

وبلج عتوا في قبيح اكتسابه   فكله الى صرف الليالي فانها   ستبدي له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا   يرى النجم تيها تحت ظل ركابه   فعما قليل وهو في غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه   فأصبح لامال ولاجاه يرتجى   ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا   وصب عليه الله صوب عذابه

(وقال آخر) لاتسألن الى صديق حاجة   فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فإنه   ماصان عرضك مايقال قليل   من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول   وأخوك من وفرت مافي كفه   ومتى علقت به فأنت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال   قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ماأتاك ابتداء   لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لاتحسبن الموت موت البلى   أنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا   أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني ٥ وصنت نفسي عن الهوان ٥ خوفا من الناس أن يقولوا
فضل فلان على فلان ٥ من كنت عن ماله غنيا ٥ فلا أبالي إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص ٥ رأيته بالتي رآني ومن رآني بعين تم ٥ رأيته كامل المعاني

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وماأشبه ذلك)

قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال ﷺ تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال ﷺ الهدية مشتركة وقال ﷺ من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها ٥ وفي الأثر الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر ٥ ومن الامثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل مااسترضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي ﷺ انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله ﷺ هدية إلى عمر فردها فقال ياعمر لم رددت هديتي فقال عمر رضي الله تعالى عنه اني سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيئا من الناس فقال ياعمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله ﷺ يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهادة طي للعادة

(ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم بمن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

أهدى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين وإستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقل سبحان القادر على جميع الاضداد وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له مايكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ماأعز الاشياء

الآن يسقط أنيننا في تشاكي لم الفراق اسناد القلم بمشافهة للفم أبو الحسن بن بسام من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لايمسح وجهه الاهيادب الغيوم وصارم لايخلى غمده الا بافراد النجوم ضياء الدين بن الاثير الجزري) ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها إلى العباس وهي خير دولة أخرجت الدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لاتهرم وأنها لاتزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذي لايصرم (وله في القلم) فهو المقلب الجواد المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر واله لون تحقق فيه القول النبوي لو جمعت الخيل في صعيد لسبقها الأشقر (ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الأثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهي للحصون من أكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خاق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى إلى لوغي فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الاركان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم ولقد سهوت عن الصانع، وكان في هذا الفن أمة

عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائة فروة سمور (وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي أربعة آلاف ألف درهم * وأهدت ثريا بنت الأوباري ملكة أفرنجة وماوالاها إلى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية إذا نظرت إلى الطعام والشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها اشبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم إلى المستنظر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكي) أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال كتبت اليه تقول

إذا خرج الإمام من الدواء ... وأعقب بالسلامة والشفاء ... وأصلح حاله من بعد شرب

بهذا الجام من هذا الطلاء ... فينعم للتي قد أنفذته ... اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابي إلى عضد الدولة إسطرلابا في يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... سمو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد ... أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

واهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التي أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة إلا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

ان امرأ أهدى إلى صنيعة ... وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثوري اذ أردت ان تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من اهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثياب من ثياب مصر وعنده قوم فذكر والخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب اما في ثياب مصر فلا وكتب الحمدوني

وهو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة ابن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله في رسائله والصابي عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابيء ان صاحب بن عباد قال ما بقي من أوطاري وأغراضي الا وأملك العراق وأتصد ببغداد وأستكتب الصابيء ويكتب عني وأغير عليه فقال الصابيء وبغير علي وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به إلى أبي الخير عن رقعة وصلت تتضمن أنه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته وسحبان في خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدي ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القد يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتي الحركة فيه لانه أعظم مجلدة قد طال الكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما

إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال .

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا ... قد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفيني بما أطرفوك به ... ولا تكن طرفتي غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به ... ثنيتيك وما رددت فيك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول .

تفضل بالقبول على أني ... بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم إلى صديقه هدية في يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بأنه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فإن رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول .

رأيت كثير ما يهدي اليكم ... قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك ﴾

(وأما العمل) فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال أفضل العمل أدومه وإن قل وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل * وعن علي رضي الله تعالى قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما ينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني * وقال الاوزاعي اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شيء أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله ان أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

اني رأيت وفي الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

واني اذا باشرت أمرا أريده ... تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله

ولا عرف الشعير إلا حالما وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التشمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا منه معنى لغناء لأنه ليس بأنثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار .

أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذي لحم فأصلح للاكل لأن الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لأن الأيام قد مزقت أديمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد حصت وبري الا أن تطالبني بذحل أو بيني وبينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمريه أعجب من مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره ويا ليت شعري ما كنت مهديا لو أني رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدرا ومكانه وأظهر عجزا مهانة من أن يستقبل به قدم في

فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله ٭ وقال بعضهم العمل سعى الأركان إلى الله والنية سعى القلوب إلى الله والقلب ملك والأركان جنوده ولا يحارب الملك إلا بالجنود ولا الجنود إلا بالملك ٭ وقيل الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمنا صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فإذا سمعه عابد بشىء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إنى لا أجد فى داود عيبا إلا أنه يأكل من كسبه فمنذ ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وسار يحكم منها الدروع ٭ وقال رسول الله ﷺ جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله ﷺ أن الله يحب العبد المحترف وقال ﷺ أن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب من قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأله رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده أن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة ٭ وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران أن ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى أن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة ... ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرزاق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا ما (وأما جاء فى العجز والتوانى) فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده ... ويقضى إله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله : على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فإنه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزع وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغد وبركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة وتحب الهلكة ومن لم يوقب يجد وافضى الى

الفساد

وكان له عبد احبه بمن وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة فمن ذلك قوله فيه
قد قال بن وهو أسود الذى ببياضه استعلى علو الخائن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى
أن قد أفدت به مزيد محاسن .
ولو ان منى فيه خالا زانه
ولو ان منه فى خالا شانى
(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعه أن قيل له ماهو أحسن السجع قال ماخف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا ٭ وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير
يقولون قد أودى كثير ابن أحمد
وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا
فمثل كثير فى الرجال قليل
(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب

الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى ... فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة ... جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة * وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم يعنى الأمراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالا بد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا ... وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها ... فاهو اله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمه ... ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه ... ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر) فلا تركن إلى كسل وعجز ... يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر * وقال لقمان لابنه يا بنى إياك والكسل والضجر فانك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق (وقال أبو العتاهية)

إذا وضع الراعى على الأرض صدره ... فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله ﷺ من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئا الا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه * وفى التوراة مرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الأمل * وقال بعض الحكماء إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم * وقالوا بد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها (وذكر) ابن خلكان فى تاريخه أيضا أن العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توازى بل هى اليد البيضاء التى لا تجازى خروج أمره إلى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل إلى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس والدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء (وتوفى الفاضل فى ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسفح المقطم فى القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فن انشائه المرقص المطرب قوله)

وقالوا التأني حسن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فبماذا يدرك وقال المهلب أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح * وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وأن تصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحروف وما يتعلق بها) فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحب شانه ويعلف ناضحه * وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان إدريس عليه السلام خياطا * ووقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فإن صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادي وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله ﷺ يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة وإنما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعك الأرذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل إبراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لراحل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان أرد شير بن بابك لا يرتضي لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو أن يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فإن الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لأن مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحاكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

(قال أبو العتاهية)

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره
والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله) روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة إلا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ﷺ وكان معاوية رضي الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت، وكانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال ﷺ ان حقا على الله أن يرفع شيئا من هذه الدنيا إلا (وضعه وحكي) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه

وقد كان يقال ان الذهب الأبرين لا تدخل عليه آفة وأن يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الأبطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم أو قلدتم أيامه صوارم من الكحل وهو لص عوهبتم شموسه وقاره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وما تم فيها لا على أموال مآتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نفس ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه غاسل يدخل إلى انسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه في كفن الحرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون ينقل العين إلى بياض الثغور ويسلبها سوادا للمها وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العاقد انتهى إلى فوق ما يضرب به المثل إذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من أكابر اللصوص وسموا الحائن وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفي فلو مروا به على ناظر انفرجت جفناه وهو من الذين إذا رفعوا أميالهم فإنما هي لشمس العيون متداولة وإذا أولج أحدهم الميل في المكحلة أو بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه سقى الله ... ثم

ثم بعد ذلك أشرف شرافة من كوة له لخر من حوله القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر إلى حمص وإشترى بدرهم لحا وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الأبيات

أف للدنيا إذا كانت كـذا أنا منها فى بلاء وأذى ان صفا عيش امرىء فى صبحها جرعته ممسيا كاس الردى ولقد كنت إذا ما قيل من أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله) ومامر يوم أرتجى فيه راحة فأخبره الا بكيت على أمثى

(ومن كلام ابن اعرابى)

عن الأيام عد فعن قليل ترى الأيام فى صور الليالى

وقال رضى الله عنه ما قال الناس لشىء طوبى الا وقد خبأ الدهر يوم سوء قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب أنا فلان ابن فلان الملك عشت الف عام وبنيت مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى إلى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستففتها فمت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كما ماتى ، وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ماقدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم الف درهم على نفسه انه يكفيه فروى بعد مدة وقد احتاج إلى باع حلية مصفحة وأنفقها . وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك على لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف إذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقال ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما بلاغك مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت لكم كان بين أول الرؤس وآخرها اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا

نشرت فيها ملاء السراب وزخر فيها بحر ماء ولد لغير رشدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جوع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالحاير يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطىء نقرة مقتلة وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساعات الفراق فيالك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يبعد ماوصف به أهل الجحيم فى قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يمللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يحفر للدفن ونمشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع على أنه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه إلى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات الفاته ورؤس

العيدا قطعات هيزلته (ومنه) فبنت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسط قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الأعيرج واستعلى به البطر فقل له خير ما استعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتى به القدر سالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خير القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه إلى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان ملك الأقطار لأرض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء . وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث إلا أنه من أهل الادب إذا انشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل إلى إيصال رقعة اليه مكتوب فيها :

ألا قل للوزير فدته نفسى مقالا مذكـرا ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم ار إلا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته إلا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر : ياممرضا عنى بوجه مدبر ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة أو غاية إلا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين إذا رأونى مقبلا ابشوا إلى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كان حديثهم ولغ الكلاب تهارشت فى المنزله

وقال آخر فى معناه يامنزلا عبث الزمان بأهله فأبادهم بتفرق لايجمـع
أين الذين عهدتهم بك مرة كان الزمان بهم يضر وينفع أيام لايغشى لذكرك مربع
إلا وفيـه للمكارم مرتع ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقى الذين حياتهم لاتنفع
وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى :

وانى رأيت الدهر منذ صحبته محاسنة مقرونة ومعايبه
إذا سرنى فى أول الامر لم أزل على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم : ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه بعضا فيدفع معور عن معور
خلف الزمان ليأتين بمثلهم حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال إذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر

اغصان الخيول قوادمها القوائم وخوافيها الأعنة ونصوبت عيون السمر إلى قلوبهم كأنما تطلب سوداها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لتروى أكبادها ومنه) وما أحسن الأقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا فى روعها رائع أهدا الصواب ولا أنها اضطجعت إلا ليبعثها ماينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا لانها أعلام عباسية وتناولتها الخضرة بيدها لاجرم أنها تحامى الحمى وتسفك وتحقن دما وتشيح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا تقوم الخطباء بما كتبت تعلم الألسنة أن فى الايدى كما فى الافواه لسانا رقلت (ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر مايجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الألسنة عن الكلام (ومن إنشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أصونها بزوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا على

الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر إلا فقيرا يكابد فقرا أوغنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وقرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب وإذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله ﷺ لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (ويقال) لايقاوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

ما من مسيء وان طالت اساءته   الا ويكفيك يوم من مساعيه

(وقال الأمين) يا نفس قد حق الحذر   أين المفر من القدر   كل امرىء مما يخا
ف ويرتجيه على خطر   من يرتشف صفو الزما   ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد بغضت   محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتى من الناس واحدا   صفا وقته والنائبات تنوبه

(والأمير أبى على بن منقذ)

أما والذى لايملك الأمر غيره   ومن هو بالسر المكتم أعلم   لئن كان كتمان المصائب مؤلما
لاعلانها عندى أشد وأعظم   وبى كل مايبكى العيون أقله   وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا إلى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا إلى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الأشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه ﷺ به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله ﷺ النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى موطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أوكاد وفات المستعجل غرضه أوكاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت ياأمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

صبرا على مضض الادلاج فى السحر   وفى الرواح إلى الطاعات فى البكر   إنى رأيت وفى الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر   وقل من جد فى أمر يؤمله   واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الامال ويقبضها مده وجزره برى النبات حجره ويحيى مطلقه الحيوان ويحيى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووقت بالرزق المضمون أن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعة وتبعده من الإضاعة وتتصرف على مايصرفك فى الطاعة وتشهر ماأورده البشير من اليسرى بأبانته وتمدم بايصال رسمه منها على عادته (ورسم لى فى الأيام المؤيدية وأنا منشى الديوان الشريف المؤيدى سنة تسع عشرة وثمانمائة أن أنشىء رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى أن المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المعطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان

لحفظتها منه وألزمت نفسي الصبر فى الأمور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال ﷺ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ الضرب على الفخذ عند المصيبه يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الأولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها * وروى عن بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عني خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحد منكم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال ابوبكر الصديق رضي الله تعالى عنه يارسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يارسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل لعنه الله ايكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد إذا سجد فانبعث اشقى القوم فأخذه واتى به فلما سجد ﷺ وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمه رضي الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى ﷺ الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال علي رضي الله تعالى عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لأجل غفران الذنوب لأن فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعا فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بني إسرائيل لم يكن لها إلا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت امرها إلى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى أزالته فلم يقدر على ذلك إلى أن أتى حبرا من أحبار بني إسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء إلا تدعوا عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر لها الله فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا إذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن

فرضه فى ذلك اختيار الالفاظ والمعاني من الرسالتين فأنشأت بعد المستعان بالله * وتبدى لعله الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا فيه بالحسنى وزيادة واجراه لنا فى طرق الوفا على اجمل عادة وخلق اصابعه لنزول الامام فأعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها إليه وشبب جريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته نتردد فى الآثار وعمته ابركة فأجرى سواقي مكة إلى أن غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره حنا عليها حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم

ورواق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية بخدمته بحلو النبات وأدخله إلى جنات النخيل والاعناق فالق النوى والحب فأرضع جنين الحب وأحياله أمهات العصف والاب وصافحته كفوف

أحسن

أحسن ماقيل فى ذلك من المنظوم

وإذا مسك الزمان بضر عظمت دونه الحصوب وحلت وأتت بعده أوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت فاصطبر وانظر بلوغ الامالى فالرزايا إذا توالت تولت
وإذا أوهنت وجلت كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي أن الأمور إذا استدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

(ولزهير بن أبي سلمى)

وثلاث يعز الصبر عند حلولها ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) باظهار التجلد للعدا ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
اما تنظر الريحان يشم ناضرا ويطرح فى البيدا اذا ماتغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما ن وان أبى أبى القلب الجريح
فلكل شيء آخر إما جميل او قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والأيام كما ترى رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ماجوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الأمور بمثل الصبر

(وقال نشهل)

ويوم كان المصطلين بحره وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبراً جميلا وانما نفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتني وذا الحذرى * ليس يغنى من القدر ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر نفس يانفس فاصبرى * فان الصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لاتدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبني والصبر باني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الآيام تجربة حتى نهيت الذى قد كان نهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

انى رأيت الصبر خير معول فى النائبات لمن أراد معولا ورأيت أسباب القناعة أكذب بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا فاذا نبابى منزلا جاوزته وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص مايكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذاما أتاك الدهر يوما بنكبة فافرع لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) وما مسنى عسر ففوضت أمره الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ماقيل) الدهر لايبقى على حالة لابد أن يقبل أو يدبرا
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لايصبرا

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض

الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ماكان له فى ذمة الرى من الديوان ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتدو لسكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لايرد وليس شربوس الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بافلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بخلق بشائره وأشار بأصبعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ماتفقه واتقن باب المياه ومدشفه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته استحل المصريون زائدة على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصان

الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت علي الأرض بما رحبت وإذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال الصبر ستر للمكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله ... عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة ... ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي ﷺ ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ومن ليس في كل الأمور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ... لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي أنه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني . وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ... ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره ... لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لأصبرن كما صبروا فان النبي ﷺ لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبروا عليهم حتى سماهم الله تعالى اولي العزم فأقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج إلى قومه ويدعوهم إلى الله تعالى ولما أيس منهم ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ وأعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه لن يؤمن من قومك الا من آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه المياه أنجي فيه أهل طاعتي وأخرج أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا استهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها

وجففها

أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل في ساحله وامست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة ونقلت أرداف أمواجه على خصور الجوار فاضطربت كالخائفة ومال شبق النخيل اليه فاتم تفر طلعه قبل سالفه وأمست سود الجواري كالحسنات في حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نماء فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندي قبالة كل عين اصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زجره ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدي وكسره وقد أثر ذا المقر بهذه البشرى التي تم فضلها برا وبحره وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصددا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم اليصير بها في كل . وقت مشنفا ولا برج من نيلها المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا (قلت)

تقدم قولي أن الشيء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتي البحرية التي كتبت بها

وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم إلا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء وعلى وجه الأرض بأمطار وقذفت الأرض كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه بسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما إبراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب احرقه فلم يتخلف منهم أحدا وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كان الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا ابواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا بنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم على رس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه إلى السماء مودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل قيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الأرض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما احرقت النار غير كتافه أقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم هلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع إلى ذبحه من غير اهمال لا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته إلى طاعة مولاه وصبره على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال اني أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ياأبت أشدد وثاقي كي لا اضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها شاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي وإذا لقيت أمي فاقرأ السلام عليها فأقبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيئا فلما ظهر فيهما أمر التسلم نودي أن ياإبراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلي بفراق ولده غاب

إلى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله في أجله من القاهرة المحروسة إلى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولي اليها من ثغر طرابلس الشام وقد غصت على أنياب الحرب بثغرها من أهوال برها وبحرها وذلك في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهي) يقبل الأرض التي سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة لي ثغرها قسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التي لم يخلق مثلها في البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك في فم الدهر ابتسام

فأكرم به مورد فضل ما برح منهله للعذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدي فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ في سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وعيدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بني مخزوم وثالثة ما لفرسان الفقراء

بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين رأنه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ه ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبعث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم إلى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم إلى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال ياأيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم إلى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء إلى أن بقى أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها إبليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى ان أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لاطعام له ولاشراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ماقيل ثمانى عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا إلى مخلوق مانزل به عاداالله تعالى بالطافه عليه فقال تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا) وأفاض عليه من نعمة ماأنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم صبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم ه وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ربما) شنف السمع من نجح هذه الإشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ماذهاك ياهذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لاأتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا

القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها ونثر ثلاثية ما لسجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالاثار

وابرح مايكون الدهر يوما إذا دنت الديار من الديار

بوصول المملوك إلى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مدعو لمشاهدة من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الأحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لايبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت من هذا الثغر بأصابع السهام وقلع منه ضرس الآمن ولم يبق له بعد ماشعر به البين نظام وكشرت الحرب فى ثناياه عن أنياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولاناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات

معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط أجرى الله تعالى على لسانى فقلت إلهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم إذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شىء عن شىء يامن أحاط علمه بما ذرأ وبرأ وأنت عالم بخفيات الأمور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فماتم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت إلى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف بقصد الحجاز ، وفيما روى عن الله تعالى أنه أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة خلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها إذ رأيته مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

يامن ألح عليه الهم والفكر ... وغيرت حاله الأيام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل ... عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب إذا أحداثها طرقت ... فاصبر فقد فاز أيام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة ... وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح ... وإذا عجزت عن الخطوب فمن لها
أن الذى عقد الذى انعقدت به ... عقدت المكاره فيك يملك حلها
صبرا فإن الصبر يعقب راحة ... ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول .

صبرتنى ووعظتنى وأنالها ... وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرما به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... أن الذى يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر) قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب . وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لاأراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويل وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى لما تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لاترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى (وقيل) تزوج مخنث بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهذه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فإن كان فرح دعونى وإن كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه إذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبى فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب

المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الامن كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الامكرها لابطل وكم قبلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها يا سارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته إلا جبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يامولانا)

بوادى حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط .
بلاد إذا ماذقت كوثر مائها .
أهيم كأنى قد تملت باسفنط .
ومن يجتهد فى أن الأرض بقعة .
تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى .
وصوب صديقى ماؤها وهواؤها .
فإن أحاديث الصحيحين ماتخطى
بمعصمها أن دار ملوى سوارها
فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها
عقودا لها العاصى وأيناه كالسمط

الله تعالى لأهل البلاء . وروى أبو عتبة عن النبي ﷺ قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا ٭ ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا الله على عزوجل قدمزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف متعجبا فقال أي رب عبد ابتليه بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى ٭ وحكى أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له شرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عما ذكرها الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو لقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك إذ اتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة ٭ وقدم على دواب وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعيرة فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلاعينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن فى الدنيا من أعظم مصيبة منه ٭ وقيل الحوادث الممضه مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلى محمد بن يوسف على حبسه

ماوهذه الايام الامنازل ٭ فمن منزل رحب إلى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثات وانما ٭ صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما فى نبي الله يوسف أسوة ٭ لمثلك محبوس عن الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة ٭ فآل به الصبر الجميل إلى الملك

﴿ وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل ﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائري ٭ حبسي وأي مهند لايغمد
والشمس لولا أنها محجوبة ٭ عن ناظر بك ألما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة ٭ لاتصطلى ان لم تثرها الا زند
والحبس مالم تغشه لدينية ٭ شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة ٭ ويزار فيه ولا . يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الاانه ٭ لا تستذلك بالحجاب الأعبد
غر الليالى باديات عود ٭ والمال عارية يعار وينفذ
ولكل حى معقب ولربما ٭ أجلى لك المكروة عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة ٭ خطب رماك به الزمان الا نكد
كم من عليل قد تخطاه الردى ٭ فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فإن اليوم يعقبه غد ٭ ويد الخلافة لاتطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي وإبراهيم بن المهدى حين حبس .

هى المقادير تجرى فى أعينها ٭ فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الأصل ترفعه ٭ إلى العلاة ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال إبراهيم بن عيسى الكاتب فى إبراهيم بن المدبر حين عزل

وراح بنقش النبت يمشى على بسط ٭ لوينا خلال ليل النواعير فالتوت ٭ وأبدت لنا دورا على ساقط البسط سقى سفحها ان قل دمعى سحابه ٭ مطنبة بالدمع منهلة النقط ويا أسطر النبت التى قد تسلسلت ٭ بصفحتها لازلت واضحة الخط ولازال ذاك الخط بالطل معجما ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط لويت عنانى فى حماها من اللوى وهمت بها لا بالمحصب والسقط ولذعناق الغقرلى بفنائها وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط منازل أحبابي ومنبت شعبتي وأوطان أو طارى بها روضا سخطي نعمت بها دهرا ولكن سلبته . برغمي وهذا الدهر يسلب ما يعطى . وقد جاءشرط البين انى أغيب عن . حماها لقد أوفى فؤادى بالشرط . وحط على الدهر عمدا وشالنى . إلى غيرها صبرا على الشيل والحط . وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها منظمة لكن قضى الدهر بالفرط ٭ أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى

ليهن أبا إسحق أسباب نعمة　مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا　لأنك يوم العزل أعلى وأفضل
(وقال آخر) قد زاد ملك سليمان فعاوده　والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى الكبير وهو الحال

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة　ولكن عارا أن يزول التجمل

وعار المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثانى أنى قلت لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفراغ قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والخمسون ما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب)

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل وقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال لو كان العسر فى حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال النبى ﷺ أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق وقال أبو حاتم

إذا اشتملت على اليأس القلوب　وضاقت بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت　وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها　ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث　يمن به اللطيف المستجيب
(وقال آخر) عسى الهم الذى أمسيت فيه　يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان　ويأتى أهله النائى الغريب
(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب　لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت　يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى　ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها　فرجت وكان يظنها لا تفرج
(وقال آخر) لئن صدع البين المشتت شملنا　فللبين حكم فى الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة　وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمت زالت عن الحر وانقضت　فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه　فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة مما حصل له الفرج بعد الشدة)

روى ان الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله المدينة المنورة أن أخرج

لتنبع عينى ذلك الشكل بالنقط وقد سار بمشى الهم تحوى بسرعة فياليته لوكان فى مشيه يبطى وأصبح نظمى راجعا بى إلى ورا كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى (يامولانا) وآيتك ما لقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر اللج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت إلى الجوارى الحسان وقد رمت أرداف قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت أن رأى من جاء يسعى فى الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ بالبحر سبيلا وكم قلت من شدة الظمأ ياترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا بكر نحو النيل منشرحا　وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت وأوات دوائره مقامع فتصبتنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهى جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها

الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا وأضربه في مسجد رسول الله ﷺ خمس مائة صوت فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى إلى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك دع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنته مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى ٥ وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي إلى ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني ان لاتخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فأصبح إلا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حروان طالت بليته ... يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي إنسان أعرفه فقمت إليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلي لأضيفه وليس معي درهم بل كان زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفه فباعتهما بتسعة دراهم واشترى بها ماقلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب وإذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم ابن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا الك بعشرة آلاف درهم لتسكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته في داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لبعض شيئا يشتري به هدية لاهله وتوجهنا إلى باب يزيد باقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ماالذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها فقال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل في هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر ... يمضي فيخترق الأجساد والهاما

كالدهر لا ينثني عما يهم به ... قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فانشدته مالي فيه من شعر فامر لي بمائتي الف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر إلى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة ... بين الانام وبعد الضيق تتسع

وجرى ماجرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد في هذا الماء ثم سارت على البحر وهي مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برح مابي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين في تابوت تأتي بالطاق ولكن بالقلوب لأن صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلاتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم نطيل الشكوى التي قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيا الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى إذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الأمواج وكم وجلت القلب لما صار لاهداب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قرينها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها فتهزل ؟

ولما

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتي به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال وأنا ما أجارك ولا أعاذك وأن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته والله آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الاسير (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن وإذا ورقة انسان ادعي عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزا جاءتهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوزة غرتني وقالت ان في هذا الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا أعود إلى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرني إلى غد فقال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج إلى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله أنه ... له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وأمر بإطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا إلى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت جملي توجهت إلى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئا للاعوان فاطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ماسبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول اطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه . وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها فسبحان

إلى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد ثبت وهي حملة الحطب في جيدها حبل من مسد وخلاص المملوك من كمد الماء المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتتصل من ذلك العدو الازرق ذي الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضي الأمر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله أنها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء من كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية في فصل الشتاء وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ماجرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا إلى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذي قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا إذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربي برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص

القادر على كل شيء لا إله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا ... فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزع عن أظلم الدهر مرة ... فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فانشدت قول العتاهيه حيث قال

هي الايام والغير ... وأمر الله ينتظر ... أتيأس أو ترى فرجا ... فأين الله والقدر

الاسرى عني وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قاعد البحر وقال له انفذ الان مركبا الى أفريقية يأتوني باخبارهم فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما اصبحوا إذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعه وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجذفون إذا بصوت يقول يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطان وأرقه في قصر لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبر أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث في حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت إذ جاء رجل من مطوفين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يديه فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطني بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدلي ولد في هذه الليلة فاحتجنا لأمه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي أشتري بها شيئا من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيئا أسد به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لي إلا الفرار منهم فهذا الذي أوجب جزعي قال أبو حفص وكان رجل من الجندي جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص ياسيدي أريد أن يأتي

بهذا

وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن بانقائه وسيوفه تحسن في الاجسام البسط وفي الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الأرض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الأشواق وهي تقربه من المولى بالتخيل إذا بعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دمعها بمياه محرقة فهو منها في نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الاوهو كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين عبد الظاهر) خليفة الفاضل (ومن انشائه قوله)

بهذا الرجل إلى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئا قال فدخلنا إلى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى إذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيئا ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك ياأرحم الراحمين (وحكى) ان الملك نصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه لم يجدواله شفاء فدسوا على قتله وارصدواله رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعى الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرىء أحسن ما كان * وبضد هذا ماحكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لاتقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الادخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبر أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار إلى دار هناك قضية عجيبة قلت وماهى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع مامعه من الخز فى خرج وحمله حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر إنسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة إلى أن وصلا إلى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس إلى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة واشترى مانحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولاصاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى إلى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا مارأيناه ولاجاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا أنك أمرته فكر الرجل راجعا إلى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق إذا رآه على تلك الحالة فاستخفى إلى الليل ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه

نعله بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بمياه السيوف المجردة وشجى فى صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه) بابطال الحشيش بعد الخمر نعلمه أن المنكرات أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها وتفرغ الصحاف وإن لايخلو بيت من بيوتها من كسر أوزحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ماقصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس عن ثديها مافطمت وانها فى النشوة ماخيب إبليس مسقاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فساق كثير من الناس وعرف فى عيونهم مايعرف من الاحرار فى الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بان تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتظهر منها المساجد

وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج إلى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع إلى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك إذ حانت من التاجر التفاتة إلى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج بجملته فى حانوتى وديعة إلى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا إلى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه إلى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك أين مالى يا خائن قال ما هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه إلى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره

(ولنلحق بهذا الباب ذكر شىء مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم إلى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الألواح وامتزج بالارواح يعد فى جملة البشائر العظام ويجرى فى العروق ويمشى فى العظام وكان خالد بن عبدالله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزه وأيدك بملائكته وبارك فيك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... ان تمسه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات

لكم أرث الخلافة من قريش ... تزف اليكمو أبدا عروسا
إلى هرون تهدى بعد موسى ... تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدى يا غلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا (وقال) إبراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر ان الشمس كانت مريضة ... فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه ... فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ه ودخل عطاء بن أبى

والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل (٧٤) والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف إلى الفرنج وقد أخذت شتوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من إذا افتخر قال تصيدت بغراب ولئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الادرع ولا جدول الاجسام ولا غمامة النقع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الاصليل ولا معربد الاقاتل ولا سكران الاقتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلون الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى القضاء لجملته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا

وضاقت الارض حتى كادها ربهم
إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

(قلت) ذكرت هذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين

صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزيه فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطيه * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لا والذى أسأله ان يخلص عمر ابن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الأول فى مدح العبيد والاماء الاستيصاء بهم خيرا) عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله ﷺ فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله ﷺ ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله ﷺ أحب الى من عز الحريه مع مفارقته فقال رسول الله ﷺ اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله ﷺ أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم يا أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى ﷺ فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار * وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة ﷺ من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فأعتقها وزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الا ولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على ابن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضى الله تعالى عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن الدلال ينادى عليهن باسواق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا إليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقه مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك يقول عمرو العبدى

نهيتكم أن تحملوا فوق خيلكم *** هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه *** ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة *** وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الأبيات

عليه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض المدا ولا برحت أقلامه لأفعال الشك جازمه ولاعدائه متعدية ولآرائه لازمه (أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رحم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب لخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصبه محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف من المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصلة ومآثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى أن أورد هنا حظيرة الإنس الى حضرة القدس فانها من بديع إنشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وجاعل حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن إذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها

فما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السبـاء مذلة ... ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه ... فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ۞ وصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام فادعو به ... سوى من أبوه أخو عمتي

وقال أكثم الحر حر وإن مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ۞ ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصر فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال لما ضربتني وأمرتني ان أقضي حاجتين في حاجة جئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمر والأعجمي يلي حكم السند فكتب إلى موسى الهادي أن رجلا من أشراف أهل الهند من آل مهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برىء من علته فأقام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان احدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ماهي الا نفسي واني لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك وذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثأري وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمر والأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون ولو أحسنت إلى أحدهم

من عقد التدبير بثمينه وإذا نوى في السيادة فملا أمضى العزم السني قبل دخول حينه وإذا حل بناها القلم روية عن ابن بحر كتاب بيانه في الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذي أيد بالروح الأمين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر اليامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا إلى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الأرضي في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الأعظم بمدبرة تماما يخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا غص القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا احكام عدلها واحسانها يبني ممالكها على الأسل من اقلامه ويحوط اطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرته يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التي خضعت لها الدول وفاضل امرها الجليل وراسخ دوحها الذي ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذي تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذي طال ما اشرأبت اليه أسماع وأبصار وانتصرت به تقتبس هجرته فلا غرو أن صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبي الوزيري الاميني

الدهر كله ماتصل يدك إليه أنكره كأن لم يرمنك شيئا وكلما أحسنت إليه تمرد وإن أسأت إليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ماقيل

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل أن العبد إذا شبع فسق وإن جاع سرق وكان جدى لأمى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج وأردأ لأن المولد لايعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لأنه بجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلاتثق بمولد لأنه قل أن تكون فيه خير وإن كان فذاك نادر والنادر لاحكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم ﴾

للعرب أوابد وغوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا يمنع من ماء ولامرعى * وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلاعقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلايحمل عليه ولايمنع من ماء ولامرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ماخامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته وإذا خرج النهى لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تدفن فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل * وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض بنى أمية فقال أنا ابن محى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم إلى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولازاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يامعشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون لك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليهم * وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر

أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزين بأقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة ممن استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلمية تردد الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبيه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر إلى المعاينة وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التنزه معدنه هذا واشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله فلما عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على مافى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر التكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد ونظر لحالى ولا ينكر النظر فى الأحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحابى مقصد قبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك انى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفت حبة قلبى على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار

فى الكعبة (واعلم) وفقنى الله وإياك انه لم يسمع بعجب عظم من عجب سعيد بن زرارة وعبدالله بن زياد التيمى وابن سماك الاسدى الذين ضرب بهم المثل ، فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا فقال لها ياهنتاه مثلى يكون من عبيدالله ، وأما عبد الله بن زياد التيمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحتى على لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال إنما كانت يمينى يمينا قصدا فانظر رحمك الله إلى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم إلى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى إلى النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(حكى) عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى بأناس بلغنى الأمل فيهم وأننى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيئاته والله تعالى أعلم

(ذكر أديان العرب فى الجاهلية) كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى نميرة بنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش اخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه ، وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل إلى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ماهذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطونى منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ، وقيل ان أول ماكانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الاحمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا مااستحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا إلى ماكانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر مايصنع إذا توجه إلى سفره وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم ، وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم ان يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه إذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات

وجه عاجلته الأيام بصرف المنون أطلب قلبى فى التراب وانشده وأطارح صوت الصدا فينشدنى وانشده

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا
شوقى اليه ويا شجوى ويا دائى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار ياكانون أحشائى

(وقال أيضا)

آها لعقد قد وهى سلكه
وكان ذادر بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر درا يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبى فى اسداء العوارف وإبداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بصحبة ركابه والكريم لباس الباس ويشغلنى بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضنى بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربانا لايفطن لمثله الا من ومن فيالها سفرة قابلها وجه الإقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلاظليلا وملأ بيتى وعينى دقيقا وجليلا وأمرنى أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذلك الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والأرض قد شرعت فى لباس

آخر

آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك إلى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله فقالوا لهم من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم تعبدوها إلى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم من بعد موتهم أن يصوروا صور ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ من بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها على فسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان (ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني . الرتيمة ناقة كانت العرب إذا مات واحد منها عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها ، التعمية والتفقئة كان الرجل إذا بلغت ابله ألفا فقأ عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى ، العرداء يصيب الإبل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العر ، ضرب الثور عن البقر كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو النفس فلا يزال يصيح على قبره أسقوني إلى أن يؤخذ بثاره ، وكان للعرب مذاهب في الجاهلية كالبومة وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسه وقالوا إن الميت لا يوجد فيه الدم وإنما وجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة فإذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينبسط من جنس الإنسان إذا مات أو قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم .

سلط الموت والمنون عليهم　　فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي ﷺ لا عدوى ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار والمعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ، والصفر زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن . تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت في أول ضربة فإذا ثنيت عاشت (والغيلان والتغول للعرب) في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤوم وأنه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الإنسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكي) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رآه في سفرة إلى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا أنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى . وأما القطرب في

عليها وحلها ومراعي الربيع وقد عدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قدآن ان يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض حتى بقول أبي الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الأيام حتى　　كأنك في فم الدهر ابتسام

فأتينا المكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول ووقفنا للمقاصد تباشري بالحظوة ولعيون الاقبال تأملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفخر بمواطي خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة الغير روضا قد اخضر جناباها طرزت بآثار طرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقتها مثل طرزها وسائرها يرد من الوشي اخضر تذكرت أحبابي بمثوى يدها فميني رأس الماء وجسمي المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر البشرى وجرم أهلية وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الابن وجعلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين وجدنا هناك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير

قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزل على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وإن كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه وإذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف) ماحكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه

ليت شعرى هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فأجابه صوت فى الظلام نعم نعم وناكها حجيه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كية * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لأهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا جزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحق بأهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لايبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدليني بأحسن منها فانه يأمن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها (وأما) جز النواصي فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فإن التفت تطير واله وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرانب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه ويشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فإنها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب مايخرج منها صبر وتسمى السلوان * ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فإن لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة . والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك ﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على مايزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك

وأردنا طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فامرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه فى ذلك فقير عجمى ينشد لسان حاله فى مثل ما بك ياحمامة * فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصد بمجلس لحظة واحدة فيركض نداه فى الغرب والشرق الناس لديناضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الأصوات بالأدعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمنا وهى ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام فى مرجنها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهى فى معارج السحب صاعدة شائدة فى الجو كأنها فى السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الأنجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر فى المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادى الذى هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا إلى الفور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التى نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله ﷺ وهو أبو عبيدة بن الجراح

عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبث تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبدالمسيح وتوجه إلى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبدالمسيح عما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبدالمسيح على جمل يسيح إلى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوة وغاصت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولاة محمد قد اقترب يملك منهم ملوكا وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار وعبدالمسيح إلى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسر لك الاشق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح إني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيئا فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين إلى جرش فقال الملك أن هذا لغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أوسبعين تمضي من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم احد باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلي قال وممن يكون هذا النبي قال من ولد عدنان فهو بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك إلى آخر الدهر وهل الدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر إذا اتسق أن ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ٥ ومن ذلك ما حكى أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المفاخرة فقال هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعل بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبؤ اليه شيئا وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا اخبأنا لك خبيأ فان علمته تحاكما اليك وان لم تعلمه تحاكمنا إلى غيرك فقال لقد خبأتم لي كميت وكميت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد المناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال إنها أول عداوة وقعت بين هاشم وبني أمية (وحكى) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير إذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي إلى بيت أبيك وتكلم الناس فيها

رضي الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعوم الفاخر وزار أمين هذه الأمة الأول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاة ونظر في مرتبة بعين العدل وأعانه بيد السماح وجمل وإلى الناحية عبيدة وما جمل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فأعجبنا ريا وراء وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا المغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقبانه كالمعلقة وملنا إلى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد يبشر الصباح ولم نقل أهلك والليل وما زلنا كذلك لا نمر بواد الا أنت مع الابتهال بطول العمر ماله وأرامله ولا بناد الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الازها على التي بين السماكين بدرها ولا ماش الا حمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزة ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزة ولا ظبية من ظبيات دمشق الا والمكارم توالبها وتواليها توجدها في القفار كما توجدها أولياء الله فيها إلى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه طرا الصبح تحت أذيال الظلام وخفف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى

فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ماهو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن فخرج بفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبدمناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها إنى أرى حالك قد تغير وما هذا إلا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسيما تكون على سبة فقال لها لاتخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم دخل فى إحليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما نفدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال إنى أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى إلى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت إليك عنى فوالله إنى لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبوسفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه (وأما القيافة) فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر * فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الإنسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر إليه واحد منهم وقال وما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شىء فلما رجعت إلى أمى ذكرت لها القصة فقالت ياولدى أن أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا أن هذا شىء ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أودخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه يظفروا به ومن العجب إنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ من المرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقفت من قريش حين خرج النبى ﷺ وأبو بكر إلى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه ﷺ بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله إلى ههنا إنتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولو أن هناك لطيفة لا يتساوى الإنسان فيها يعنى فى علمها لماتأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فإذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت إلى خراش فسألته عنها فأمر ابنته أن تخط فى الأرض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لأى شىء قلت لا قال قد علمت إنك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فرأيا بامرأة وهى تخط للناس فى الأرض فضحك منها مالك هزوا وقال ماهذا فقالت أما والله لا

السفر وألقت هناك رحلها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الأرض وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وحمدنا الأوطان والأقطار واستمرت بلسحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تنفجر منها الأنهار وأقمنا فى بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ما تقول فى بيته فقلت ما أقول فى جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما تفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الأبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحدمنهم منها جاذاناحية إلا منهاجا ومكثنا فى البيوت إلى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطىء القدم دموعا عزت بلسمها ولا تقول هانت ونظر آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف

في طريق الزيارة متأماها ووقفة في الطريق نصف الزيارة فنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف تستلم كالحجاج أركانه وتقلب وجوهنا في سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقبانه ونشاهد رخاما بلغ في الحسن والمحل الاقصى في الاقصى وتمت به في بهجة المكان زيادة تخالف قول النجاة أن في الترخيم نقصا فاما المياه التي تجرى في الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافىء الله عنها في داره المقامة وحسنة في المعنى والصورة جارية إلى يوم القيامة ومن المباني المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذي قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضيء عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(وقلت فيها)

بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الأيتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فحينا من تلك المحاسن بستانين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت

لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته ﷺ فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك ٭ وبعث صاحب الروم إلى النبي ﷺ رسولا وقال له انظر اليه ومل إلى جانبه وانظر إلى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي ﷺ على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله ﷺ قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع إلى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة ٭ وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوّاه ما أظن أني أرجع إلى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري إليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب ابن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الأمور إذا تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان سيذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضي الله تعالى عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس إذا نظر إلى كبشين ينتطحان فجاء رجلا وأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر إنكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الأولى دخلت علي والشقة بيدي أدبر طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لأني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث إليه بجيش عظيم فخرج إليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لأميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل إلى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك إلى فرس ثم إلى بغل ثم إلى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شيء من ذلك إلا على حمار لأنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى إلى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير إلى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطىء

فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفأل) فقد روى أن النبي ﷺ كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى أنه ﷺ لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال ﷺ لأبي بكر رضى الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعنه ﷺ أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا في دبرها فقد برىء مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الأبيات يقول

لا يعلم ليلا ما يصبحه … إلا كوذاب مايجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم … مضللون ودون الغيب أقفال

(وقال لبيد) لعمرى ماتدرى الطوارق بالحصى … ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعلم أنه لاطير إلا … على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء … أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا إذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذ يمينا وان أخذت شمالا أخذ شمالا ومنه قول امرىء القيس

وقد اغتدى والطير في وكناتها … بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا … كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم مايتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصلح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

إذا ماغراب البين صاح فقل له … ترفق رماك الله ياطير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر … وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا … وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا … كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من رحل وفي ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن مطيهم سبب النوى … والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شيء وقع فيه (وحكى) عن إبراهيم بن المهدي قال أرسل إلي محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول ياعم اني مشتاق إليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول هذه الأبيات

نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضع النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا إلى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها الحاتم هذى التى لا ناقة فيها ولا جمل

(ومما قلت في ذلك)

لله حال امرىء مقتر … قضيت في القدس بتنفيسه
ودرهم ولي ولكنه … وقد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الأوقات الصاحبية أجرها وشرع في بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام في التوشيع والتفويف فيالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شيء واطرد ماء رونقها فكان العين منها في ماء وفيء ويا له رواقا شاق وصفه ورواق ورقع محله فقال لسان المتصرف حبذا رفاعي الرواق

هموا قتلوه كي يكونوا مكانه   كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا   وجد أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهي وغني ما يسرني فغنت تقول

كليب لعمري كان أكثر ناصرا   وأكثر حزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم   حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فأرقها   ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي إلى لعنة الله فقالت والله يامولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت إلا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال إبراهيم بن المهدي فالتفت إلي وقال ياعمي أرى أن هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي أسمعت ما سمعت ياعم فقلت سمعت شيئا وما هذا إلا توهم فاذا الصوت قد علا فقال ياعم اذهب إلى بيتك فحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به ۞ وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة   تخشى ولا أمر يكون مبدلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه   صغر الولاية فاستقبل الموصلا

فسر خالد وأمر لأبي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ۞ ودخل الحجاج الكوفة متوجها إلى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لأعجب من لوط وقوله لو ان لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد فأي ركن أشد من الله تعالى أوغلتم ما أنا عليه من التوجيه إلى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره ان يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته ان يسيء إلى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وانا أعلم أنكم تقولون بعدي لاأحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لاأحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ۞ وخرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالأعور فأمر له بمال فقال لاحاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتني فصدت وسلمت فأينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكي) أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت

هذي الليالي علمنا ان ستطوينا   فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكي) أن نور الدين

ثم وثب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا في اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليلة وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهي الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام في طريقنا ورفعنا لأنواره الجفون وتملى عندنا الزيارة ذو العين بذي النون نزلنا من محل الخليل على محل القوي وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السري واستقبلنا بمقام إبراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهي عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لأنفاس الشوق كوني بردا وسلاما على إبراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفي ظمأ إبراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجردت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله في [illegible] صاحب
جلي العلى والمكرمات جليل
فهذه الدنيا وهذا لديننا
فياحبذا من صاحب وخليل

وسرنا في ظل الصاحب من الخليل وكانت دمشق تمد ايدي اعطاشها الجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع نيلها طمعا في اقترابه وترضع ثدي هرمها داعية إلى الله بعودة اليها وايابه وهو شبابك

محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للفتوح فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يامن درى هل نعيش إلى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش إلى آخر الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام (وأما الفراسة) فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشىء فلم يعمل به ثم ندب فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه إلا مايستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما أنه نجارا وقال الآخر انه حدادا فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجارا (وحكى) أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له أجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل إلى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته مكبتا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم علي وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه إلا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الأرض أحزر منه كان ينظر إلى السفينة فيحزر مافيها فلا يخطىء وكان حزره المكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الاس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء وقالوا إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشىء ماعند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جوره وليمة ولم يدع اليها وإذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ماشهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل وإذا قيل المتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ماتقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شىء فاعلم أن امرأته قبيحة وإذا رأيت انسانا يمشى ويتلفت فاعلم انه يريد أن يحدث وإذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى وإذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع ويقول عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على قلة وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطاف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل فى الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول إذا فشا الموت فى الوحش دل على ضيقة وإذا فشا فى الفار دل على الخصب وإذا نعق غراب بجاويته دجاجة عمر الخراب وإذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شىء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (وأما النوم والسهر وما جاء فيهما) فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان

زمعة

الوزارة أن يتلقى صاحب قبحة وصدر الخزائن أن يملق مااعتاده من رأى عطفه منحه فانه ماجلس فيه آبهر وأبهى منه الطلعة الأمينيه باجماع الآملين المتأملين والخزائن التى كم قال لها تدبيره انى حفيظ عليم فقال الملك انك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار إلى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثا ايام نكاد ننشد

خرجنا على أن المقام ثلاثة
فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورأينا مسجدا يعرف بالركن قد غير الزمان محاسنه الأنيقة وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة بأمر مولانا الصاحب بعمارة ماهنه اندثر ولحظت لآراء حجارته المنقضه فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع فى هذه المنزلة من المعروف مالاصنع ذوو الدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ماثبت ولولا ابداع سعادته ماثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فررنا فى طريقنا بجملة خير معرضة وبنية فى وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام

زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادي أهله

يا أيها الركب المعرسونا　　أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى، عند الصباح يحمد القوم السرى * (وانشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد　　قم ياحبيبي قددنا الموعد　　وخذ من الليل وساعاته

حظا إذا ماهجع الرقد　　من نام حتى ينقضى ليله　　لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوى الألباب أهل التقى　　فنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى　　غمومات ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبدالمطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لاأنام الله عينيك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ماقالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى ﷺ بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لاتقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لاتصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شيء إذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله * وكان طاوس يقول لأن تختلف السياط على ظهرى أحب إلى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوي على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم إن النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى :

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون　　قل لى فأول ليلتى فى حفرتى انى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكنى ردى على رقاديا　　ونومى فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله فى قتل عاشق　　أمن الكرى عنه فأحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفى)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني　　يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى إذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو مات (واما الرؤيا) فقد قيل فيها اقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره إلى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان مايجده الإنسان فى نومه من الخواطر إنما هو من الأطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء إلى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بتدبر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا واموانا مكفنين بسواد وبكاء واشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وانواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى ﷺ أول مابدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنها من يرى رؤيا فتجيء على حالها لاتزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ماحكى) ان النبى ﷺ رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام

فالحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا ببنيامين وقرعنا أبواب السماء بأدعية فاتحة فقال النجيح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها للقادم إنا نبشرك بيحيى وبيتنا ليلة طيبة نحييها ونميت النوم ونعصى بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فأنفذت أنواره القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا نفتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يامعاذ ومسكنا عنده من الدعاء بعروة لاتنفصم وأوينا من طوفان الذنوب إلى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه فى هذه السيارة فانا لانفارقه الاعن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور ونهوض ليثه المليد وجزنا مبتسمين فابكينا بكاء لبيد يوم فراقه لأزيد واتنشقنا من نلقاء طيبة الاسم اطيب العرف وسكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة

فقال مالأبى جهل والجنة والله لايدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى أن كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها ابوها بموته وموت النبى ﷺ وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) أن أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) أن عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت عملا فعزله ثم اتفق أن عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل معاوية (وأما) من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كانى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال مالتى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه . وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء . وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم ثم بلغه أن الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت . وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه إلى السلطان . وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى أن ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتى هذا فأعادت عليه فقال لأخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام . وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك . وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشيرى بولدى . أشبه شىء بالاسد . إذا الرجال فى كبد
تغالبوا على بلد . كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبدة وذلك فى عام الهجرة . وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت اخا كآبة فأتيت الجمد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك

الاسم والفعل والحرف ثم عاودتنا للمنازل التى قدمنا ذكرها ورجعنا كما نسترجع منازل الأفق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا نتنشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعى الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل . وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداوه كل ليل العاشقين طويل وفى تلك الليلة كان دخولنا إلى دمشق المحروسة كدخولنا إلى القدس الشريف سائرين سرى النجوم فى الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر المتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الأزهار وأجرت أمام ركابنا الأنهار ولبست من وشى البديع حللاها من أوائل ما نعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفرق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن مايكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت فى الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ماكنت أرتقت جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها فى هذه الخطبة لأنها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المشبوع واقتضى وينشر

ويشر عليك وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر إليه فضحك رسول الله ﷺ وقال بأي عين كنت تنظر إلى رأسك فلم يلبث رسول الله ﷺ أن توفي وأولو رأسه ينبيه ونظره إليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله ﷺ فضممت عظامه إلى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك ﷺ وقال النبي ﷺ الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال تضرعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة ما لم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان ﷺ إذا أراد غزوا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت مني أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع وكان يقول الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للأمور إذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للأمور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام إلا أنه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الإسلام وحسن إسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده إليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم أني رددت الجوهرة إليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك إلى قيام الساعة وان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه إبراهيم بن الاشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الأمر عليكم فأرسلها ثم قال للناس اني لأجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة

الحال أن أجمعها في سفر يقال فيه ذلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله أن هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بقرح وأي قرح وقال تفكرها الذي كان حائك الكلام لسر اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذري ويعلم السبب في كونها ليست عادة نظمي ونثري وإذا كانت القريحة في بقايا قروحها فليت شعري أينهض سجعي وشعري والله تعالى المسؤول أن يجعل في البقاء الصاحبي سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقه في شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهبا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى إلى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبي الاميني رحلتي صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي سقى الله ثراه إلى البلاد الرومية وورود أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة في البشارة المجهزة إلى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدي والأزهر في شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد من لي أن أقرنها

غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب ❊ فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد ❊ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فاكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يانبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها ❊ وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم ❊ وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال مايخفى على منه شىء وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على مايريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لايحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة ❊ وبلغ عضد الدولة أن قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهقة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لأحد نساء الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم ❊ وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب إلى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه ❊ وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر ذلك القاضى اياسا فقال اعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد إلى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم أنه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيء موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض إلى صاحبك وقل له ادفع إلى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاء وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى إلى القاضى اياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدالى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله فى الناس مثلك ❊ ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لأدلك على شىء فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض

بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فالنا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة بهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرجال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الاذيال وتبدى الكريم عليه تجلى مخدرات الحصول بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدة واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عاداتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعد ماعسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مراميها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها تلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الأرض طائفتها الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة

عشرة

عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله ٭ ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثه بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى إلى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل إلا قياما من المجلس ٭ وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرس بن كعب فانى ذكرت إمرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لاخير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل إلى الاحنف فلطمه فقال ماحملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان اللطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارسة بن قدامة فانه سيدهم فمضى إليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى وجهنى عبد الملك إلى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكننى رجل من العرب فكتب إلى عبد الملك رقعة ودفعها إلى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يترك شيئا الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ماقاله عبد الملك للشعبى فقال الله أبوه ماعدا مافى نفسى ٭ ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فوصل بعض ندمائه الى ان دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب فى مجلسه هذه الأبيات

ياروح من لبنيات وأرملة ... إذا نعاك لأهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل بنفسك ياروح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ماحكى ان النبى ﷺ لما فتح خيبر أوعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فاذن لى يارسول الله فى العود إلى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى احتاج إلى ان أقول فقال رسول الله ﷺ قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا ﷺ قد سار إلى خيبر قال فقلت إنه سار إلى خيبر وعندى من الخبر مايسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لانقتله حتى نبعث إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جميع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغتنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار إلى هناك فقاموا معى فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف إلى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله

الشريعة الصوفية ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فجعلنا له ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من ارمنة فدنا منها إلى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح وشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها فتحت إياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت ابياتها لما نظمت ببسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصه من رحيق هذه الطاعة فأمسى ثغره بأفواه الشكر يقبل بسط جبين جسره لمواطىء خيلنا فرحنا وتهلل وجانس الفتح بين اياس وباناس ولم ينتظم لبنى كند بيت بملطية يقال له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل الانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جم لا يفحم وماهو الا كافر طال عمره لجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل أن الموت أقرب اليه من حبل الوريد واهربت ابوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها أدخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة إلى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفح مقلهم وجهه

قال قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت والله ماتركت ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ماتقول ياحجاج قال قلت أى والله ولقد أسلمت وماجئت إلا مسلما لآخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله ماتحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمد أو أصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتيا له إلى تخليصه وتحصيل ماله ؞ ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله ﷺ عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله ﷺ خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهليه فقال يابنى قريظه علمتم ودى أياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه إلى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه واموالهم واولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا امثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالراى ثم اتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب وكان اذذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظه قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك ان تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلاتدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس بن غطفان إلى بنى قريظه يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب

فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم ببدائع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشى كل منهم أن يصير لحا على وضم ورأوا لسن السهام فى أفواه تلك المرامى برأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر إلا لمعت فيها من بوارق فرطنا بارقة فمزقوا الأطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد واحببنا الفتح المأمونى برأينا الرشيد وما خفى عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف فى الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمى لما ادعى انه نمروذ تلك الفئة الغادرة كلمه بسيوفنا فأخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأرى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لاعاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه فى بحر عساكرنا بعدما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما رؤى أحدق ذلك اليوم من الترك مان وسقوا أوغار تلك الجبال من دمائهم فكادت احجارها أن تورق وتخصب بعد المحل وجثوا بالسؤال على النصر وغنموا من الانعام

واشتد

واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة يقولون انا لا تدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم لخذل الله تعالى بينهم أرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن الهم نعيم ابن مسعود هذه الفتنة هداه إلى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الأمور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والعذر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنو شروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالإحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف ويتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنا منه فسمع فيه انين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله قال فما هذا الأنين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء إلى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت إن شئت قال فخذى معك ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى إلى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيئا أمور المسلمين ينبغى له ان يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسئول متى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من فوق النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم إلى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال وإقامة قسطاط العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه إناء فيه مزور وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا

ما زاد فى عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ٥ لحق فى الظبية أنس منكم نفرت ٥ وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحى من افلاك تلك الصدور وقد انتثرت وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع الديباج فكم من معدنى صارمع دنى لأن قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكسب على السمور وغيره من أصناف الوبر وإذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم إلينا وبدور موطنها فى بروج تلك الجبال قد أشرفت والمتناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمى بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا ان الله قد جعل لإبراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدر إلى برج الكمال فأبدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال هذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على اكمه لا يعرف القمرا

وإن كان شبلا فهو فى الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صيب صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الأعداء ان دمعهم يجرى عند لقائه

فسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زياداً لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك إياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق المنصور ثانى خلفاء بنى عباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الأمور والرعايا فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافه وكان بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعالج المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب فمن آثار يقظته وفطنته مانقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لأمر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحداً ثم قال لى اعلم أن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعاً والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والألطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سراً وسيروا معى ألطافا وعينا وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والألطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى وأخذ الكتب وماكان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمدا وإبراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لى المنصور انى

نعما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فإنه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود إليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددنا إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيئ إلا بأهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة الاستيفاء مالنا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الأخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشا على حجر وادعت أن سخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامى تنفير المدافع وتحريك الوتر وظلمت فى ظهر الجبل كدمل قطار كل جرح من سهامنا بريشة الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك الفسح فطالت سيوفنا الى دواء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا

الربد

أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبدالله إلى جانبه لحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قدعلمت أنما أعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لاتريدنى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبدالله بن الحسن فأعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لاأقالنى الله أن لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وإبراهيم ويستعلم أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول ويلك أصدقينى فوالله ما أريد إلا الألفة ولئن صدقتينى لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب وهى تقول لاأعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمى عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال مادواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بنى سليم قال صدقت هى والله أمتى ابتعتها بمالى ورزق يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندى سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو فى بنى فلان قال صدقت هو والله غلامى دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به مايحتاج اليه من الأمتعة واخبرنى أن أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ماتصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن فى بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء مايحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)

(حرف الهمزة)

(الأسد) من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ماوجهه وجه إنسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده امه قطعة لحم ويستمر يحرسه ثلاث أيام ثم يأتى ابوه فينفخ فيه فتنفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين ابيه وامه إلى ستة اشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه

جسور على الرجف جاسرة وأقلعنا إلى خشب سفنها المسندة فزرقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليه فترفعت عليها ولم ترضه لنقص العرج أن يعلوا عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها بأذيال الامان فأمناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعة فأحسنا الختام بدندرة والقينا أكسير المدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فألقت من بها وبئر معطلة وزهت فرحة بكسرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنة بلسانها الحديد وغارت عروس جنتان من لك فخطبنا جمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهى أيضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو إلى أفقها العالى فاستسفلته وترفعت

وعوت كلابه فلقيتهم ماثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن اصبح الصخر عنده بمثقال وعلم طفرق ان سهامنا فى كل

لايعاود فريسته ولايأكل من فريسة غيره ولايشرب من ماء ولغ فيه كلب وفى ذلك يقول بعضهم:

سأترك حبكم من غير بغض ... وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب يلغن فيه

وإذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فن شجاعته الاقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالغيروم، جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كربه أنه لايقرب المرأة خصوصا إذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضىء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى * وروى أنه لما تلا رسول الله ﷺ والنجم إذا هوى قال عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم يعنى نفسه فقال رسول الله ﷺ اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه فى عير إلى الشام حتى إذا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شىء ترتعد فرائصك فوالله مانحن وأنت إلا سواء فقال أن محمدا دعا على ووالله ما أظلت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء أسد يتهمس ويشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغط ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم أن محمدا أصدق الناس ولبعضهم فى الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد ... جرى على الأقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى ... كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
يديل بانياب حداد كأنها ... اقاص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) إذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من من شر الأسد سبب ذلك على ماقيل أن بختنصر رأى فى هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الأطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل أن بختنصر توهم ذلك فى دانيال فضرى له اسدين وجعلهما فى الجب والقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فاقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى ارمياء بالشام ان اذهب إلى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت إلى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفنى فقال من أرسلك إلى قلت ارسلنى الله اليك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكراه والحمد لله الذى لايخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لايكله إلى غيره الحمد لله الذى يجزى بالاحسان إحسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فرقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شىء (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان فى سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت رجاؤنا ياألله ياألله ياألله قال فولى الأسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام فى سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت فى الأرض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره وشكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه

عليه

عطفو من أعضاء العصاة جارحة وأفواه مدافعنا فى اعراض الصخور من سائر القلاع قادحة فثبت بدأه عن المنع وجنح إلى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحة وضحك ناموس علستكمنا الشريف على من دعى بكختا وكركر ولكن ابكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة نجم عقابا فى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى بأجنحة أو كان علاها من الأصيل خضاب فبكف الخصب يتيمم تربى ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذى ذاب قلب الأصيل على تذهيبه وود بنار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فأرمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقيب بتنقيبه عن مقاتلهم إلى الصواب وأيقنوا أن بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهم ماؤهم عذبا فأكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو ابى زيد السروجى لا يرجع

عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه
أن صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه
ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة وإذا وضع على جلد
غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش الف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة
سقوط أسنانه (والابل) قيل ماخلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل أن حملت أثقلت وأن سارت
أبعدت وان حلبت أروت وإن نحرت أشبعت وفى حديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود
بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وإن كان عجيبه قد سقط لكثرة
مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل أن قطارا كان ببعض حبله دهن فرت
فأرة بجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى
بالسفن فقال تعالى وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماماؤه قليل وما ماؤه
كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل إنه يرتفع ظمؤها إلى عشر وفى الحديث
لا تسبوا الابل فإنها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى
يعرف لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشىء
من الفحول مثل مالجمل عند هيجانه فإنه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة
أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لاتعرف من أى شىء هى من اجزائه
وهو من الاحرار حتى قيل أنه لا ينزو لا على أمه وعلى أخته حتى قيل أن بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم
أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد إلى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة
ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شىء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته
قوة حتى أنها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل اكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة
والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النساء فلم يجد مايلائمه الا ترك
أكل لحومها فذلك حرمها . وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب
الاكثرون إلى انه لاينقض وعليه الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء
وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة
وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو
مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع
وبوله يفيق السكران ووبره إذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده إذا ربط على دم عاشق يزيل
عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان
فعلها من الأرض أضيف اسمها اليها قال القزوينى إذا أتى على الأرضه سنة نبت لها جناحان طويلان
تطير بهما ويقال ان الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها أنها
تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله إلى أعلاه وله فى احدى
جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من
خلفها ويحتملها ويمشى بها جحره لانه إذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الأرنب) حيوان شبه العناق
قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى وله
شدة شبق وربما تسفط وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى . ومن عجائبها أنها تنام وعيناها
مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول مايخرج أورآه

صاغرين إلى الطاعة وقد قابلنا انف حيلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ملايراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفروا من سطواتنا الشريفه إلى البروج فأدركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليفدى بنفسه الخبيثه ويروح فلم نرض امنه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه لحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها

* كريشة فى ممر الريح

 ساقطه . وتمام الهيبه معروف عند من له عليه اطلاع وبعاده مضا تبيح كل من ديار بكر وقد ازهرت باسمنا

عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الأرض خوفا على أولادها من الإنسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الأولاد إلى عشرين يوما ومن طبعه أنه أبله وفيه قوة وحدة وفى سفاده حالة نزوه بصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فإذا وقع منه الانزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فإذا ملكها بعد ذلك فإنها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا لى اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج ه وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فانطلقا يتخاصمان الى الضب فقالت الارنب يا أباحسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت أنى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثال (ومن ذلك) ما حكى أن عدى بن أرطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال أنى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بيتهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرىء من الارتعاش العارض من البرد وأن شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وإن شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وأن علقت عليها زبلها لم تحمل والأرنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة إذا أخذت وسلخت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الأشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هم دقاق الاعناق صغار الأذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى إذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل إذا قطع ذنبها عاد كما كان وإذا بلغ نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للإنسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل إذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وإنما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسد بقدرة الله تعالى الا نادرا ه ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده

الشريف أغصان منابرها وسألت قامتها الشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها إلى ذلك وأمسعنا بعه التنكير معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤبدية مشرقة وجهز قراغمان مفاتيح الرها وآمدو أو تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لها فى الشرف محلا فجليناه بذلك وكان من المواطل حلت المطابقة بالمطل المحلى والامب ابن القادر بحرارة المعصية ففر إلى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراحمة الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم أنه ما أحسن البيان عن درندة فى تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ما ذاق مرارة بينه والبسناه تشريفة بنيابة الابليستين فباس الأرض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك التين بعينه وجهزنا ولده داود بدرع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما علت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها ... ولكنها

ولكنها إذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها إذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور وإذا قلعت عادت * ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا دخلت بصدرها فى جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برىء فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك إذا أتونى يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ورجعت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه أن كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض منفرجاته إذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها إلى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبر الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الأرض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به إلى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرىء (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك وإذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن اللطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لأنه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يودع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر مافيها فأمر باحضارها فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لعامتين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى إلى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البشر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها إذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن

وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة وأزلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيسارتهم فى أيامنا الزاهرة هشة وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم * ولم يخل من اسمائنا عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم
وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكاز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة إلا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كأس برج أترعوه بالتحصين ان توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد إذ لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها لشرفها قبلة وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا فى الرقة وأهدوا من الرقيق ماقام له عقدنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب

للأيمن والايسر للأيسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الأرض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لأنه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب إذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد إلا أنه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش وإذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وإذا لسعته حية ذهب إلى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك وذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليرام السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالتزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس وإذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وإن وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لاتنبت قرناه إلا بعد سنتين وينبتان فى أول الأمر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولايزال يزيد إلى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيها فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لاعظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله

(الخواص) إذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه وإذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق شىء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى لاتكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أو الشواهين ولأجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لأنه لايصبر على العطش فلذلك لايفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لأنه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه ... بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين الاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه

الطهارة بتطهير الأرض من نفدنا إليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت ضيوفنا فى القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة بما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التى هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التى وسعها سناء الملك ببهجة ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبه والنورة التى يحجم ابن فهد عن وصفها إذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ما صاحب بجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العاليه ورأيناها أهلة تغنى عن الفجر لخضبنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التى تخشى النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فانفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى اصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجعله عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محلها

(بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال أن طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى أنها تتنفر لان لها جناحين كالقناطر إذا نشرتها أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولاخلاص لها منها فتنزل إلى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفوا بعد ذلك فيقذفها الريح إلى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الأخضر والرمادي والأصفر والأبيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) أنه أهـدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال أن نوعها منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح وإذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمـد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل إلى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجـد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي ﷺ وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي ﷺ ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنـه وضرب وجهه وقال لاعلم الله علك هـذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * إذا رأت خيلا على مربوط
تقول سبحانك يامعطى * تمشي إلى خلف إذا مامشيت كانما تكتب بالقبطي

(والخواص) إذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت وإذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (وبرغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته ابو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يذب إلى ورائه (وحكى) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها ولبس لك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغوغ بها فيظن من لايعلم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فتلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني   لابارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به   أيتام سوء أغاروا في المواريث

(وقال ابو الرماح الازدي)

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن   بوادي الغضى ليلي علي بطول
تؤرقني حدب قصار أذلة   وان الذي يؤذينه لذليل
إذا جلت بعض الليالي منهن جولة   تعلقن في رجل حيث أجول
إذا ماقتلنا هن اضعفن كثرة   علينا ولاينعى لهن قتيل
ألاليت شعري هل أبيتن ليلة   لابرغوث علي سبيل

(وقال ابن أيبك الصفدي)

ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس إذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل إلى الكنانة وبالغ الغز الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رفيقه وأدر من أواني الصيني كؤوسا ترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ماالستحق لها من ديون الفتح علينا ووردنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فان ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخذ منها حفظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم برد وسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسلكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه في ليله ونهاره من اخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من ضياعه أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الديار المصرية إلى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية حدث بدمشق المحروسة ماحدث من القتال والحصار والحريق فكتبت إلى المقر المرحومي الفخر القاضي ابن الكاسر في شرح ذلك وسالقلم ينسج على

أشكوا الله الرحمن ما نالني من البراغيث الخفاف الثقال
نعصبوا بالليل لما دروا أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي ﷺ سمع رجلا يسب برغوثا فقال لاتسبه فانه أيقظ نبيا إلى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أنه نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها . ولقد شكا عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن إسحق الحيلة فى دفع البرغوث ان تأخذ شيئا من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت قشور النارنج (بعوض) قيل أنه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد إنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله أنه إذا جلس على عضو إنسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى إخراج الدم وعنده شره فى مصاحبتي قيل أنه لا يمص شيئا فيتركه باختياره إلى أن ينشق أو يطاره ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وان ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه حرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات سديدة المتن رهيفه الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى لعيشك مع نشك فيه البعوض يململه فليس له قرار
ويثخنه فليس له نهوض حماه قرصه وطنينه ان يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغاني تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى وقال الزمخشري فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى مناط عروقها فى نحرها
والمخ من تلك العظام النحل ويرى خرير الدم فى أوداجها متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها فى ظلمة الاحشا بغير تمقل ويرى مكان الوطء من أقدامها
فى سيرها وحثيثها المستعجل ويرى ويسمع حس ماهو دونها فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان منى فى الزمان الأول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صارله صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها إبراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) فقيل ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه المزكوم زال الزكام منه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الإنسان وهو انواع منها الجواميس وهى اكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر واناثه يضربها الفحل فى السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهب

الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيام العرب إلى ربا نجد ولا زالت لخول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك الضمار وتهيم بواديها الذى يجب أن ترفع فيها على أعمدة المدائح بيوت الأشعار وينهى بعد أشواق أسيمت الدموع بها فى محاجر العين معثرة ولو لم يقر انسانها بمراسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ما كنت عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك إلى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وحشت حولها تلك الاسود الضاربة فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك إلى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبيب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فأنشد به لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب إلى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت إلى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام

فسال وقد وقعت عقيق دمعى على أرض المصلى والقباب

واذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور و بالحمل (عجيبة) حكى في الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشرب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة ترعى فرغليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض اماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويحملها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوتاه (١) له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه وإذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلى به على الأثر الاسود في البدن أزاله وخصية الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فإنها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان وإذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والأخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسية للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع مافعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وإن أمسكت اثنتين كان كثير الخصب وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة ارجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر يقول المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة اذرع إلى عشرة في عرض ذراعين او ذراع ويقيم في البحر تحت الماء اربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بك الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له

(١) قوله له كيوناه بهامش ابن خلدون لوتياه كما في المزهر وروح واللهجة انتهى وليحرر

ونظرت إلى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت أن وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب واصطليت النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فشبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركبت في ميدان الحصى فوجدت أوكانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في موضع القصر واصبح أهله في خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لأهل العصر وتأملت تلك الالسن الجمرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بألسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر إلى البلد وقد تلا بعد زخر في سورة الدخان فوجب ان اجرى الدموع على وجيب كل ربع وانشد وقد دخل صبري بعد ان كان في خبر كان

* دمع جرى فقضى في الربع ماوجبا *

ووقفت اندب عرصاتها التي فحت بالبين فخابت من اهلها الظنون وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم

 صدقت المثل بأن القمح يدور ويجيء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعد

القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج * وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت فيها خضراء

﴿حرف الثاء﴾

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات أنه أهدى إلى أبى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الانسان منه نشرهما وإذا بعد لصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى أنه قال مرض الاسد فعاودته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد إذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبره بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء وقال وأى شىء أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعدة قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضرب به الأسد فى رأسه فرضخه فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغذى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث

آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخليفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكر ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب آها لمصر وأين مصر وكيف لى

بديار مصر مراتعا وملاعبا
الدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما قدم على نارين وسلقوا من الألسنة بألسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة العادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رحيل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون والعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وما تم على أهل دمشق فى كانوا الترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال يالهف قلبى على وادى دمشق ويا حزنى عليه ويا شجونى ويا دائى فى شهر كانون واقام الحريق ولقد يتنفل

يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الأسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال على التاج الأحمر الذي ألبسته هذا وأشار إلى الذئب (وحكى) أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوء وأرجع * ومن العجب في قسمة الارزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع (الخواص) رأسه إذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه إذا جعل على رأس أقرع نبت شعره إذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الإنسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبدالله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخل بيته فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وإذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله ﷺ لقد كنت استظل بجفنة عبدالله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئا قال لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وإنما يكون هائما هاربا وإذا أراد أن يبيض ذهب إلى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو الحيوان الذي ينقاد إلى رئيسه كالعسكر إذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاء جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الأمة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل الدر إذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه

أحرقت بالنار يا كانون أحشائي نظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى فلما أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب وما لها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا لحل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الأوتار فاعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحروب وحفظ أبوابه المقفلات فاوقفنا على باب الاوجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

أن الإنسان إذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان ﷺ أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي ﷺ بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير فى بيته ﷺ فمات فمكث النبي ﷺ أياما يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شىء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلىء ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم وإذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق إلى نبى لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قالا تئتى به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له ان اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يخور الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه وإذا بغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتى الكلام على الكلب فى حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم فى وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا فى مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائها ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه إذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكاد أن يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فإذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقارين الرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى والتهامى أبيض وله شدة الطيران وإذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر فى الغالب عشرين سنة وإذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان كل مع بعض مقدمى الأكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فمر بى تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع إلى فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا لى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدتا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (والخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين وإذا سعط بها إنسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الأسود والرمادى وهى لا تصيد الا الخطفا وفى طبعها تقف فى الطيران

فضائله سور على المجد حائط ۰ وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا ۰ كم حلوا عليه وظنوا فى طريق هلكتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعت فيه أنفاس الرجال فقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وإلى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وإلى كواكب الاسنة وقد انتثرت وإلى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل وقد بعثرت وإلى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت وإلى نار النفط وقد نفطت من غيضها وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلك المنايا السود وهى ذكور وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له وإلى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها فى طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد

وهى

وهى أحسن الطير مجاورة لأنها إذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال إنها طرشاء وفى طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لأنها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال ان عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت إلى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الأرض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل شمالا لجهة اللسع ثلاثة أميال ابرأته ودسمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وإذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل إذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال أنها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك أن الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة وإذا مشت تطأطىء برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه إلا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية إلى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبى ﷺ أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها إلا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى ﷺ يعفورا وقال أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه وإذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبى ﷺ ذهب إلى بئر كانت لأبى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى ﷺ فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض ، فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الأرض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى إلى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ، ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب أنه قال لا تركب الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك ما ينبغى المركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته ادلى وان

فلك إلى العشير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحل كل قيسى يمانيا وتقدم لخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الأمر العسير فقلت

وغير بدع النسا • إذا تنكرن العشير

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته باخلاص وزدت له شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد سورة الفتح والمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت إلى ماتحت القلعة من أسواق التجر فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الأسواق وقد سعرت

• الاموت يباع فاشتريه •

ونظرت إلى الأمير المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم فى ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وكم مؤمن قد خرج من دياره عذر الموت

تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى الغارة لاتوقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا محلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لايركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه إذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل لهم انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ماعندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلات والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولأجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو اطير منه لكن إذا ابصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذا رأى الهر ومن طبعه أنه لايريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويفسد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من أحدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى. واتخاذها فى البيوت لابأس به غير أنه لايجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانته حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شىء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله ﷺ اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شىء أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ * وقال الجاحظ. وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تبتاع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شىء من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعه وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والخوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرىء حرق النار إذا خلط بالزيت منه وذبل الاحمر ينفع للسع العقرب إذا وضع عليه وإذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) انواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه اخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الأجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصفر يألف المسجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض حصل له وحشة فخلق الله له هـذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك

وهو يقول النجاة وطلب الفراد وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد استدت فى وجوههم المذاهب ومالهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الأرض بما رحبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا واعدم أموالهم من كل عسر يسر ولانتهاك مخدراتهم من كل لجنه سترا واقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازدادت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت إلى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحرائق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه داثر هذا وكم هدات أسبلن من فوق النهود وانبا فتركهن حبال القلوب ذوائبا ووصلت إلى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاما ... هم واندهشت لتلك الانفس متى مانع من شدة الخوف وهى تستغيث للذى أنشأها أولى ... لا يجدها

لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لأنه وإن ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيئا ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ∗ تبقى الى كل الأنام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم ∗ أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب إلى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (لطيفة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال تمتنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه إذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لأنه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمل مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لأنه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي أنه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطاطىء رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر إذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه وإذا التقى نابه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الأكل ومن عجيب أمره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها وإذا عض كلبا سقط شعره وإذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره أنه إذا ربط على ظهر حمار بال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده إلا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الأرض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الأطباء فيها هو ذات يوم وإذا بطارق يقول من به وجع ذلك كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال أئتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المطروح ان الله تعالى ما خلق

مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت إلى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست لم ترقأ لي دمعة وأكلت الأنامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فأعيد ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتقربت إلى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدموع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت إلى ظاهر باب كيسان فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت إلى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فيالهفي على عروس دمشق التي لم تذكر بمحاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستبعدها

شيئا سدى وان فى أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شىء (الخواص) إذ قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفهما من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض وإذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ماذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لأنها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أوعلى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوب وقال إنى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى عزك وعز أولادك وفى الحديث مامن فرس إلا ويقول كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث أن الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى ﷺ على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الأنثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لأن ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لأن الحصان إذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى إذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصبروا عليها ... فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس ... ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ... وتكسبنا الأباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الأرض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال قد أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وأن الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له ياأخى ياعزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ماصنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة

فأكلتها

ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت احشاؤها بالاضطرام وقطع جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول بن أسعد حيث قال .

سقى دمشق وأياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن فى أحشا أراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيرها
ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها
ولا نسيت مبيت جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم أويناه بها إلى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ماكان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أو تار أنهاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمع الناس من قال

انهض إلى الربوة مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفى
فالطير قد غنى على عوده
فى الروض بين الجنك والدف

واصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الحنظل واليسر عسيره

فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل إن واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا لحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الأرضة حتى قيل أنهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت ه

وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الألوان فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين إلى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج إذا انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير أنها جارية حديثه السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بأنثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به إلى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لأنها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل أن الدب يقيم أولاده تحت شجرة العجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها إلى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع إلا بالفأس والجهد ثم يشذ به على الفارس فلا يضرب أحد إلا قتلته (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك وإذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل أن نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل أنها إذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث أن النبى ﷺ أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفرج من البيض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه يورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة إذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن نصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد إلى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه إلى أن ينفذ ما فى جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطرار وعند خروجه يهيج إلى السفاد ويلصق الذكر مؤخره إلى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقا بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا إذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من

من غير نوريه عطره الباسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشى المرقوم رسالة من النسيم سحر به وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت أندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشدو لم أجد بعد تلك النوبة المطربة إلى مغنى الربوة دخولا لم لا أشيب بالعيش الذى انقرضت

أوقاته وهو بالذات موصول ونقص يزيد فاحترق ولا ينكسر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر نور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب برد حصبائه ما يبل الحريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم ولا شدة الطعن بالقنوت وكسرت

قناة المزجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك المنطوق الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على

النسج فيموت، وهو سريع العطب حتى أنه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر لا يزال يعالجه

كذلك دود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(وقال آخر) يفنى الحريص بجمع المال مدته ... وللحوادث ما يبقى وما يدع

كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(حرف الدال)

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه إذا سقط من بين أصحابه لايهتدى إلى الرجوع إليه وفيه عن الخصال الحميدة مالا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل أنه ليوقته ويقسمه وربما لايخرج فى توقيته وفى الصحيح إذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك للعرش * وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث أن النبى ﷺ قال لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لاإله إلا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى ﷺ أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارىء القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لاتسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لإبراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شىء يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج لمصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح إلى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق إلى هذا القدر فأرسل إليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسماعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى عما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونه ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث إذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الأخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى ﷺ أنه كان لايقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا إن الذباب إذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى

يصفى لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لايملكون حبة طالما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديرة فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لاحاجة لنا بحمص والجزيرة فياله فى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين ويا شوقى إلى رأس تلك المرحلة التى كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس وأضحت باكية على فرق الأبلق واخضر ذلك الميدان (يامولانا) لقد بكى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ماجرى من أهل الشهباء هل فى الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال قل للذى قايس بين حلب وجلق بمقتضى عيانها ما تلحق الشهباء فى حلبتها تعثر الشقراء فى ميدانها فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبوا الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى

زنبور لحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هــذا كان حتفا قاصيا ولولا هــذا العلا لقتلك وقال الجاحظ مع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن مايكون وقيل إن المواشط تستعمله ويأمرون به العرائس وقيل إن الذباب إذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش وإذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو تمامــة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالأخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وإذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب وإذا جاع عوى فتجمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه وإذا خاف منه الإنسان طمع فيه وليس فى الأرض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه إلا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولايسمع له صوت وقيل إذا أدماه الإنسان فشم الذئب رائحة الدم لايكاد ينجوا منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاما كما أن الحية إذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجوا منه وكالكلب إذا عض الإنسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل لايعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب وإذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فتقدموا اليه وإذا هم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون بالفئوس إلى أن كسروا فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية لمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ماصنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا فى البحر والقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل إنهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور يقال إنها صماء وسبب ذلك ماقيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لاترشد أحدا إلى موضعه .

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال إنها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح فيها خلقته بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الأربع فإذا جاء الشتاء دخل تحت الأرض وبقى إلى أيام الربيع

تغمر قناته غمرا وأنشد ومن ظن أن سيلاقى الحروب وأن لايصاب فقد ظن عجزا ودخلت بعد ذلك إلى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة فقلت يارب مكة والحرم أنظر إلى أحوال أهل المدينة ولكن ماذخلت بها إلى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وأعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقراً ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يانار كونى بردا وسلاما فحسن أن أنشد قول ابن الجوزى من كان وكان الحار عندك بارد

والنهر أمسى منقطع والعين لا ماء فيها

ما حيلة القوام

وأتيت بعد ذلك إلى الجامع الاموى فإذا هو لأشتات بالمحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية وتشوقت إلى النظم والنثر لما نظرت إلى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع إلى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال أرى الحسن مجموعا بجامع جلق

فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه إذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنار ويغول بالليل وأكثر مايوجد بالغياض وإذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله الف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلايلتفتون إلى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف إذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع إذا ابصر الإنسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الأزرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قال بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل أن الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الإنسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى يغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل إذا بال الهرشم بوله ودفنه قيل لأجل الفار فإذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هودود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال .

ألا كل من لايقتدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شاد هوار) حيوان يوجد بأرض الترك يقال أن له قرنا عليه أثنتان وسبعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل أن فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وأنه أهدى إلى بعض الملوك شىء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال أن من الحيوان شيئا يوجد بالغياض فى قصبة أنفه أثنا عشر ثقبا إذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فإذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر إلا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج

عبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته رأيته فى القبلة من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش ولذلك الناظر هذا وكم نظرت إلى حجر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واحتفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جد الفسق ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت طبقا عن طبق وأصبح روحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء أن تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها إلى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة سكبه الطيبة وحلاوة سكبه الطيبة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله لو أن مشتاقا تكلف فوق ما .

وفى وسعه سعى اليك المنبر وودت العروس أن تكون

الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير اسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة وإذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها أنها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها   أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

من العجب أنه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره وأليات فى كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر أليه الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها إذا تسافدت وقت العصر لاتحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه وإذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها وإذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه وإذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره فى الأرض الصلدة وعنده بلم فربما لايهتدى لجحره إذا خرج منه فلذلك لايحفره الابقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لايشرب فانه يبول فى كل يوم أربعين قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الأرض وتتعاهدها فى كل يوم إلى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة بصره وإذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان اعرابيا أتى النبى ﷺ وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أماعلمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم اقبل الاعرابى على النبى ﷺ وقال والله لا آمنت بك الاأن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى ﷺ ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول الله رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد

بمجاورة خمانها لتبل ريقها برحيق الامن إذا نظرت الى عاصى الحمدية وقد دخل (١١٥) جناتها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد انقطع قلبه بعدما كان يذب وينجرا وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهدة ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استمدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشه بالهدب من جفن ساهر متصلة اطرافها بدموع ونظرت إلى الربان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار مايعرف من أين الطريق إلى باب المياه ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق ومنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم سنة ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات إلى الدرج فى دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حيفة كم

خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك اشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الأرض أحد أكثر محبة منى اليك ولأنت الساعة أحب إلى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى ﷺ الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى يا حبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال إلهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال يا حبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه أعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه الف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى ﷺ فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبى ﷺ خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة التى ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ إذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شىء بعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل الماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار واول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكر الله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لأسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ما جف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويفسد الذكر فى أيام الربيع ويرى ريشه فى أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طالت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق بيديه

وفرعها فى السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضاء أو عمود وقاه أشار الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان أكاليل الجوزاء له من جملة البضائع او أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثأرا عند بعض الكواكب فخفض لفقد الماء مناره وخفى بعدما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادى

بيض مائى وعطل الدرحالى فتمنيت من لهيبى بأنى أشترى غيضه بروحى ومالى

فلا والله ما كانت الا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه وانتسم ثغر دمشق عن شنب مالرى بعدما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعدما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كانت لها على تحريك الاوتار جس الميدان نعم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود

وصمت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة الحد نقص فى المحدود وفاضت غدران — كالفرد

كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الأسد فاذا انتهى سكره وانقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لأنه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شيء قدير

(حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر هى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويله العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبي يريد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى إسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى بنى إسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان اخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خورا كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وإنما فعل باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم تنشدلهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وإنما كان النبي ﷺ مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ أنها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثيرو العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لاتضرب النائم الا إذا تحرك شيء منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) وقال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذا مررت بشاطئ البحر رأيت عقربا أسود قد أقبل الى ان جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها

الرحمة على رياض الأمن فظهر لنا من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى اذهب عنا الحزن بعد

فالمعذرة من فهامة هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب بأقلية والصفح عن طولها وقصر بلاغها بين يدى تلك المواقف السحبانية وليكون محمولا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكسيره ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للملوك فى طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى

فارقت مصرا وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل الملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال من الرحمن ماوصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه

غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت :

يا راقدا والجليل يحفظه ، من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ، يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت على هذه الخصلة ثم جربنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالك الزمان فحارب	وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما	تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد	وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز	عليه من التضييع فى غيره واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك	يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) إذا لدغ أحد فقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والأرض إلا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى المحسنين إن ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم ، وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من العقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى ﷺ أما أنك لو قلت إذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الأترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شىء من ورق الزيتون برىء أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى إلا الأماكن العالية وإذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه إذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخذ بها (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والادمى إذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا وإذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن ، خواصه ان البيت فاذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض وإذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس إلى ان خطفت

الوافعه واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لمعيد حربهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره ، من فوق ذات عماد شادها إرم

لا يجمعون على غير الحرام إذا ، تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى انه شلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وغيره فى المرسلات وفكرة هل أتى (هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الألم بعد ما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل إلا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل إلى البلد وقد ود يومه لو تبدل بالأمس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

ماتفعل الأعداء فى جاهل ، مايفعل الجاهل فى نفسه

عروسا بحليها فذهب أهلها إلى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها إلى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ماتقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج إذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى إلى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت إلى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ماولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها مايحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شئونها وعمد إلى البيت فشق بطنها بسكين وهرب قال لجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة معه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك أخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى إذا كان فى بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع إلى الدار وصعد إلى قصرها فلم يراها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ماهذا قالت له لا أعلم إلا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وأنها حين رأتنى كذلك دعت بعض الأطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الأثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم ان يبنوا له بناء ولا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ماأرادوا فعملوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه ليرميه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بإبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم إلى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيئا قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى ﷺ وعلى غار عبدالله بن انيس لما بعثه النبى ﷺ لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان

الخاتمة (قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشا ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك مايحتاج اليه المنشىء الكامل الأدوات من المحاسن اللائقة به والله المستعان (قال أبو حيان التوحيدى) يجب على المنشىء أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم الشعر نظيف الثواب لطيف المركب ظريف الغلاف ليق الدواة حاد السكين مترددا إلى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رفيق الحواشى ترف الاحراف عذب السجايا حسن الحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف الألفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة

(آداب الكتابة) روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت

 سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل فيها قل ادعوا

جالوت يطلبه * (الخوص) * نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة إذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم إذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه * ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما رطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الأكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ماسمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول إذا صاح مرتين فشر وإذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والأب يسعى فى طعمتها إلى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتنفر منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فيأتيها ومنه قول الحريرى

يا رازق النعاب فى عشه   وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقيم من الأرض ما وجد ويسمى بالفاسق لأنه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط وترك ما أرسل إليه يسمى بالبين لأنه إذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه إذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) إذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده وإذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشه فلا ينتفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى اعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة إذا قطر فيها (فأرة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى ﷺ انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى إلى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها الزيت فتشرب به وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن

الله أو ادعو الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر ابن عبدالله عن النبى ﷺ انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابا إلى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التى أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه والعنوان فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الأثر

أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في اناء فان لم تشربه فهي منهم (الخواص) عينه تشد على الماشي يسهل تعبه وإذا بخر البيت يزيل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان غليظ أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده يوجد بالنيل ووجهه أوسع من وجه الفرس تصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الإنسان وغيره (فهد) حيوان شرس الأخلاق قال ارسطو هو متولد من الأسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني (قيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والأنثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده وإذا أرادت الوضع دخلت النهر لأن رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل إن ثدييه في صدره كالإنسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثمانمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضاً يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم اني رأيت الفيل بعدكم ... تبارك الله لي في رؤية الفيل

رأيت بيتا له شيء يحركه ... فكدت أفعل شيئا في السراويل

وقيل إذا اغتم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ه ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والاخر في يد راكبه فاذا أراد شيئا غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتناسل في غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل الف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم انت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم

وهو أثر الكتاب ممن وإلى من هو كما قيل ضحوا باشمط عنوان السجود به ه (والقلم) لا يقال له قلم إلا إذا بري وإلا فهو انبوبة (ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الامدى منقول من خط الوداعي

تمشي البراعة والمداد وراءها ... ظل على شمس الطروس ينوع
عرض الغواني لو تلوح لمسلم ... هذي المعاني راح وهو صريع
لو لم تكن الفاظه خطية ... ما راح سرب اللفظ وهو منيع
الفاظه رقت بوجنة طرسه ... فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه ... في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا ... فغدا يروق بفصله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا ... حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور ... والطل يروي الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه ... هذا يضيء به وذاك يضوع

وقل للناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساءنى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده إذا بخر به بيت هرب بقه وإذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة وإذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر وإذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ماءمسك الله البحر فى هيجانه عن يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه يبروالديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيره وعنده لواط حتى قيل انه يعدوخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما إلى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى ... بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف ... وما قصرت عنه فى الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ماأطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لايؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه وإذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يفسد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركندى) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لايستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولاتعمل نابه شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة وإذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها إذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذاشبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهندانه إذاكان ببلادلم يدع فيها من الحيوان شيئاحتى يكون بينهاوبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبةله وهربامنه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه إذاسمع صوته فيقتله ولايأكل منه شيئا (كروان) طير معروف لاينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع مايبصره ولا يحتمل المغابنه (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه إذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى

المداد متى جرى
بثغر الدوى المعسول
أبدى اللمى العذبا
(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى نقابه
ان خط خطا أطاعته
المقادير
بحر وبتحرير العلوم إذا
جرى يرى منه تحرير
وتحبير
غصن عليه طور العلم
عاكفة
جانس النور من أوراقه
النور
وأشقر بده البيضاء غرته
له إلى الرزق فوق الطرس
تيسير
بل أسمر عينه السوداء
تلحظنا
وهدب اجفانها تلك
التشاعير
أوسهم علم باطراف
السطور غدا
مريشاوله فى الضد
تأثير
كذاالحابره سود العيون
فان
دانت أياديه فهى الاعين
الحور
(ويعجبنى قول الشيخ
شمس الدين المزنى فى
الدواة
أنادواة يضحك الجود
من
بكاياراعى جل من قدبراه
دلوا على مثلى من شفه

داء من الفقر فانى دواة وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولها

بفهم أنه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى وإذا مشى وطىء الأرض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به وإذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء إلا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعليم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى ... ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى ... وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل إلى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا إلى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينتته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه لجاء عدو له فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وامر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره إلى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب إلى ان كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه إلى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه ... وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك) ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم إلى موضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا يعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لأنه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله إذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا إلى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الألفة فيه لأولاده إلى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام

سهم يراعى نصله نفاذ وأسمر الخط لديها قاصر لأنها على الحمى فولاذ (قلت) ويتعين بهذا وصف اقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا فى وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهى أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم ان اباطاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباته انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهى) يقبل الأرض التى قامت بحدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها وينهى وصول السكين التى قطع بها اوصال الجفا واضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الابلغت الاقلام من تمنيها إلى الحفا زرقاه وكم شاهدت منها البيض الوان خرساه ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة ما رؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضيه العزم قاطعة السن فيها جدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلة من الطرفين أنملة صبح تقسمت بسواد الدجى ولسان برق امتد فى لمواعد الليل فتشكيه

وذلك لأن قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب إذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه (فائدة أخرى) قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان مايدخل الجنة إلا هو وكبش اسماعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى ﷺ (فائدة أخرى) إذا نبح عليكم كلب وخفت منه فاقرأ يامعاشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان وقل بعد ذلك لا إله إلا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(ابلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى إلى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه له فيه رزق ثم يرحل إلى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لأنه قيل انه لايشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء وإذا نشف الضحضاح حزن لأنه لايستطيع العوم ونظيره ذويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون إلى صغير من خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا إلى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الأرض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة إلى جحرها تجمع فى حرها لبردها فى وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولايحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها ومافى الجوف من شراسيف بطنها ومافى رأسها من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا إله إلا هو ولامعبود سواه وقيل إذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته إلى ظهر الأرض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد إلا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لأنها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشىء من بعيد ولو وضعته على انفك لم تجد له رائحة وإذا عجزت عن حمل شىء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا إلى باب جحرها وقيل إذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه أنه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة وإذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة واكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فأخرج ذلك فأول مايخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الأصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى أن شخصا شكا النبى ﷺ بطن

آشعة الانجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزن إذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح يمرقا غير الجدر والمعصن أحطنا تدخل فى مضايق لبس لسيف قط فيها مدخل وكثيرا نفعله توجزه والرمح فى تعقيده يطول أن هجمت بحفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جارت بها الحد على السيف تنسى حلاوة المسالى فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعدالته انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل ان يتكامل لها النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا إلا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعدة ووالله ماوقعت فى قبضة إلا أطالت لسانها وكامت بحده ان أدخلت إلى القراب كانما قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركيب جدول السيف وهو محر غمده غريق وله سمع بها من قبل

أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه
لم يزل فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك أسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى
(نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج
من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال
له بعض من حضره من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك مايخرج من بطون بنى هاشم فضحك
الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) إذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به
نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولبقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه
نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعش الف سنة وله قوة على
الطيران حتى قيل أنه يقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل
أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ وإذا
سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الأكل وعنده شره قيل انه يأكل
حتى يضعف عن الحركة بحيث ان اضعف الناس لو أراد مساكه فى تلك الحالة أمسكه وإذا
باض ذهب وأتى بورق الدلب لجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لايحضن البيض
وإنما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو
شم الطيب مات وعنده الحزن على فراقة الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفى
الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يامحمد لكل شىء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم
أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور
رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة
(الخواص) إذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس
مقضى الحاجة وإذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها * (نعام) * يذكر
ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها أنها تبيض بيضا طوالا متساوية
القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون
منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض
نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم
كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على
ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل
كل حيوان إذا كسرت رجله مشى بالأخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة
الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لاتشرب الماء كالضب ويقال
ان القناص إذا أدركها أدخلت رأسها فى شىء اما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة
قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفى طبعها الأذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل
ان الذئب لايتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما إذا رأياه ركضه الذكر
الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه إلى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا
وقيل أشد مايكون عدوها إذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لايسمعان
النعام والافاعى وسأل أبو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه
ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير

ضربة ماحل التطريق فلو عاصرها الكمال تعرك من قوسه الأدنين وقال له جحدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلتك السكين منك المعظم وصار عليك قطع وانبرى امرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة. ليس لها من تركيب النظم الا ماحلت ظهورها أو الحوايا أوما اختلط بعظم ولو لحمها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينة كل أو أدركها ابن نباتة ماأقر برسالة السيف وقل وقال لقلم رسالته اطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح بحر فقرى وتأتى فى كل وقت بما يبرىء من داء الاحتياج ويبرى (قلت وعلى ماوقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين أن تورد ماوقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها (قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) لعمرو بن معد يكرب كيف تقول فى الدرع قال أخوك وربما خانك فانقصت قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه مايخطىء وما يصيب قال فما تقول

الذئب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أنثاه لاتتبع ولدها إلا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لأجل الصياد حتى لايظفر به وإذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الأسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لايأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيئا صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره.

* (حرف الهاء) *

* (هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الأرض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يانبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) إذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه وريشه إذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه ومن علق عليه لحية الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

* (حرف الواو) *

* (ورشان) * طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه إذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه وقال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد إذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الأعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارىء.

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد من هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لايموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد وإذا مشوا في الأرض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الي بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شيء يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال أن صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والأخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث أيضا أن الله عز وجل إذا كان

في الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول في السيف قال لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى أضرعتني يا أمير المؤمنين (الشريف البياضي)

وأنا إذا الأرواح ذابت مخافة
فتحنا بأشطان الرماح وكلها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا
خلقنا بحد المشرفية أفواها

* (وقال أبو العلاء المعري) *

غراراه لسانا مشرفي
يقول غرائب الموت ارتجالا
وديت فوقه حمر المنايا
ولكن بعدما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

* (وقال النامي) *

ذو مدمع من غير ماء مستعبر
وتبسم من ثغرة متوالي
يريك من لألائه متواقدا
حتف المنون به على الآجال

* (وقال الغنوي) *

كأن على افرنده موج لجة
تقاطر في حافاته وتجول
حسام غداة الروع حتى كأنه
من الله في قبض النفوس رسول

(وقال وحيد الدين بن الذروي) *

قنعت بأجساد الأسود لراحتا
مفتحة المنايا عن عيون الثعالب
وانطلقت أفواها الي قمم العدا

يوم القيامة قال آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله ﷺ ابشروا فان من يأجوج ومأجوج الفا ومنكم واحدا وفى الحديث أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت إلى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لابأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كأنه من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله ﷺ من سر أن ينظر إلى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجىء إلى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان إلى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال إذا وصلت إلى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ركب الجنى إنسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ماأمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الاوقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساهر ومن حين ذبحت الديك سبت من صبية عندنا عقلها فلانفلتك الاالى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقيل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك علمتك على ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل فى خواص الطير والحيوان على الإجمال)

الضب والخنزير لايلقيان شيئا من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعود بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له والبعير لامرارة له والظليم لامخ لعظامه والحيات لاألسنة لها والسمكة لارئة لها لأنها تتنفس من كبدها وكل حيوان لاحافر له فله قرن ومالاقرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ماقصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

وذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الأرض قبل آدم ثمانية وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور واذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر

وقد رسفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الادماء الثرائب
(وله)
سكران من شربة خمر الدماء فان
حياه نور الطلا غنى لها هزجا
(لسان الدين بن الخطيب
خليج هند راق حسن صفاته
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فأوشكت
تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه
مورد والشط منه مهدل
(القاضى الفاضل)
نمد إلى الاعداء منها معاصما
فترجع من ماء السكلى بأساور
(وله من أخرى)
ولرب هاتفة عليهم للوغى
جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتله من غرقاها
(وقال ابن قلاقس وأجاد)

من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الإنسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ماوجهه لآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقول ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولاأحسن ولا أجمل من الإنسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الإنسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الأشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الأمر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب وإياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى إسرافيل عليه السلام على صورة الإنسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة إسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الألباب دخلت إلى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائتان مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أودبقي كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الإنسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة عن جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان إذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لايصل إلى ركبته رحمة الله عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الاحمام واحدة وكانت له أخت طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب ابن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا انه كان لايوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الأرض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حضر بنوا إسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عزوجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال أن موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل إلى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ماقيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع لكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

حجة
فياأضرب ابي حسين بالنسك أحرمان
تنسك بالاسلام لكن رأيته
يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل للماسل من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما

(مجير الدين بن تميم)
لما قنيت من الصوارم أعوجا
يجرى القضاء بنهره المتموج
حبت القفار وفاجأت أوانيا
للماء منى تقى بنهر الاعوج

(وقال الغزي)
وقد سلب الطعن الاسنة لونها
فمصفر في اللبات ماكان أزرقا
وأسيافنا في السابغات كأنها
جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)
موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطىء جدول ثملا

(جمال الدين بن نباتة)
وصار كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
الغمد احد ولا يبقى الثنون به أضحى يقذف على حافته العلق

هي أول من بغى في الأرض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وامره أن يدفعها إلى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنه على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين (ومن ذلك) ماحكى عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد الحمدية في جبل من جبال الموصل إنسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيدوهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ماأرسله بطارقة الارمن إلى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال احدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا والله لايمكن فصلهما ويقال إنه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ماذكر أنه أهدى إلى أبي منصور الشاماتي فرس له قرنان وثعلب له جناحان إذا قرب منه إنسان نشرهما وإذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا لايبعد فإنه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قرص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية ولله الحمد على ماأنعم به علينا لانحصي ثناء عليه (ومن ذلك) الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام بشيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء وذات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لايفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لاتوجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال إن هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ماذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها فانفتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن مايكون من النساء ومن صرتها إلى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها وداثر عليها كالازار فأخذها الرجال إلى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فالقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا إذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذوا منهن اثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طال

(وقلت)

وسيف له في الحرب حسن تغزل
إذا مارآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا الفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي

(قلت)

وقد وجب أن نذكر هنا ماوقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح (ذكر القاضي الرشيدي ابن الزبير في كتابه والعجائب والطرف انه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون الف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون الف جوشن ومائتا الف رمح (وقال الفضل بن الربيع لما ولي الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين أمرني أن أحضر مافي خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون الف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس والف درع محلاة والف

الهواء وركبوا البحر ووثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ماذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم أنه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له ألقت له صدفا كثيرا فيه ودر ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شىء لا إله إلا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة إلى قدرة الله تعالى قليل وإذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل إذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الأشياء من آياته .

فيا عجبا كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحـــد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شىء فلا تكن مكذبا بمالا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الألباب فى بلاد السودان أمة لارؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولايعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل إليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وان ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لايمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الأمة التى لارؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم ❊ وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لاخوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لايقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق القطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته

درع عامة وعشرون الف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة الف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة إنتهى

(قلت ويعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة)

أمتصل الرمح الطويل بكوكب ... من ذابطاعن والسماك ستان

(ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الغنائم عنوة ... بسمر العوالى أو ببيض القواضب

رماح بأيديهم طوال كأنما ... أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلاقس وأجاد)

وقد كحلت بأميال العوالى ... أساة الحرب أحداق الدروع

وشب البأس نيران المواضى ... وأسبل غيث أمواه النجيع

فللفرسان من حل وحل ... حديث عن مصيف أو ربيع

(ويعجبنى أيضا قول القاضى الفاضل من قصيدة)

فياعجبا للملك قر قراره ... بمختلفات من قنال السواخر

طولعن أسرار القلوب نواظر ... كأنك قد تقلتها بنواظر

(فى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد)

بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزو آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) انه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى إحداها تمثال فى الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة إذا رأوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أزوة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته إلى الف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال . وقد اقتصرت فى ذلك على ماذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال الله تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا وسهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون إلى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم القى عليه قوة شهوة الفساد فهو لا يلد لكنه يلقح الطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون الف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى إلى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى

الدماء وينهل عجبا له ان النجيع بطرفه رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الامدى)

غصون بها طير النفوس تنافرت
وعهدى ان الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من التبر حولها
ولا زهر الا من انصر يقطف

(ابن نباتة السعدى)

وولوا عليها يقدمون رماحنا
وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم
عيونا لها وقع السيوف حواجب

(قلت) رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة

(فنظم المقر المرحومى الفتحى بن الشهيد قوله)

إذا الغبار علا فى الجو عثيره

طعاما قال مالم يذكر اسمي عليه فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا قال مصايدك قال النساء

(فصل فى مكايده لعنه الله) منها أنه كان فى بنى إسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جارله بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فاضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك ياأرحم الراحمين (ومن ذلك ما اتفق ان بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشىء لايعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام رآه لايرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاورا معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره قال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك . ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة)

. منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لايعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا وأناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها قالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه . ومنها نوع يقال المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله إنى لأعلم أنه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم ينشد الشعر . وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كمعلمى بجملك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمل ثم غاب وأتانى بغلام

(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين)

أنا امرؤ والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل عيش العداة لاننى نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تفاهمت الكماة بجحفل كلمتهم فيه بكل لسان
فنخالهم غنما تساق الى الردى قهر المعظم سطوة الجوبان

(ونظم المقر المرحومى وهو اذذاك كاتب السر بحمص المحروسة)

وروس سنانى حين تجلى على العدا وتظهر تبدى ماالهم من بواطن
وقد صيغ من هم قبين صدورهم يجال له رحب فسيح المواطن
سينقلون يوم الجمع غبنا لموتهم بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فى وعدلوا فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الامدى سامحه الله)

النصر مقرون بضرب أسنة لمعانها كوميض برق يشرق

مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شىء من ذلك ولا فى وجع من الأوجاع إلا برىء وخلص صاحبه ه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال أن رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم إذ رأيت نار عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها وإذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى وما زلت أرددها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الأرض فقالت هاهو قد أتانا فانخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذى للحين يدعوه القدر خل عن الحسناء رسلا ثم سر وان تكن ذاخبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

ياذا الذى للحين يدعوه الحمق خل عن الحسناء رسلا وانطلق ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما يئس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخلى بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية إلى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد ه وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والفيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الأنواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الأشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال إلهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ه ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسئول فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الأول فى ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها إلا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء (واعلم) أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند

ينسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فنسخهن محقق

(وقلت)

أنا درع وراغ الاوق يخشى
من سمرى اليه يوم الطعان
واذا أنكروا عدالة قدى
يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه
قلب سيف البرق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه بالسنان

(مجير الدين بن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا
فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى
تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف والقيروانى)

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان بأطراف الأسنة شائبا

(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف أن أول من عمل السنان من حديد ديرون الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر. (قلت) لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس

ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على إصابة الغرض لأثبتها هنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لاتدرك (وهى) ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا (ومن غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم) إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلطا بعظم (وممن أصاب الغرض بالغازه فى القوس) الشهاب الاعزازى بقوله ماعجوز كبيرة بلغت عمرا طويلا وتنقيها الرجال قد علا جسمها صفار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال ولها فى اليدين سهم وقسم وبنوها كبار قدر تبال (صفى الدين الحلى ملغزا فيه) وما اسم سراه فى البروج وإنما يحل به المريخ دون الكواكب إذا قدر البارى عليه مصيبة عدته وحلت فى صدور الكتائب (الشيخ بدر الدين بن الصاحب) لله مملوك إذا ما قام فى الفضل اعترض

خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الأسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الأسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى ﷺ عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين إن وضع رجله فى البحر حصل له المد وإذا رفعها حصل له الجزر وقيل إنما سمى البحر الأسود لأن ماءه فى رأس العين كالحبر الأسود فإن أخذ منه الإنسان فى يده شيئا رآه أبيض صافيا إلا انه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فإذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لأى شىء ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الألوان فى هذه المواضع و الماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الأرض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا وقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله ﷺ ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شىء من لحمها فتطعمنا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها إلى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا إلى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالفل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار إذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا إلى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا وتحركت الجزيرة وطلبت البحر وإذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شىء لا إله إلا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلق نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فإذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لأنها اذا سمعت تلك الأصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فإذا أنا بذنب حية صفراء منقطعة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فأخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من الصخرة تحت تلك فسللت خنجرا

كبيرا كان معى فطعنت به رأسها ففار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الحجر فتركت الحجر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيئا قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شىء كثير من النارنج الأحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجرة فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك يضرب من يدى فلففت يدى بكم ثوبى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة إلا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لأى شىء يصلح ذلك قالت ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الأرض التى كنت فيها عنب ففرحت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الأولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البحر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل إلى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل وإذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل أن بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل أن الدرفين وأنواع السمك إذا

لكنه فى ساعة يحصل لك الغرض (ومن الغايات التى لا تدرك

لغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى السكتوان) ما رفيق وصاحب لك تلقاه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى وتراه فى غاية الابهام

(قلت ومن نظمى فى القوس)

قوسى إذا جذبته يطربنى بجس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته يرى له فى طارة البدر أثر

(الشيخ جمال الدين ابن نباتة)

فديتك أيها الرامى بقوس ولحظ ياضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب وشبه الشىء منجذب اليه

(قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها ومجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن إذا كنت منشىء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية

سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر . وقيل أنها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهى فى طلوعه إلى ذلك المكان وقيل أن فى البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الأمطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لاتحصى ولا يمكن حصرها ويقال أن الاسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا إلى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال أنه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال أن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه اسمك وأعرض وأنعم ويقال أن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الأمة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال أن هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر تشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل أن سلاسل خيلها ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين ويقال أن بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام وإذا جاوزت السفينة الأبواب سارت فى ماء عذب حتى تصل إلى المواضع الذى تريده وفيها من الأدوية والأشجار والانهار ومالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام وإذا بحيوان عظيم صعد من البحر إلى أن علا رأس الافق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقال له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان ومن هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا إله إلا هو العزيز الحكيم وقيل أن بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك وإذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل أنها معمورة بالجان وقيل يخلق من النسناس ويقال أنهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون إذا أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح سمعنا قائلا

المحروسة يتعين على أورد هنا لكتاب الانشاء من فنه هذا الفن ما يحتاجون إلى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم إلى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه ، ومن أمثلته الشريفة فى الكتاب العزيز أن الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * ومثله قوله تعالى إن الينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم و قول الحريرى فى المقامات بطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن يأتى المتكلم فى آخر كلامه أو فى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآ ال

يقول من الشجرة يا أبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيق دعهما قال فلما رثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى ـ دهرى من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان إلى متى إلى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وشواه فعفته ولم آكل منه شيئا فتبارك الله ما أكثر عجايب خلقه لا إله إلا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الأنهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الأرض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الأنهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الأرض وأطول ما يكون من الأنهار الف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ إلى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدىء من الجبال وتنتهى إلى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكننا نشير إلى بعضها فنقول (النيل المبارك) ليس فى الأنهار أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى بلاد الإسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل أن مسافته من منبعه إلى أن ينصب فى البحر الرومى الف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر . واختلف فى زيادته فقيل أن الأنهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث أنه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الأنهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور (نهر الفرات) يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية إلى أن يأتى إلى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات (جيحون) نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شىء من البلاد سوى خوارزم لأنها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها وإذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين (سيحون) نهر عظيم قيل أن مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن (الدجلة) نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل أنه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بارض ناشد أهلها أن يحفر ذلك عندهم إلى أن حفر دجلة والفرات . وأما الأنهار الصغيرة فكثيرة ولكننا

(ومن أمثلته الشعرية قول أبى تمام) تحلى به رشدى وأثرت به يدى ... وفاض به ثمدى وأورى به زندى

(الثالث المتوازى) وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى الناطق والصامت ورثى لى الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع) السجع المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب فى الله مرتغب

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن أن قصر الفقرات فى الانشاء يدل على قوة المنشى وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كأن راكبه فى مهد يلطم الأرض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا النداء السابع بما زاد على ذلك أكثر

نذكر منها طرفا فنقول (نهر حصن المهدى) قال صاحب تحفة الالباب أنه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه فى بعض الاوقات شىء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه (نهر أذر بيجان) قيل أن بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل أنه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل أن فى تلك الأرض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير (نهر صقلاب) يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام (نهر العاصى) بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت ... يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية ... تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

(نهر العمود) بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول ياعظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع (نهر بالين) قال صاحب تحفة الألباب أنه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجرى إلى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شىء يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا إله إلا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شىء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت إلى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا إلى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيئا كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما إلى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطرب اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال فقفز اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذاكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك (بئر برهوت) بقرب حضرموت وهى التى قال النبى ﷺ إنها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع إلى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة (بئر عسفان) ماؤها يستشفى به قيل أن النبى ﷺ تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل أن النبى ﷺ توضأ منها (بئر معروفة بأرض حلب) خاصيتها أنها إذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الأربعين وبنسيابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وإنما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها . وبارض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الأرض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود إلى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا إله إلا هو ولا معبود سواه .

التشوق إلى ما يرد منه متزايدا على سمعه إنتهى (وأما الفقر المختلفة) فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فإن زادت القرائن على إثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة عليهما وأن زادت الثانية على الأولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لا يكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الأولى (ومثاله) فى الثانية قوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لأن اللفظ إذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن مقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم الظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه) قول الصابى يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح

(الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الأرض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الأول فى ذكر الأرض وما فيها من العمران والخراب) روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواه الاثر ان لله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند والثانى الحجاز الثالث اقليم مصر والرابع اقليم بابل والخامس اقليم الروم والشام والسادس اقليم الترك والسابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين * والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاءان فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد فى ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شىء فأتقنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل أن الله تعالى لما خلق الأرض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ إلى ألف فرسخ * ولنذكر منها مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائة ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى إلى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لأن آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند بهمذان) برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار إذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت بها جبل به عينان أحدهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلمدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين وإذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمن) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد تجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثانى فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار أن أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة

بمعنى واحد ويسافر ويسير (وكذلك من فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشىء أن السجع مبنى على الوقوف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المنشىء بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك بالوقوف إذ لو ظهر الإعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة إذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما ابعد ما فات وما أقرب ماهو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشىء (ومن ذلك) أن السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة كقوله تعالى والضحى فالضحى أمليت وكتبت بالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة الشمس وضحاها

أمليت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن ذلك) حذف المفعول نحو قوله تعالى ما أودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قواريرا قوارير صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما) جاء من ذلك فى الحديث قوله ﷺ أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الأصل عين ملمة (ومنه) قوله ﷺ مأزورات غير مأجورات الأصل موزورات بالواو لأنه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه) قوله ﷺ دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لأن المشاكلة فى اللغة هى المماثلة وهى فى المصطلح ذكر الشىء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما فى نفسى ولا أعلم

والسلام وبقعة بكوفى من أرض بابل وبه إلى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (أرم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث إليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعا الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا احتاج إلى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الأمراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الأرض حتى وصلوا إلى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعين فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الأساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث إلى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيئا من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطه أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار وجذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلىء وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة من خرقه له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة أرم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت إلى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى ينبت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيئا . وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عبدالله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك

القصور

القصور والأنهار والأشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال ارجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ماظفر بآبله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع مارآه فقال له معاوية فى اليقظة أم رأيتها فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت من حصبائها وأخرج له شيئا مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل إلى كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا إسحق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه ﷺ بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الأنصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ومن المبانى العجيبة الخورنق الذى بناه النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنما

(ومن المبانى العجيبة حائط العجوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل إلى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى (ومن المبانى العجيبة الأهرام وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الأكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ماذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على إحكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور * ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون

ما فى نفسك والأصل تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما عندك لأن الحق تعالى وقدس لا يستعمل لفظة النفس ما فى فى حقه إلا أنها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله وفى الحديث قوله ﷺ فان الله لا يمل حتى يملوا الأصل فان الله لا يقطع عنكم فضل حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا أراد خيطوا لى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال وإطالة من غير إملال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال

بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرباق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والأمر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة الإسكندرية) التى بناها ذوالقرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة منهدمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها إلى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده إلى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرص وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت من الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق السفن ولم تزل كذلك إلى زمن الوليد بن عبد الملك ، قال المسعود قيل ان رجلا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الإسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل بذلك قسيسين من خواصه وارسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المناره ودفنوا تلك الأموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفذ وبازائها خبية بها كذ وكذا الف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المناره فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها لحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم امر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيئا مثل ما كانوا يرون أولا وبطل إحراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة إذا نظر الإنسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة وأحد ذراعا وفى تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ويعلمون ما سببه ، وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه إلا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخرة المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة إذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا إلى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى الف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنو شروان

عنده ظهور الخراسانية بشعار السواد فأثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة وتصحوا من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف أحشائهم وسرى الوهن فى تفاريق أعضائهم لجيوب الأقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومثله) قول الصابى نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان كتابى الى البحر وإن لم أراه فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضى الفاضل ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمام عمامة وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة (قلت) ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية أشف الازرار فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف ومثله فى الحسن قوله) فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من العمود ونفرت من قربها بناه

بناه سابور ذو الأكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شراريفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه الف الف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الأمر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة إذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسرها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والأحجار وخواصها ﴾

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفه وهى مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفرق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من هنيته والبراقة من صفاء مائه ومن خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها إذا كان ميلا ويحسن نظرها إذا ثقبت به الاذن لم تلتحم وإذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وأمساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب وإذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم إذا وضعت فيه وإذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول * (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه إذا صدىء وطلى بالحامض الا وصدؤه والأكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد) كثير الفائدة إذ ما من صنعة زال له فيها مدخل (ومن خواصه) أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الأرض ومن خواصه) أنه إذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب هو الرصاص) ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شىء وإذا شد من الرصاص قطعه على الخنازير والغدد أبرأتها . (الخارصينى) حجر لونه أسود لونه يعطى حمرة ومن خواصه إذا عمل منه مرآة نظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة وإذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر هو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع إلى البحر فينزل إلى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شىء من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة إلى مثقال (خواصه) أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب وإذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى

والأسنة قد ظمئت إلى موارد القلوب وتشوفت إلى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم إلا من استظهر قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله فى الحسن) ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العرق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (فن) الجواب قول هذه ألفة حولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقران يقول أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكن من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان ممعنى سافلا فلا بد لاجل المقرار تخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بأرضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتان بالدخول فى تطهير الأرض من الخوارج وإيقاع

ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الأحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الأحمر ودونه الأحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى العصفرى وأردؤه الأزرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض ٭ خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطاش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ماوزنه ثلاثون مثقالا على ماقيل (البلخش) ٭و مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف (ومن خواصه) أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قرى الحمرة وأسود يعلوه مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سرا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) إذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ماقيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر إلى خيالها فى المرآة فتنفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتخطف اللحم وتصعد به إلى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت إلى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ٭ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وضرب فانه يفتت وكذا إذا جعل فى شمع أوقار وإذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر سمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (والزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الإسحاقى الأزرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلوا البصر ويقويه ينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أوغرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ماافتقرت يد تختمت بفيروزج وإذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفىء (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمن أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى وبسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله ﷺ من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لأنه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان إذا سحق وشرب ماؤه وإذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور وإذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لأنه بالنهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس [illegible] ويسكن [illegible] (المرجان) [illegible] (وتقدم له) [illegible]

الضرب الدخل من جس الميدان فى كل خارج ويدهمه من ابن أبى النصر ابناء حرب مرف فى الميدان الوقائع جدهم ورد الجموع الصحيحة إلى التكسير فردهم وإذا كثرت الخدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الأخضر مردهم وإذا امتدوا إلى آمد تلالهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال وإذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسكانها مجادلة إذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعة وماخفى عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله أيد سبأ وكم سئل سائل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك العصر بالنبأ وقد أشار منشىء دولتنا الشريفة إلى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله ياحامى الحرمين والاقصى ومن

لولاه لم دسعر بمكة سامر

والله ان الله نحوك ناظر

هذا ومافى العالمين مناظر

زحف على المجبون نظم عسكرا

وأطاعه فى النظم بحر وافر

فأقبست منه زحافه فى وقعة ياممن بأحوال الوقائع شاعر وجميع هاتيك البغاة بأسرهم [illegible]

والمعدن لأنه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولايزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلوا قلح الاسنان وإذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل أنه من حيوانه (حجرالماطليس) وهو حجر هندى لايعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لايدخله السحر ولا الجن ولأجل ذلك الاسكندر يحمله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجرمراد) يوجد بناحية الجنوب (رخاصيته) أن الجن تتبع حامله تعمل له ماأراد (الدهنج) خاصيته انه إذا سقى إنسان من محكة يفعل فعل السم وإذا سقى شارب السم منه نفعه وإذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب وإذا طلا بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على إنسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أونزول الماء ولبسه ينفع عسرالبول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلوا البصر وإذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لايتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ماكان أسود يضرب إلى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته ويورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن وإذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه وإذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته وإذا غسل بالخل عاد إلى حالته وأجوده ماجذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر ابيض فالأحمر إذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والأبيض إذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) إذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفار والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال (وخاصيته) أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده مايوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى ﷺ أنه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال أرسطو ينفع الأرحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها وإذا ألقى فى العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجراللازورد) مشهور قال ارسطوا من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم * ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ماهو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لأنى كرهت أن يكون كتابى هذا اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادروالامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنيس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس *

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هوالصوت

دارت عليهم من سطاك دوائر وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة فكان هاتيك السروج مقابر (وما) أخفى عن علمه الكريم أمرالذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيىء فأجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عندعصيانهم البارد فترة حتى أظهرنا بألوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصرة وأخذوا سريعا بثعبان حرب ماشابت عوارضهم إلا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الابهائين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أوصرفت العوامل إلى غير نحوهما ماعملت فقد فهمنا كريم الالتفات إلى أن تدار كؤس الإنشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة فى شرع الإخوة ولهذه الأحكام عندنا عمدة وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده إلى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الأوصال بكل رسالة سطورها فى رقاع الاخوة محققة وتصديق مايقصه فى كريم جوابه فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقة

الحسن وعن النبي ﷺ أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله قال لن أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاماله تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطف عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبي ﷺ لأبى موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج إلى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطا جسده ضبطاً شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال ملك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا ان الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى المنصور وكان يضرب المثل بحدائه مربا أمير المؤمنين بان يظمؤا ابلا ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنموله النفس ويرتاح له القلب وتهتزله الجوارح وتخفف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى إلى أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا الألحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الأرض لذة تكتسب من مأكل ولامشرب ولاملبس ولانكاح ولاصيد الاوفيها معايات على البدن وتعب على الجوارح ماخلا السماع فانه لامعاياة فيه على البدن ولاتعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب على الأعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئة ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت ... اصغاؤه إلى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله إلى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الأم كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحر وما فيها من العجائب والراعى إذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تخاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شىء مما يستلذ به أخف مؤنة

والله تعالى يمنع الابصار والاسماع بمشاهدة امثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين اوراقها بجنى ثماره ان شاء الله تعالى انتهى مادنت قطوفه من ثمرات الاوراق وحلا فى الأذواق السليمة وراق

(وهذا ذيل ثمرات الاوراق)

الامام تقى الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهى محاضرات لايستغنى عنها وعليها يقول فلذلك ألحقت بالاصل فى الطبع وجعلت تتمة للاول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويحكى) ان هرون الرشيد ان اخاه موسى الهادى كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب إذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ماشأنك ياأمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى أن جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال مايزيل مافى نفسى هذا وأمر باحضار هرون وعرفه ماخطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لى قال أفعل حلف له بكل يمين يحلف بها الناس من الطلاق والعتاق والحج والصدقة وأشياء مؤكدة يمكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الاشهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة إلى هرون أرسل إلى من

من السماع قال إفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفوس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمدت ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا حتى تنام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها إذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده إلى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما إذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن سمعته من حسن مقرب من فرح
مبعد من حزن لا فارقانى أبدا فى صحة من بدن

وهل على الأرض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاجن شجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الأرض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحــدة ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه . واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى ﷺ قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة إلى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال وأعلمت ان الانصار قوم يعجبهم القول الا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم ولولا الحبة السمر ... لم تحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أومندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى ﷺ حيث قلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا
مادعا لله داع ايها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن

وغيرهما إلا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فتضجع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة إذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

أخلفت وعدك بعدما جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى أيمانك الكذب الفواجر
فظللت فى أهل البلا د وغدوت فى الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخى صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجد يد ولاتدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا ح وصرت حيث غدوت صائر

والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث احلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن إلى وصف السكن اخبرنى شمس الدين محمد بن فراج

عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسمعته يغني بالركابية يقول

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال أسمعت ماقلت قلت نعم قال إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت في القراءة والأذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الالمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل في اصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخي ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعوج فمه وسمع المبارك سكران يغني هذه الابيات

أذاني الهوى فأنا الذليل ... وليس إلى الذي اهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أماسمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة . وكان لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لأهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه إلى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا مايأتي أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فاقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت . وكان عروة بن أدية ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ الحان الغناء على شعره ويلحنها للمغنين قبل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت دوار الحب في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

الحسيني اخبرنا شيخنا أثير الدين (١٤٨) أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت في المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكان يمشي في طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقني فقال ليس الماشي برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشي أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا في الحديث فسألني ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان او كاتب انشاء فقلت شيء من هذا وشيء من هذا فقال ما يدعي دعوك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال انشدني كنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فأنشدته إلى ان بلغت قولي تركوا بماء النيل ماء سلسلا وترشفوا ماء الثمار مكدرا فقال لي لاشيء فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لأن الكدر يقابله الصافي قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لاخير ولا مير قال بك ثم بعد ذلك بشهور رأيته في المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفني ثم قال هل تعرف من الشعر الميشوم شيئا قلت نعم فانشدني وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفي بالنزلة فانشدته اياها

الله ما أشكوه من نزلة ... قد ضر منها ضيق أنفاسي
ومن صداع ضقت درعا به

وكان

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا ... رسالة من قبل أن نبرحا
الطرف للطرف بمثاهما ... فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم نهض وعاد إلى طريقته التى كان عليها وانشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها ... فأعجب لما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما ... سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم عبدالله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قريظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبدالله بن جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيئا حركه واطربه فقال والله انى لأسمع شيئا تكاد الجبال أو تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبدالله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبدالله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبدالله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبدالله فقال مجلس من هذا قال عبدالله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان اذنى عليلة فمره أن يرجع إلى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فأمره عبدالله بن جعفر فرجع إلى موضعه فقال معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبدالله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لأبليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت ... ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه ... صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة اثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبدالله ابن جعفر فى بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا ... ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا إجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه

أنت يدى منه على رأسى فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فأعجب إلى داءين قد عززا بثالث ... من داء افلاس

(وحكى) فى مرآة الزمان وغير فى ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به إلى وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به ... ميتا فأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودا شانه بخل ... من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى ... من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) أنه كان ببغداد شخص يعرف بأبى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة إلى أن صار فى غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد

ورد تاجر من نصيبين بما ورد فى غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين

صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ اتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبدالله لم أدخل إلا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول ◦ قل للكرام ببابنا يلجواء فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وإن كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ماأنت إلا من أكرم الناس فبعث عبدالله إلى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك ◦ وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ماغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لأصحابه كأنها والله جرجرة الفحل فى الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الاصبت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال أن أول من صنع العود لامك بن قاين بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون فى ذكر المغنيين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء)

(قيل) أن أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قين ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقنا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى اسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال توبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى ... كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا ... دلفت لهم بباطية هدور
فلا تشرب بلا طرب فانى ... رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومن حكم الوادى غنائه

أمدح لكاس ومن أعملها ... واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر ... فا ماوافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنيين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان أبو محرز يعنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان ◦ وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر ايام الحمى ثم انثنى ... على كبدى من خشية لن تصدعا ... فليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا ... بكت عينى اليسرى فلما نهيتها ... عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

ديناراً أخرى ثم جعله فى الزجاج فذهب ووضعه على رف فى صدر البيت ثم دخل الحمام بغلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهى أن تغير مداسك فانه فى غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد إلى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى إلى بيته وكان القاضى دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسى ما ترك عوضه شيئا فوجدوا مداس أبى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضى عنده فأخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فأخذ المداس وألقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبى القاسم والظاهر انه سقط منه فحمله إلى بيت أبى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق إلى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه افقرنى هذا المداس ثم قام يحفر فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا انه نقب فشكوه

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم * وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبهم فيه وكان من أضيق الناس خلقا إذا قيل له غن قال لمثلي يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الأيام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدوة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج إلى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولاى ناقل ما تأمرنا به فلو أمرتنا ان تقتحم النار فعلنا قال اذهبا إلى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن انا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بابى أنت وأمى قال أسمع منى ما أقول لك واعلم أنك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه وأعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الأرض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط إلا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لأخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك إذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق * وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما إلى المسجد الجامع فمررت بباب أبى عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا إلى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب اعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فالبث الا ساعة حتى خرج الغلمان إلى فحملونى حملا فدخلت إلى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت إلى ابن عيسى قال لى ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كبير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كأنها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه له فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان احذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه ... واخضر فوق بياض الدر شاربه ... واسرق الورد من تسرين وجنته
واهتز اعلاه وارتجت حقائبه ... كلمته بجفون غير ناطقة ... فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه ... وصاحب الحب صب القلب دائبة ... استودع الله من بالطرف ودعنى
يوم الفراق ودمع العين ساكبه ... ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى ... ارفق بقلبك قد عذت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه ... قد لاح عارضه واخضر شاربه ... ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه ... عاطيته كدم الاوداج صافية ... فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

إلى الوالى ووصل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن إلى أن غرم جملة مال فأخذ المداس ورماه فى مستراح الخان فسد قصبه المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبى القاسم فحملوه الى الوالى وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به إلى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبى القاسم فرفع إلى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شىء فأخذ المداس وجاء به إلى القاضى وحكى له جميع ما انفق له فيه وقال اشتهى أن يكتب مولانا القاضى بينى وبين هذا المداس مبارأة بأنه ليس منى ولست منه وأنى برىء منه ومهما فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد أفقرنى فضحك القاضى ووصله بشى ومضى انتهى (هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهى عزيزة الوجود) وسرب كمين الديك ميل إلى الصبا ورائع بالحادى سود المدامع يممن غناء بعد ما غض نومه من الليل يملين فوق المضاجع أيادر شرخ الشبيبة راجع

يادير حنة من ذات الاكيراح ... من يصح عنك فانى لست بالصاحى
ثم سكت وغنى ديبس دع البساتين من آس وتفاح ... واعدل هديت إلى شيخ الأكيراح
واعدل إلى فتية ذابت لحومهم ... من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا ... كأنها دمعة فى جفن سياح
ثم سكت وغنى رقيق لاتحفلن بقول الدائم اللاحى ... واشرب على الورد من مشمولة الراح
كاسا إذا انحدرت فى حلق شاربها ... أغناه لألاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه ... والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه ... يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

ياجنة الدمع هل للغمض مرجوع ... أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتى وفؤادى هائم دنف ... بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقته ... فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الا حب مبتدع ... ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ماانقطعوا (وحكى) عن الرشيد أنه قال يوما للفضل ابن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

إذا ما تراجعنا الذى كان بيننا ... جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها ... وياويح عقلى ماأصيب به أهلى
خليلى فيما عشتما أهل رأيتما ... قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فضرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسن الله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به لنسخر به فدعانى فسرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لى فأخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر إلى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أناأبين لك الخطأ فيتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيئا ماسمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكثة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى برأستاذى فقال الوليد ذلك اليك فحلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع إلى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ما نرجع عليك بما وهبناه ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا

مع الخفرات البيض أو غير راجع ... قنعت بزور من خيال بعثته ... وكنت بوصل منهم غير قانع ... إذا ومت من

ليلى على البعد نظرة ... لتطفى جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحى تطمع أن ترى ... لليلى وصالا من بدء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك ياليلى عن العين انما ... أراك بقلب خاضع لك خاشع
وماسرى ليلى ماحييت بذائع ... وما شهد ليلى ان تنادت بضائع

(ومن غريب مايحكى) أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك ابن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن زوجها وإبراهيم بن مروان بن الوليد بن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية ابن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى

خط بخط قاضى القضاة (شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر) قال وجد بخط ... نذكرها

تذكرها به فيعني اياه فوضعني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لاتعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم ه وقال علي بن سليمان النوفلي غني دحمان الأشقر عند الرشيد يوما فأنشده

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرقت ... بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
إذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون الف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لايسمح بمثلهما فقال الرشيد لاسبيل إلى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة الف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة الف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ماحكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الألحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الأبيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق ... حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها ... فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية ... ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة الف درهم وقال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة ... فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى ... ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت إذا ما جئت جئت لعلة ... فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابهم وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ماحكى عن إبراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه إني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش إلى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الأطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا إلى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب قال له إذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك ابن صالح بنفسه فاتفق بالأمر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد إذا جلس مجلس لهو لايطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا أجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس

المصري لنفسه في الأهرام ستة خمس وخمسين وسبعمائة
وأجاده مباني الأهرام ... كم من واعظ
صدع القلوب ولم يفه ... بلسانه
أذكرني قولا تقادم ... عهده
أين الذي الهرمان من ... بنيانه
هن الجبال الشامخات ... تكاد أن
تمد فوق الافق عن ... كيوانه
لو أن كسرى جالس في ... سفحها
لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان ... وبرده
مددا ولم تأسف على ... حدثانه
والشمس في احراقه ... والريح عند هبوبها والسيل في ... جريانه
هل عابد قد خصها ... بعبادة
فمباني الأهرام من أوثانه
أو قائل يقضي برجعة ... نفسه
من بعد فرقته إلى جثمانه
فاختارها لكنوزه ... ولجسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد ... يختار ورا صدها أعز مكانه
أو أنها وضعت بيوت ... كواكب
أو أنهم نقشوا على حيطانها ... أحكام فرس الدهر أو يونانه

عليكم كونوا على ما أنتم ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عنى فانه شىء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت إلى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافاة لك على ما صنعت قال بلى أن فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على وتسأله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهرا بنى إبراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من أقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين إلى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأنظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعى بأبى يوسف القاضى ثم إبراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه إلى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع اك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألنى رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشر آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته إلى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال إبراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم أقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق وحكى أبو العباس عن عمر الرازى قال قبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جمد من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه فإذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قوى اقربكه لفعلت ولكنى اجعله قراك فإنى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها أرى الأرض تطوى لى ويدنو ابعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والأغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والأدب وأجادت

قول

أن القاضى أبا الحسن على ابن عبد العزيز الجرجانى كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه فى ذلك فقال

يقولون لى فيك انقباض وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس اكرما
وإنى إذا ما فاتنى الأمر لم اكن
اقلب كفى اثره متندما
ولم اقض حق العلم أن كان كلما
بدا مطمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى
ولا كل من فى الأرض أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها
مخافة اقوال العدا فيم أو لما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
اشقى به غرسا واجنيه ذلة
إذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء المؤمنين فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذا أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك و لرضا والجفاء بيدك فوالله أنا فى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا إلى ملك قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى إذا ما الصباح لاح لنا عاد إلى هجره وصار منى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقلبهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى إلى حجرتها وكان من أمرها ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق إذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه من كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقد لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول إلا ان العشق قد خامرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاغب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فأمسكها فبكت * وقالت له يا سيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى وتفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وأنه تداركنى بالحبل صرت الى القعر

محياه بالاطماع حتى تجهما قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقى الدين السبكى الشافعى سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم إذا عظم تعظم وهو فى نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والأحسن ما أشرف اليه اه (قال) الشيخ امام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى فى أجوبته عن الاعتراضات التى على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قولى أبى نواس

أباح العراقى النبيذ وشربه وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألنى الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها أن العراقى وهو أبو حنيفه رحمه الله اباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمرا سكرت ام لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شىء وان الحجازى وهو الشافعى رحمه الله قال

فأقسمت عمري لاركبت ســفينة   ولاسرت طول الدهر الاعلى ظهر

(ومن ذلك) ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينه وكا أبو نواس يختلف إليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل إليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا   وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو إليها   فلم أخلص إليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل   ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية   قوم موسى   فهم لا يصبرون على الطعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطروقا فرفع رأسه وقال أبازيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الأمير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبه ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال اباز يدما يطيب في يومنا هذا قلت اصلح الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء اشربها من كفها وامسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينية عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رأسة فقال اباز يد حضرت في يوم فيه انقضاء اجلك ومنتهى مدتك تصرم عمرك والله لأضربن عنقك اولتخبرني ما آثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الأمير كنت جالسا عند دار اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قيص سكب اسكندراني يتبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على خمرة نعليها بذؤابتين تضربان إلى حقوبها لها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء مالايشتكي وعلاج مالايسمى طال الحجاب وبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمه الله على قوم عاشوا تجلد وماتوا كمدا ولو كان إلى الصبر حيلة أو إلى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسيه أنت أم جنيه سماوية أنت أم أرضيه فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فا أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الاسمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبازيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة   أخرجت من كيس دهقان

شراؤها ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت إلا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقيع الموت نهيه قم أبازيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الدهرة مابين أصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن

الشرابان واحد فأخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن في الحل لا في الحرمة واليه الاشارة بقوله لحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء في الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به احد ولعله اشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما إلى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقده فهو على مازعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن ان يقال انه يعتقد الحل وقد قال لافارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذا الابيات وهي على كل حال من كلمات الشعراء التي لا يحتج بها في دين الله تعالى اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء ان يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه (حكي) عن ابن المبارك انه قال حججت إلى بيت الله

فأمره

فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكل سرور وأتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا نريد قرا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال اختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قال غننا صوت كذا فرفع صوته يغنى بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتى فأرقها ... من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر مايدرى مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق ... فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوى على قدم ... تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه ... قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله ... إلى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعينى من هذا فوالله قد خامر قلبك منه ماخامر ثم قال ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان لحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال ياسنان ألم أنهك عن مثل هذا قال ياأمير المؤمنين حملنى على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن الفرس إذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد فصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة ... ألبسك الله العافية
فاشرب بهذا الكاس ياسيدى ... أهنأ به من كف ذى الجارية
واجعل لمن أنفذه خلوة ... تحظى بها فى الليل الآتية

بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الأبيات

بعثت الرسول فأبطأ قليلا ... على الرغم منى فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول ... فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه فى حاجة ... إلى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة ٭ وأهدى داود بن روح المهلبى إلى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاتهجرن حبيبا خان موعده ... وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه لا تهجرن حبيبا خان موعده ... ولا تنمن وعدا فيه تأخير

فغلبنى النوم رأيت النبى ﷺ وهو يقول يا ابن المبارك إذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت إلى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فأخبره أن النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور إلى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانية فرأيت النبى ﷺ أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت إلى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثم فرأيت النبى ﷺ ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى لم وحق فقلت يارسول الله أريد بذلك علامة أتعلق بها فأخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال ياابن المبارك

٥ ا المجوسى شيخ زمن قرانى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه

ما كان حبسى الا من حدوث أذى لا يستطاع له بالقول تفسير

قال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جوية من أحسن الناس وأسبقهم إلى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال اختلست ريحانتى من يدى أبكى عليها آخر الابد

كانت هى الانس إذا استوحشت نفسى من الاقرب والابعد
وروضة كان بها مرتعى ومنهلا كان بها موردى
كانت يدى كان بها قوتى فاختلس الدهر يدى من يدى

(وللمتوكل فى قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى فكل فعالها حسن جميل
فانى غضبت فأحسن ذى دلال وان رضيت فليس لها عديل

وحدث ابو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لأحدهما رشا وللاخرى جؤزر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لنى لذتك ولا لذة لى قال ما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريته عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنيف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت أحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رخصت فؤادى خليتنى أهم من الحب فى كل وادى

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى أين المخرج فقالت أحدهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى اين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احدهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا على بقاع الارض لذ ظعنوا من بطنه مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين إلا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش قال ياحبيبتى أين الحشوش فقالت أحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفتين وأهل الكوفة يسمونها الكنيف فقال لها ياحبيبتى اين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا نشيبنى وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى ينقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان ان لم تعلمانى به لنا أعلكما

ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التى أخذتها بيمينى على رأسه ومر بها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجى وخلت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت إلى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصياريف قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت ياقوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الأولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام

تم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الابيات

نكفتني الملاح وأضجروني ... على مابى بنيات الرواني

فلما قل عن ذاك اصطباري ... قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى إلى سبيله (وقال) على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني اليك فان الحب أقصاني

(قالت تأتي من باب الذهب وأنشدت)

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه ... فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف إلى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به فقالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الأرض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لايشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج إلى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق إليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة بنت فلانة فاقلقني الشوق إليها فعسى أن تغنيني شيئا فى معنى ماذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه

وددت من الشوق المبرح انني اعار جناحي طائر فأطير فى لنعيم ليس فيه بشاشة ولسرور ليس فيه سرور وان امرأ فى بلدة نصف قلبه ونصف بأخرى غيرها اصبور والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت إلى مجلدات ولكن ماقل وجل خير من كثير مل وفيما ذكرته كفاية والله المسئول أن يمدنى منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار بالعفاف
واخبار من مات بالعشق ومانى معنى ذلك وفيه فصول﴾

(الفصل الأول فى وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان الشرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابى العشق خفى ان يرى وجلى ان يخفى فهو كامن ككمون النار فى الحجر إن قدحته أورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق برد بالبرد برقع ... من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لأعرابى مابلغ من حبك لفلانة قال انى لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب اخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبي ادن مني فجلست إلى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هي قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يابهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيئا استوجبت به من الله الجنة قال لا أدري إلا انى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لاتستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيئا صالحا لآخرتك قال قسمت ليلى ثلاثة أجزاء أما الجزء الأول فانى أقعد للمسامرة وتقرأ على سير الأول فانفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى أمر معاشى أو معادى وامنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء إلا لضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا لانه يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد فلم استحقيت

وقالوا ياجميل أتى أخوها فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

(وأنشد الأخفش الحداد يقول)

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر يطرقنى سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى فى الجسم موقدة ومبرد الحب لايبقى ولايذر

وفى الجليس الأنيس لأبى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الأبصار مدخله وخفى القلوب مملكة وكان شيخ بخراسان له ادب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان ابن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم لحكمة ولكم حداء ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذا الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسىء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له مايغمه من سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ماصيرنا إلى الرجاء فى فلاحة وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لايهدأ إلابها ولايتشاغل إلا بها فقال بهرام الآن يرجون فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر إليك سرا فلايعدونك فضمن له ستره فأعلمه أن ابنه قدعشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته أنها لاتصلح إلا للملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ماأسره إليك فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لأجله أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وماأشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بماطلب ثم دعا مؤدبه فقال له أن الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لايدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها إلى ويسألنى ان ازوجه إياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها إليه وقال له إذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لايضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خباء فانى امرتها بذلك وهى اعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق باخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ماتستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به واحسن ثواب ابيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ماامره به (وكان) عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فاقام يحدثها ويشكو اليها

الصادق الأمين الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة فحدثته بالمنام الذى رأيته وبماقاله النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون أبصار شابا حسنا طربا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك ياشيخ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال ياشيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدا الناس ونام الخدام لما اصابهم من التعب بسبب الوليمة وانا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يابهرام امرأة من جيرانك فأوقدنى هذا السراج قال بهرام والمجوس لاترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى امرى وقمت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها السراج فانصرفت

ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسين فقال له رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية . وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة ... الاوقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى ... وأننى قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المرور ببابها ... وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا ... فخطايا أخى الهوى مغفورة
زفرة فى الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبرورة

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت وامرأتين هذه تساورنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول لوحز بالسيف رأسى فى محبتها . لطار يهوى سريعا نحوها رأسى وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا (الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال ﷺ عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم ... ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى وإذا بفتى نحيل الجسم قدأقبل الى فقال أنا المزاد فمضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ماعلمت ان لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال إبراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى ... منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن هوى فيقنعنى ... منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية ... لاخير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان أكن طامح اللحاظ فانى ... والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الاأتيتنا ... إذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافى القوم يقظان غيرها ... وقد نام كل عنها واش وحارس
فبتنا بليل وطيب نستلذه ... جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو فانزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ماأشغله بالعمى عن كل شىء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر إلى امرأة صاحبه ولا إلى منزله إلى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد . ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يابثينة ماأرى فيك شيئا مما كان يقول جميل فقالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنو إلى بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لاوالذى تسجد الجباه له ... مالى بما تحت ذيلها خبر
ولابفيها ولاهممت بها ... ماكان الا الحديث والنظر

وأطفأت السراج وعادت وقالت يابهرام قد انطفأ فاسرجه لى فلما أسرجته قالت يابهرام والله ماجئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روايح طعامك فهن مقليات على وجوههن يتصاوون كالمرأة الثكلى او كالحبة فى المقلى فان كان قدبقى فى دارك فضل طعام فاعطنى فانك ان شاء تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة فأخذ منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شىء كان فى البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملى هذا الى عيالك اقسمى عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يابهرام أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب فى ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبى فقلت لها شيلى على رأسى فشالته واستقل على رأسى فسال لذلك عرقى حتى صرت فى منزلها فحططت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات إلى ان شبعن ونهضن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبدحن فلما أردت القيام قلن يا عمنا يابهرام

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الأول فيما جاء فى الكتابة على سبيل الرمزه وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى ياأبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة بلت أى والله فمن هو قال إنى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط ه وعن عبدالله بن عبدالمطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغي إلى نفسها وبذلت له مالا وكانت تسكن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت جميلة فأرادت أن تخدع عبدالله رجاء أن يكون النبى ﷺ منها النور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه ... والحلال لا نأبى ونستدينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحزر مخضوب البنان محجب ... دعانى فلم أعرب إلى مادعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها ... ولست مريدا اذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى ان نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة موانع لايعطين حبة خردل ... وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة ... كما كرهت صوت اللجا الشوامس

(وقال آخر) حور حوائر ماهممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا ... ويصدهن عن الخنى الإسلام

وكان الأصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر
لايظهر الشوق ان طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى إبراهيم بن ملك المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والأدب فطلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها إبراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه ... شافع من مقلتيه ... أنا ضيف ... وجزاء الضيف احسان إليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي إليه فاعليه أنى قد وهبتك له فعادت إليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وانشد المبرد ما ان دعانى الهوى لفاحشة الا نهانى الحياء والكرم

فلا إلى فاحش مددت يدى ... ولا مشت بى لزلة قدم

(وقال آخر) يقولون لا تنظر فذاك بلية ... بلى كل ذى عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة ... إذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لاينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق قال فبينما هو فى الطواف يوما إذ نظر إلى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال ياهذا اتق الله أفى مثل

وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الجنان وأنا أقول آمين وما زلت ارجو استجابة دعائهن قلت يابهرام ابشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتحتقر من المعروف شيئا ولو انك تفرغ من دلوك فى أناء أخيك ماء قال عبدالله ابن المبارك فتصدق بهرام فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبألفى ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته واسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم فى ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث إلا قليلا حتى توفى رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد بن سعيد) أنه قال كان فى جوار معروف الكرخى رجل مجوسى من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقى له مال جسيم فلا تظن انه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم

هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس على وان أباها منعني من تزويجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة اباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقداه عليها ثم دخل الخليفة إلى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم با ولانتنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم تراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد أسليت حينا أراك اليوم قد أحدثت عهدا
وأورثك الهوى داء دفينا بحقك هل سمعت لها حديثا فشاقك او رأيت لها جبينا
فقلت شكا إلى أخ محب كمثل زماننا إذ تعلينا
وذو الشجو القديم وان تعزى محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال قد تدرك من خمسة أعتقت خمسة وجعدت بين رأسين في الحلال . وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الراكب وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني إذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لأحسبه إياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما إلى صاحبه حاجة فقمت إلى بعيري لأشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما إلى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة . وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لأعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة . وغمز كف وعضد ما الحب الا هكذا . ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقربيها ونفرق بين رجليها قالت ليس بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه من قبل ان يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي امتعني بحبها واشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها واعصي الشيطان في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح اخباره انى إذن للئيم لم يلدني كريم . ومر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال لن تخلصيني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا إله ابراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف ويا من لا إله الا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع واني جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت متوسلا بك شاهدا بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شيء قدير فاغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي واسرافي ولا تنظر إلى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة وأعوانه عني فقد وجهت وجهي اليك ثم قال اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك إلى الله فاقبلني ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فاتى معروف الكرخي فرآه كذلك فبقي متفكرا في امره لا يتحقق من هو وإذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي باسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي انه في مسجد معروف نولاه

ألا طال هذا الليل وأزور جانبه ۞ وليس إلى جنبي خليل ألاعبه ۞ فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لحرك من هذا السرير جوانبه ۞ مخافة ربي والحياء يعفني ۞ وإكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له إنها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الاعراق مقبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه ... أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن على نصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتاخذن من شعرك فاخذه من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره ... مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه ... أن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ... حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي ذم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج البصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لهن ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريد إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الأبيات

لعمري لئن سيرتني او حرمتني ... وما نلت من عرضي عليك حرام ... فأصبحت منفيا على غير ريبة
وقد كان لي بالمكتين مقام ... لئن غنت عنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء ومالي جرمة فألام ... فيمنعني مما تقول تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام ... تمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعي ... فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث في هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت

لا باس عليه فان الخليفة قد بعثني اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ماأخذه منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد احدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال ياهذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ماأخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يامعروف ما أكرم هذا الشاب وما أحكم صاحبه وما أقربه إلى من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك اني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسهما واقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التي أخذت من البوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل منه الأموال أليست هي التي

بجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب إلى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع إلى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتها قال فلي الأمان يا أمير المؤمنين قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه ودخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها ... أو يصنع الحب بي فوق الذي
أدعو إلى هجرها قلبي فيسعدني ... حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود اراكة ... لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجا بارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لأرضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فملئت قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر ... حتى يفرق بيننا الدهر ... والله لا اسلوكم ابدا ... مالاح أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وانت حي فقال لها ابكيه ولو عاش ما انصرف إلا بك فبكت الجارية وبكى امير المؤمنين وامر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده إلا اياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الاغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا امير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب إلى في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عنه فكانت عندي على تلك الحالة لا ازداد فيها إلا حبا فبينما انا ذات ليلة إذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما إلا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت

أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني وأستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين اما الاموال فهي لك حلال بعد ان هداني الله إلى دين الإسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت وورد هذا المال علي قال نعم كنت نائما وإذا انا برسول الله ﷺ قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسي كنا قد دعوناه في الذر فأجابنا وكان في المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلى تائبا وعما كان منه تائبا وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيرا بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذته منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت في طلبك وهو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال امير المؤمنين لا ارجع بشيء امرني ربي باخراجه فقال يا أمير المؤمنين

لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت إلى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لابأس عليك ولاخوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت إلى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها إلى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيئا قط كان أعجب من أمره قال عبدالملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كذا ووجدا على الغلام ، وقيل ان عبدالله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات (وذكر) محمد بن الهيثى أن عبدالملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد إذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسيرلى ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون اليهن المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا إلى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا إلى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر إلى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجههن لايقام لهن بقيمة وان ثمنين ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا إلى عبدالملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين امتعنى الله تعالى ببقائه يذكر فيه انى اشترى له ثلاث جوار مولدات ابكار وأن أكتب له صفة كل واحد منهن وثمنها فأما الجارية الأولى اطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج ... كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون الف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفى السقيم بكلامها الرحيم وثمنها ياأمير المؤمنين ستون الف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها ياأمير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى إلى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين ايد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن فى ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الأماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فاقاما على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوب عينى لاتمل من البكا ... وقلبى بأسهام الأسى يترشق
أمكتوب كم من عاشق قتل الهوى ... وقلبى رهين كيف لا أتمشق
(فأجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لزرتنا ... ليلا إذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب فتفطن به بعض أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على عبدالملك بن مروان فلما مثلوا الجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين

لاحاجة لى فى المال أشهدك أنى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لاحظ لى فيه ولا لأحد من أهلى فقال الخليفة يامعروف بقى الأمر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والأرامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصالحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى إلى أن مات تغمده الله برحمته (وحكى عن معن بن زائد الشيبانى) ان شاعرا قصده فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه إذا دخل الأمير البستان فعرفنى فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها فى الماء الداخل إلى البستان لما اتفق أن معنا كان جالسا فى ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهى

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى ... فمالى إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بمائة الف درهم فاخذها واخذ الأمير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة الف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة الف

مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا ياأمير المؤمنين نقول ولنا الأمان قال أن صدقتم أمنتم وأن كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما وقد شدت إلى عنقى يديا مقرا بالقبيح سوء فعلى
ولست بما رميت بريا فإن تقتل ففوق القتل ذنبى وأن تعفو فمن جود عليا

فقال عبدالملك يافتى ماحملك على ماصنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك ياأمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو إلا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ماأعده لها أمير المؤمنين فى الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى إذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما إلى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروى عن النبى ﷺ أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله تعالى عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فأخرجنى اليهم رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمته منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا إلا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابى بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلاما لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهر ونادى البراز ياخالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى أتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذكبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له أقد نفسك بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال ياخالد ما أنصفتنى اتركنى حتى أجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكى اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لى فلما علم أن لا خلاص له قال ياخالد سألتك بحق إلهك إلا ماشددت ابنة عمى على ناقة أخرى إلى جانبى قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى إلى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان إلى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الإسلام ويذكر فيها أن لايسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجب مارأينا مع الغلام فقال لا تحدثونى شيئا فإنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يارسول الله فإن أخبرنى جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم

معن فلم يجده فقال معن حق على لومكث لأعطينه حتى لايبقى درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) أنه أتى بجملة من الأسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا يجمع علينا الجوع والعطش القتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماتدرى أى يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكى) أن المنصور أهدر دم رجل كان يسعى فى فساد دولته من الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل غليه وجاء به مائة الف درهم ثم أنه ظهر فى بغداد فبينما هو يمشى مختفيا فى بعض نواحيها إذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة إذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فإذا معن بن زائدة فقال ياأبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف وقال الرجل المتعلق به ماشأنك

من موافقتها وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ماحكاه الثورى قال حدثنى جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت فى طلب ابل لى ضلت فما زلت فى طلبها إلى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فسرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجانى حتى كدت أسقط عن فرسى فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسى فما زلت أقرب اليه إلى أن هبطت واديا فإذا راع قد ضم غنم له إلى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها　　أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها　　إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا أنزل على الرحب والسعة فعندى وطاء وطىء وطعام غير بطىء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتى ثم أتانى بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرنى فى هذا الوقت فقلت والله أن هذا الخبز كثير فمال إلى فرسى فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فإنى لبين النائم واليقظان إذ سمعت حس شىء وإذا بجارية قد اقبلت من كبد الوادى فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الأرض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربى ولعلها حرمة له فتناومت ومابى نوم فما زالا فى احسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات إلا أنهما لايهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها و تنفسا الصعداء وبكى وبكيت ثم قال لها ياابنة العم سألتك بالله لا تبطئى عنى كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم ماعلمت إنى انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لا انصرف حتى استضيفه الليلة وانظر مايكون من امرهما فلما أصبحنا قلت له جعلنا الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالنى امس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندى بقية عمرك ماوجدتنى الا كما تحب ثم عمد إلى شاة فذبحها وقام إلى نار فأججها وشواها وقدمها إلى فأكلت واكل معى إلا أنه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبه ولا أحلى كلاما إلا أنه كالولهان ولم أعلمه بشىء مما رأيت فلما اقبل الليل وطأت وطائى فصليت وأعلمته إنى أريد الهجوع لما مربى من التعب بالامس فقال لى نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها إلى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وازداد عليه الأمر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فأوهمته إنى كنت نائما فقال ياأخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس عليها وإنى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى اكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزوجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها　　أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما　　تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشىء فطرحه بين يدى فإذا هى الجارية قد قتلها الاسد وا كل

اعضاءها

قال بقية أمير المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه ياغلام إنزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره أنه عندى فانطلق إلى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول إلى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل إلى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار إلى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد السلام وقال يامعن أتتجرأ على قال نعم ياأمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال ياأمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائى فى خدمتكم فما رأيتمونى أهلا أن يوهب إلى رجل واحد استجار فى بين الناس وتوسم أنى عبد من عبيد أمير المؤمنين وكذلك أنا فربما شئت ما أنا بين يديك فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يامعن قال فإن رأى أمير المؤمنين إن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال ياأمير المؤمنين إن صلات الخلفاء

أعضاءها وسوء خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشا يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه ... هلكت لقد جريت حقا لك الشر
وخلفتني فردا وقد كنت آنسا ... وقد عادت الأيام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخي إلا ما فعلت ما أقول لك فاني اعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفنا في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هي والدتي فاعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها إلى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي جسدها إلى جانبه وبت تلك الليلة لهما باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكي وأنا الاطفها إلى أن أقبل الليل ومازالت تبكي بحرقة إلى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك لحركتها فاذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها إلى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا ... والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا ... وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت إلى الحي لبني عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت إلى أهلي وأنا متعجب بما رأيت في طريق (ومن ذلك) ما حكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لأحجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف إذا نظر كثير لعزة وقد مضت إلى جملة لحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت ... فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف ... عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل اسيلة ... تركت فؤادي هائما مخبولا ... لو كنت أملككم إذا لم يرحلوا
حتى أودع قلبي المتبولا ... ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا ... جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواعدا وافترقا فلما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها وتزوجه إياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني نهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير إلى أن وصل إلى دمشق

على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال وقد امرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (وحكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي أن به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت له لأسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدر وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثني أن جارية من بنات الروم كانت في هذا الدين نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدين فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا في التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيئا منه غير النطق وأتى بها إلى الجارية فلما أبصرتها أغمي عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لي الصور فرأيتها فكاد أن يزل عقلي فلما حملت

ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم ياسيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهد لادر دره وأزجره للطير لاعز ناصره رأيت غرابا قدعلا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره فقال غراب اغتراب من النوى وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد (وحكى الأصمعى) قال بينما أنا أسير فى البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته يدارى هواه ثم يكتم سره ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته إذا لم يجد صبرا لكتمان سره فليس له شىء سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الأصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها ياجارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت ياهذا انه ابن عمى هوينى فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما إلى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله فى قبر إلى جانبه فقلت لها ياجارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قدغرك الهوى وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقوما والألغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول).

(الفصل الأول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لاتشرب خمر الندى فى الروض الامن كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه إذا ماجئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت إلى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها إلى أن أمست فباتت إلى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة إلى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليها هذه الأبيات ياموت حسبك نفسى بعد سيدها خذها اليك فقد أودت بما فيها أسلمت وجهى إلى الرحمن مسلمة ومت موت حبيب كان يمضيها لعلها فى جنان الخلد يجمعها بمن تحب غدا فى البعث باريها مات الحبيب وماتت بعده كمدا بحبة لم تزل تشقى محبيها قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت إلى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها

ومسموع مما يقوم به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على الطمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى ... قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر إلى عشرة أبواب حسبما بوب تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ۞ ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكور

(ابن نباتة)

أأغصان بان ما رأى أم شمائل ... وأقمار تم ما تضم الغلائل ... وبيض رقاق أم جفون فواتر
وسمر دقاق أم قدود قواتل ... وتلك نبال أم لحاظ رواشق ... لها هدف من الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد التفه ... غدوت وبى شغل من الوجد شاغل ... أمير جمال والملاح جنوده
يجور علينا قده وهو عادل ... له حاجب من مقلتى حجب الكرى ... وناظرة الفتان فى القلب عامل
رفعت إليه قصة الدمع شاكيا ... فوقع يجرى فهو فوق الخد سائل ... شكوت فما ألوى وقلت فاصفى
وجد بقلبى حبه وهو هازل ... طويل التوانى دله متواتر ... مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا ... فيبدو واللاعراب فيه دلائل ... ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى
وينصب هجرى عامدا وهو فاعل ... تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا ... خبير ابا حكام الخلاف يجادل

فيا ملكى ما ضر لو كنت شافعى ... بوصلك بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل ... بعشقك لا أصغى وإن قال قائل

(كمال الدين بن النبيه)

الله أكبر كل الحسن فى العرب ... كم تحت لمة ذا التركى من عجب ... صبح الجبين بليل الشعر منعقد
والخد يجمع بين الماء واللهب ... تنفست عن عبير الراح ريقته ... وافتر بسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى ... بل فى جنى فمه أو ريقة الشنب ... كأنه حين يرمى عن حنيته
بدر رمى عن هلال الافق بالشهب ... يا جاذب القوس تقريبا لوجنته ... والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها ... فمى ويلثمها سهم من الخشب ... من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم
لا عن رضا معرض عنى بلا غضب ... فكم له جود الذنب من سبب ... وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته ... كما تميل رماح الخط بالعذب ... أشار نحوى وجنح الليل معتكر
بمعصم بشعاع الكأس مختضب ... بكر جلاها أبوها قبل ما جليت ... فى حجره الدن أو فى قشرة العنب

(البهاء زهير) يعاهدنى لا خاننى ثم ينكث ... واحلف لا كلمته ثم احنث

وذلك دأبى لا يزال ودأبه ... فيا معشر العشاق عنا تحدثوا ... اقول له صلنى يقول نعم غدا
ويكسر جفنها زنانى ويعبث ... وما ضر بعض الناس لو كان زارنى ... وكنا خلونا ساعة نتحدث
امولاى انى فى هواك معذب ... وحتام ابقى فى الغرام وامكث ... فخذ مرة روحى ترحنى ولا ارى
أموت مرارا فى النهار وأبعث ... فانى لهذا الضيم منك لحامل ... ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا ... خلائقك الحسنى أرق وأدمث ... تردد ظن الناس فينا وأكثروا
احاديث فيها ما يطيب ويخبث ... وقد كرمت فى الحب منى شمائل ... ويسأل عنى من اراد ويبحث

فرأينا تحت شعرها مكتوبا
أصبحت فى راحة مما جنته يدى ... وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا ... قلبى خليا من الأحزان والكمد
لما قدمت إلى الرحمن مسلمة ... وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابنى رحمة منه ومغفرة ... وأنعما باقيات آخر الابد

(قيل) اجتمع الصوفية إلى أبى القاسم الجنيد وقالوا يا أستاذ أنخرج ونسعى فى طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس إذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع اربعة من الأئمة الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله تعالى عنهم عند أحمد ابن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مازالوا يصلون فى المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت إلى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد

وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه قال أحمد قالت لى أم عبد الله انكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل

(النابلسى) ماكنت أعلم أن الضمائر تصدق   ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم   وكذاك أسباب المحبة تعلق   ولقد قنعت من اللقاء بساعة
ان لم يكن لى الدوام تطرق   قد ينعش العطشان بلة ريقه   ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى   وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

فى خده من بقا اللثم تخميش   وبى التشويش ذاك الصدغ تشويش   ظبى من الترك آغنته لواحظه
عما حوته من النيل التراكيس   إذا تثنى فقلب الغصن منكسر   وأن تبدى مطوف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن صورته   أعمى فانى عما قلت أطروش   كم ليلة بات يسقينى المدام على
روض له بثياب الغيم ترقيس   والغيث كالجيش يرتج الوجود له   والبرق رايته الرعد جاويش
فى مجلس ضحكت ارجاؤه طربا   لأنه ببديع الزهد مفروش

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

ترى متى فتور اللحظ ينتشط   من قلبه بحبال الشعر مرتبط   قدرق لى خصره المضنى فناسبنى
فقلت خير الامور الأنسب الوسط   وقد خفى الردف عنى من تثاقله   فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قدعاتقته سحرا   والقلب منبعث الآمال منبسط   وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبى أمره فرط   ان الصواب لتعجيل السرور فقم   قبل الفوات فأوقات الهنا غاط

(القاضى مجد الدين ابن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده   أفديه من قمر بدا فى سعده   بدر جرى ماء الحياة بثغره
وترددت فضلاته فى خدع   اسكنته قلبى فاوقد خده   نيران احشائى عليه وجده
من لى به حلو الشمائل أهيف   روت العوالى عن مثقف قده   ياعاذلى فى حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده   لعذرت كل متيم فى حبه   وعلمت أن أضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة   وحياة مبسمه الشهى وبرده   ماجاد غيث الدمع الاعن هوى
خلع القلوب ببرقه وبرعده   قم يارسول وأبلغ العشاق ما   ألقاه من جور الحبيب وبعده
وإذا سألتك ان تؤدى فى الهوى   خبرى فصف فصل الغرام وأبده

(عز الدين الموصلى)   (والصحيح أن هذه الابيات لابن نباتة لأنها فى ديوانه)

نفس عن الحب ماأغفت وما أغفت   بأى ذنب وقاك الله قد قتلت   دعها ومدمعها الجارى لقد قتيت
ماقدمت من أسى قلبى وما عملت   أفديك من ناشط الاجفان فى تأنق   والسحر يوهم طرفى أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه   فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت   معسل بنعاس فى لواحظه
أما تراها الى كل القلوب حلت   من لى بألحاظ ظبى يدعى كسلا   وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه   هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت   أما كفانى تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف باللمى كحلت   أستودع الله أعطافا شوت كبدى   وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم القت بمسمعها   إلى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته   والعمر فى كف بكم تضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم   داع وكنت بحفرتى لبيته   كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شربته   لله داء فى الفؤاد أجنه   يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى لتجنى مسرف   وأس على العشاق قلت فدينه   أأروم من كلفى عليه تخلصا

عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال ياأحمد بن حنبل لبيك فقال فقلنا هاكم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا أبيض عليه منديل طيب الرائحة وطبق معطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال للشافعى ياأبا عبد الله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن والاوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراؤون مثله وخروف مشوى من عفر جار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد مابقى منه وادخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شئ واجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن احمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق

من حيث لاتحتسب رضى الله تعالى عنهم واعاد علينا من بركاتهم

لا والذي بطحاء مكة بيته ولوا استطعت بكل اسم فى الورى من لذة الذكرى به سميته

(وللشيخ بدر الدين الدماميني)

سُلّ سيفا من الجفون صقيلا مذ تصدى جلاء رحت قتيلا صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا مذ أبدى لنا من الخضر ردفا فأرانا مع الخيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن بالهوى نحو وصلنا لن يميلا كامل الحسن والقرظال وجدى
فيه ياعاذلى مديدا طويلا فانك الجفن ذو جمال كثير أتلف العاشقين إلا قليلا

قلت إذا لاح طرفه ولماه فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر) لو أن قلبك لى يرق ويرحم ما بت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى من ناظريك وفى فؤادى أسهم
يا جامع الضدين فى وجناته ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل فعلام بكسر عندما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر) تصدق بوعد ان دمعى سائل وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فجدك موجود به التبر دائما وحسنك معدوم لديه المماثل أيا قمرا من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والأصائل تنقلت من طرف القلب مع الهوى وهاتيك للبدر المنير منازل

جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه بهلال أو ببدر ظلمه
قال إذ قبلت وهما فمه قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر) بأبى غلام لست غير غلامه مذ جاد لى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحى فصبا وكان قد ارعوى * صب على الغرام قد استوى * تجرى مدامعه ويخفق قلبه مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * وإذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى نخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى * وبمهجتى رشأ طالت عزلى فيه الملام وقد حوى ماقد حوى * قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى

ماأبصرته الشمس إلا واكتست خجلا ولا غصن النقا إلا التوى
يروى الأراك محاسنا عن ثغره ياطيب مانقل الاراك وماروى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبى بالهوى لما غدا بجماله متفردا قاسوه بالغصن الرطيب جهالة
تالله قد ظلم المشبه واعتدى حسن الغصون إذا اكتسب اوراقها وتراه احسن ما يكون مجردا

(قيل) ان عبد الله معمر القيسى كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام ومتجرا عزيزا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى ﷺ فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم السدر فأهجن منك بلابل الصدر
أم زاد نومك فى ذكر غانية أهدت اليك وساوس الفكر
فى ليلة نام الخلى بها وخلفت بالأحزان والذكر
ياليلة طالت على دنف يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهدى لحر جوى متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أننى دنف بجمالى حب مشبه البدر

قال ثم تقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أشجاك من ريا خيال الزائر والليل مسرد الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى فأبادها واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديته ليلى والظلام كأنه يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه ملك تبدى والنجوم عساكر

(وقال غيره)

يا حسنا مالك لم تحسن إلى قلوب الهوى متعبا رقمت بالورد وبالسوسن
صفحة خد بالسنا مذهبة وقد أبى خدك أن أجتنى منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه إذ قال ما أحسنى ويا لذاك اللفظ ما أعذبه قلت له كلك عندى سنا
وكل ألفاظك مستعذبة ففوق بالسهم ولم يخطنى ومذ رآنى ميتا أعجبه

وقال كم من عاشق حبنى وحبه إياى قد إياى قد أتعبه يرحمه الله على أننى قتلى له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
مافيه معنى ناقص غير خصره وما فيه شىء بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دناها جرى نحوى بمقلته الكحلا فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى
وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا شكوت فما ألوى وولى ومالوى وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
إذا ما دعاه فرط سقمى لزورة يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بأبى غزالا غازلته مقلتى بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة ومن النجوم الزهر تحت سراد
ق عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه وذؤابتاه حمائل فى عاتق
حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته عنى وكان معانق
أبعدته عن أضلع تشتاقه كى لاينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا صعب على بأن أراك مفارق

وقال ابن نباتة : بدا ورنت لواحظه دلالا فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال إذا تبدى وجدت له من الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لأنى رأيت على سوالفه نمالا
فياعجبا لحسن قد حواه وقد أهدى إلى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن مابقيت حياتى وأشكو من صنائعه الجمالا

(القاضى فخر الدين بن مكانس)

اغصنا فى الرياض مالى حملتنى فى هواك مالا
يارائحا بعد أن سبانى حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لى مما ألاقى ثمدا وحسد
وعاذلى منذ رأى ضلوى تعمد سقما بكى وعدد

(ابن رفاعة) يقولون هل من الحبيب برورة ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما يحاكى إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

وردى خد نرجسى لواحظ مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا من المسك فوق الجلنار قد التووا

رقص الحبيب غلاه سكر ظاهر
ياليل طلت على حبيب ماله إلا الصباح موازر ومسامر
فأجابنى مت حتف أنفك واعلمن
أن الهوى لهو الهوان الحاضر
قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالأبيات أؤم الصوم فما انتهى إلى آخرها إلا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالأمطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله ابن معمر القيسى فقال ألك حاجة يا قيسى قلت إنى كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى أقيك وبروحى أفديك وبمالى أواسيك ما الذى تجد فقال إن كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة ابن الحباب بن المنذر ابن الجموح الأنصارى غدوت إلى مسجد الأحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفى وسطهن جارية بديعة الجمال فى نشرها بارعة الكمال فى عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت على وقالت ياعتبة ما تقول فى وصل من طلب وصلك

ووجنته الحمرا تلوح الجمرة عليها قلوب العاشقين قدا كتووا
وودى له باق ولسـت بسامع لقول حسود العواذل اذعووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة فكيف واحشائي على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا)

شبه السـيف والسنان بعينى من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان قالا حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلامتى سيوفهن محده

(وقال آخر) يملك رقى شادن قد هويته ممن الهند مسعول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البنديرى)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب وطيفها عن عيانى عين محتجب
ذكرها أنس روحى وهى نائية والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها اللاح راح يعذلنى ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابهـا فى الهوى عذاب ألذ به ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أودنت وجدى كما علمت تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع وغير طاعته فى الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طللا حلته سـلمى معاهد ووحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصـيف ومربع وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الوشوان عنى ولم أزل ويقظان طرف البين عنى راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قدمر جنانى مروج صبابة ولم ويطردفينا من البين طارد
تجرذيول اللهو فى قمص الهوى تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر ولم نحسب الأيام فينا تعاند
فهل أنت ياسلمى وقدحكم الهوى كما كنت لى أم حادبالقلب حائد
وهل لردنا باق والاتغيرت على عادة الأيام منك العرائد
وهل محيت آثاررسم حديثنا وأنساك حفظ الودهذا التباعد
وهل تذكرين العهداذنحن بالوى وقولك لاعاش الخؤن المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى مابدلت عهدك فى الهوى ولا اختلفت فيما علت العوائد
ولابت مسرورا وعيشك ليلة وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الودصرمت طرفه فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوماصبابة عاشق فبى يضرب الامثال من هووارد
فاشتت كونى اننى بك مدنف صبور على البلوى شكور وحامد ومنك تساوى عندى الوصل والجفا

ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولاقفوت لها آثرا فأنا حيران أنتقل من (١٧٥) مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الأرض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس أنشد يقول

أراك بقلبى من بلاد بعيدة تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى بأسفان عليكم عندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخى تب الى ربك استقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ماأنا مبال حتى يكون مايكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف عنك مابك قال ارجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفعك يحدث لى بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمنى تهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخمن الناس أن الأجر همته وما أنا طالبا للاجر مكتسبا
لوكان يبغى ثوابا ما أتى ظهرا

فيك لقد هانت على الشدائد   ولو دمت الورى عن هواك أعتنى   لقادزمامى نحو حبك قائد

نصبت شراك الحب صدت حشاشتى   فكيف خلاصى والهوى منك صائد

بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى   وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد

وماغير التفريق ما تعهدينه   وسوق سلوى فى المحبين كاسد

وحل مناى القرب منك وانما   اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتبريح وبين   وتوعدنى بتفريق وصد   وتخاف لى التلبسنى سقاما

نهى جلدى به وتذيب جلدى   وترمينى بنبل من جفون   فتضنينى وتصمينى وتردى

وتحرقنى بنار الصد حتى   تذيب حشاشتى كبدا وكبدى   فقلت لها ودمعى فى انسكاب

يفيض دما على صفحات خدى   ومن لى أن يقال قتيل وجد   واذكر فى هواك ولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شىء ليس يروى   وحبى فيك صار مع الركاب

ولم يمرر سواك ضميرى ووجدفيك أيسره عذابى   ومالك عن سواد العين يوما

وما لسواد قلبى من حجاب وما أخضرت   دواعى الشوق الاهوزت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها   وانحلنا بعد البعاد اذكارها   وعوجا باطلال محتها يد النوى

فاظلم بالناى المشت نهارها   فقد نابها ريما من الانس ان رنت   بمقلتها يصمى القلوب احورارها

تصيد قلوب العاشقين أنيسة   ويحسن منها صدها ونفارها   ويهزأ بالاغصان لين قوامها

إذا مال فوق الغصن منها خمارها   وليس لبدر التم قامة قدها   وما هو الا حجلها وسوارها

منازلها منى الفؤاد وان نأى   عن العين مثواها ففى القلب دارها   يمثلها بالوهم فكرى لناظر

وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها   وهيج دمعى حزنا وصبابتى   وما خمدت الدمع منى نارها

وساعدنى بالايك ليلا حمائم   تهاتف شجو الايقر قرارها

بكين ولم تسفح لهن مدامع   وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) ٭ وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى   بلطف وقل عن حال صبك سائلى   فقد صار بالاسقام صبا معذبا

قريح جفون من دموع هوامل   صبورا على حر الغرام وبرده   حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل

يبيت على جمر الغضى متقلبا   يئن غراما فارحميه وواصلى   الا يا سليمى قد أضر بى الهوى

وهاجت بتبريح الغرام بلابلى   رميت بسهم من لحاظك قاتل   فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى

كتمت غرامى فى هواك ولم أبح   بسر فباحت أدمعى برسائلى   سليمى سلى ما قد جرى لى من النوى

فقد عاد لى حال له رق عاذلى   لعل تجردى للكثيب وتسمحى   بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى

عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى   فيا لسقم أعضائى وهت مفاصلى   خفيت عن العواد لولا تأوهى

وعظم أنينى لا يرانى مسائلى   فرقى فقد رقت عداى لذلتى   وفاضت على حالى عيون عواذلى

قطعت زمانى فى عسى ولعلها   وما فزت فى الأيام منك بطائل   فما آن أن ترضى على وترحمى

ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى   توسلت بالمختار فى جمع شملنا   نبى له فضل على كل فاضل

مضمخا بفتيت المسك مختصا فجلسنا حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن ياعتبة وما ظنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال وما لها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هى ريا ابنة الغطريف السلمى فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول

خليلى ريا قد أجد بكورها   غيرها وسار الى أرض السماوة

خليلى ما تقضى به أم مالك   على فا يعدو على أميرها

خليلى انى قد خشيت من البكا   أستعيرها فهل عند غيرى مقلة

فقلت ياعتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر والله لأبذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك للمنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ما تقولون فى عتبة وأبيه قالوا خير ان من سادات العرب قلت فانه قد رمى بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازله بنى سليم بنى السماوة فقلنا أين منزل الطريف فخرج بنفسه

(وله

(وله رحمه الله تعالى)

يا ربة الحسن من بالصد أوصاكي حتى قتلت بفرط الهجر مضناكي
ويا فتاة بفتان القوام سبت من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكي
لقد جننت غراما منذ رأى نظرى فى النوم طيف خيال من محياكي
ومذ رآه طبيب المنام وقد أضحى عليلا حزينا لم يزل باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذب لى فهل ترى تسمحى يوما برؤياكي
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا فالله يعلم أنا ما نسيناكي
ما آن أن تعطفى جودا على فقد أضجع فؤادى أسير اللحظ عيناكي
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى ولا عذاب نفوس قبل أهواكي
حتى تولع قلبى بالغرام فما أمسى أسيرا سوا فى حسن معناكي
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى ولا تطيلى بحق الله جفواكي
يا هند رفقا بقلب داب فيك أسى ومهجة تلفت ياهند ما أقساكي
رق المذول لحالى فى الهوى ورثى وأنت ياهند لا ترثى لمضناكي
والله لومت ما أسلاك يا أملى ولو فنيت غراما لست أنساكي
وقال آخر كان فؤادى يوم سرت دليل بسير أما العيش وهو ذليل
قصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سر فى الركب وهو يجول * وقائلة لى كيف حالك بعدنا
لتعلم ما هذا اليه يؤول فقلت لها قدمت قبل ترحلى فمن باب اولى ان يجد رحيل
وقالت فليلى طال هما فأنشدت وما زال ليل العاشقين طويل فقلت وجسمى لم يزل مرجفا
فقالت وجسم العاشقين نحيل فقلت لها لو كنت ادرى فراقنا بيوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعينى فى هواك باصبعى لكيلا ارى يوما على ثقيل

(وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه)

يا من نفت عنى لذيذ رقادى ملى ومالك قد اطلت سهادى فبأى ذنب ام بأية حالة
ابعدتنى ولقد سكنت فؤادى وصددت عنى حين قد ملك الهوى روحى وقلبى والحشا وفؤادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا قلبى يسيرا ماله من فادى لا غرو ان قتلت عيونك مغرما
فلكم صرعت بها من الآسادى يامن حوت كل المحاسن فى الورى والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن اسرت عيونك قلبه ودعى السيوف تقر فى الاغمادى وتعطفى جودا على بقبلة
فبميم مبسمكى شفاء الصادى ماتت اطال الله عمرك سلوتى ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لو دام لى فيك الضنى ياحبذا لأراك من عوادى واجيل منك نواظرى فى ناضر
من خدك المترقرق الوقاد واقول ماشئت صنعى يامنيتى مالى سواك ولو حرمت مرادى
إلا مديح المصطفى هو عمدتى وبه سألقى الله يوم معادى

(وقال البهاء زهير)

إذا جن ليلى هام قلبى بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتى بحار بالجوى تتدفق سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففى راحة ولا أنا ممنون عليه فيعتق

قلنا أنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا قال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يامعشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا إلى الاكرام ففرشت فى الحال الانطاع والنمارق الزرابى فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا ياسيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما حتى تقضى حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالى المفخر فأطرق وقال يا اخواناه ان التى تخطبونها أمرها إلى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه انى أرى الغضب بينا عليك فما الخبر قال ورد الانصار يخطبونك منى قالت سادات كرم وأبطال عظام استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك إذا قصد وبأكل ماوجد ولا يأسف عن ما فقد قال الغطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الى بعض حديثك معه فقالت

ما كان ذلك ولكن إذا اقسمت فان الانصارى لا يردون

ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا إخوتاه ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الأحمر قلت لك ذلك وقال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الأذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فأقمنا هناك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف ياقوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من قيس

(مجنون ليلى)

وقد خبروني أن تيماء منزل ... لليلى إذا ما الليل ألقى المراسيا ... فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي
فما للنوى يرمي بليلى المراميا ... أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالليل خاليا ... ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا ... يميناً إذا كانت يميناً فان تكن ... شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها ... أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا ... خليلي لا والله لا أملك الهوى
إذا علم من أرض ليلى بداليا ... خليلي لا والله لا أملك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضاليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو أنه ... يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي ولا ليا
إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني ... فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى ... وتخرس حتى لا تجيب المناديا
(وقال آخر) قلت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدي الوفا والصدق شيمته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(كمال الدين بن النبيه)

أما وبياض مبسمك النقي ... وسمرة مسكة اللعس الشهي ... ورمان من الكافور تعلو
عليه طرائع الند النـــدي ... وقد كالقضيب إذا تثنى ... خشيت عليه من ثقل الحلي
لقد أسقمت بالهجران جسمي ... وأعطشني وصالك بعد ري ... إلى كم أكتم البلوى ودمعي
يبوح بمضمر السر الخفي ... وكم أشكو للاهية غرامي ... فويل للشجي من الخلي

(وصفي الدين الحلي)

أبت الوصال مخافة الرقباء ... وأتتك تحت مدارع الظلماء ... أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء ... أحيت بزورتها النفوس وطالما ... ضنت بها فقضت على الأحياء
أمت بليل والنجوم كأنها ... در ببياطن خيمة زرقاء ... أمست تعاطيني المدام وبيننا
عتب عنيت به عن الصهباء ... آبت إلى جسدي لتنظر ما انتهت ... من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها ... جزعا وما نظرت جراح عشائي ... أمصيبة منا بنبل لحاظها
ما خطأته أسنة الأعداء ... أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا ... أضعاف ما عاينت في الأعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة ... نجلاء أو من مقلة نجلاء

(وله رحمه الله تعالى)

فني ودعنا قبل وشك التفرق ... فما أنا من يحيا إلى حين نلتقي ... قضيت وما أودى الحمام بمهجتي
وشبت وما حل البياض بمفرقي ... قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى ... ولم نفرق بين المنعم والشقي
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى ... ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح ... وأحببت قول الجور من غير مشفق
قطعت زماني بالصدود وزرتني ... عشية زمت للترحل أينقي

قضى الدهر بالتفريق فاصطبر له ... ولا تذمى أفعال وترفقى

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج ... فعطرت سائر الارجاء بارج
جلت علينا محيا لوجلته لنا ... فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
حورية الخد تحمى ورد وجنتها ... بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءه أفعالى بمغفرة ... فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المسيض بها ... فما على إذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها ... كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل مابى ... والصمت فى الحب أولى بى اللهج
جادت لحاظك فينا غير راحمة ... ولذة الحب وجور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم بالسفر ... وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى لجاد لنا ... وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد ... شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لوتراها عند ما سفرت ... والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر ... فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحميا من مقبلها ... إذا نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت ... من رشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها ... فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

(وقال ابن الساعاتى) قبلتها ورشفت خمرة ريقها ... فوجدت بارد صبابه فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى ... رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكيت للفراق وقد راعها ... بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

(والوأواء الدمشقى تضمين)

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها ... أما غد زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولى لست أسمع منه قولا ... على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها ... ولى أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال فى هواها سهرتها ... أراعى نجوم الليل فيها إلى الفجر
حديثى عال فى السهاد لاننى ... رويت أحاديث السهاد عن الزهر

(السراج أوراق)

يالاثمى فى هواها * أسرفت فى اللوم وجهلا ... مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فألوت ... وأتت فى النهار يسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت ... كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلى) قد سلونا عن الغزال بخود ... ذات وجه بها الجمال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيه ... ودفعناه بالتى هى أحسن

(وقال آخر) قالت وناولها سواكا ... ساد بفيها على الاراك
سوى ما ذاق طعم بقى ... لها ذائقة سواكى

(وقال آخر) سألتها أن تعيد لفظا ... قالت محب دعوه لعذر
حديثها سكر شهى ... وأحسن السكر المكرر

حتى سقط إلى الأرض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا يا عتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما ... أعلل نفسى أنها بك لاحقة
ولو أنصفت نفسى لكانت إلى الردى ... أمامك من دون البرية سابقه
فما واحد بعدى وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاحتفرنا لهما مكانا وجدثا وواريناهما فيه ورجعت إلى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت إلى الحجاز ووردت إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن إلى قبر عتبة لأزوره فأتيت إلى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لأرباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) أن شخصا جاء إلى الشيخ عز الدين عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال

رأيتك فى المنام تنشد ... وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت قال

(ابن نباتة) ومولولة فى الحب لما أن رأت … أثر السقام بجسمى المتناهض

قالت تغيرنا فقلت لها نعم … أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال أبو الطيب المتنبى)

بابى الشموس الجانحات غواربا … اللابسات من الحرير جلاببا … الناهبات عيوننا وقلوبنا

وجناتهن الناهبات الناهبا … الناعمات القاتلات المحييا … ت المبديات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتى وخفن مراقبا … فوضعن أيديهن فوق ترائبا … وبسمن عن برد خشيت أذيبا

من حر أنفاسى فكنت الذائبا … يا حبذا المتحملون وحبذا … واد لثمت به الغزالة كاعبا

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا … من بعد أن أنشبن فى مخالبا

(وله أيضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا … غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها … ولم تر قبلى ميتا يتكلم

(الشريف الرضى)

وتميس بين مزعفر ومعصفر … ومعنبر وممسك ومصندل … هيفاء ان قال الشباب لها انهضى

قالت روادفها اقعدى وتمهلى … وإذا سألت الوصل قال جمالها … جودى وقال دلالها لا تفعلى

(ابن اسرائيل)

وعدت وصل والزمان مسوف … حوراء ناظرها حسام مرهف … نشوانة خصباء منهل ثغرها

در وريقتها سلاف قرقف … وتخال بين البدر منها والنقا … غصنا يميس به النسيم مهفهف

لا تحسبن الخلف شيمة مثلها … وعدت ولكن الزمان يسوف … يابانة قد أطلعت أغصانها

وردا جنيا باللواحظ يقطف … وغزالة يحكى الغزالة وجهها … ويعير ناظرها الحسام الاوطف

ما تأمرين لمغرم تسطو به … اجفانك المرضى ولا تعطف … قسما بوجهك هو صبح مشرق

وسواد شعرك وهو ليل مسدف … ونهز غصن البان منك على النقا … مالى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البدوى)

ولما نأت سلمى وشط بها النوى … وأيقنت انى بالغرام أذوب … علقت بأخرى غيرها متلاهيا

ليطفى ضرام فى الحشى ولهيب … وكان هيامى والهوى وصبابتى … لمن هو فى الأول إلى حبيب

(ولى فى المعنى) تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها … وقلت لقلبى هذا من زينب

وقبلت فاها مبردا لصبابتى … فأضرمت نارا فى الحشا تتلهب

فكنت كمن هو غريقا بلجة … تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل لليلى … وهل عقد الفؤاد لها التفات

فقال الآن لا لكن تأنى … فقلت الحب فيه تقلبات … فان الحب يهجم بعد يأس

ويعتاد المحب تغيرات … فلا تظهر لها يوما سلوا … فتضحك التصابى الواردات

وترمى بالصدود وبالتجنى … وتنحلك الوعود الكاذبات

فكن جلدا ولانك ذا لجاج … فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون للذى أم عمرو قريبة … دنت بك أرض نحوها وسماء

ألا انما قرب الحبيب وبعده … إذا هو لم يوصل اليه سواء

فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة فانى سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا السن فأعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظريف ما يحكى) أن الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام إلى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته فى شىء من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت قد رجعت على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره فأتيت بعض الأيام إلى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت إلى بابه فطرقته فخرجت إلى جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لأحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت إليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر

(وقال غيره) وقالوا بع حبيبك وابغ عنه ... حبيبا آخر تحيا سعيدا
إذا كان القديم هو المصافي ... وخان فكيف أأتمن الجديد
(وقال آخر) لم أنس إذ قلت من وجدي لها غلطا ... ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة ... لتقرعن على السن من ندم
(وقال آخر) أمن المروءة أن أبيت مسهدا ... قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... وأبيت منك بليلة الملسوع
(وقال آخر) إلى ان أشكو جور أهيف شادن ... وقمت فمالي من يديه خالص
جرحت بعيني خده وهو جارح ... بعينيه قلبي والجروح قصاص
(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فأكذب ... وأرى المحب بما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره ... من كان يتهم الهوى فيجرب
(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها ... عشرا ومازاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها ... غلطت في العدو ضاع الحساب
(وقال آخر) يامن سقامي من سقام جفونه ... وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرى الوصال وفوقه ... واليوم أقنع بالخيال ودونه
(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لي ... تهزى بقدري أوتريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني ... حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيري من عذول في رشا ... قامر القلب هواه فقمر
قمر يبق مني حسنه ... وهواه غير مقلوب قمر
(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا ... من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت ... وتسترت عني بقلب العقرب
(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت ... مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلواً لا ولا نظرت ... عيني لغير محيا وجهك القمر

(ابراهيم بن العباس)

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى ... ويسرع قلبي اذا يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما ... هوى كل نفس أين حل حبيبها
(وقال النوفلي) إذا اختلجت عيني من تحبه ... فدام لعيني ماحييت اختلاجها
وماذقت كاسا مذ علقت بحبها ... فأشربه إلا ودمعي مزاجها

(وقال آخر رحمه الله تعالى)

ياذا الذي زار ومازار * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ماضره لودخل الدارا
(وقال آخر) ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت مني ظاهري لجليسي
فالكل مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي
(ابن نباتة) أناشده الرحمن في جمع شملنا ... فيقسم هذا لايكون إلى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده ... فو العصر إن العاشقين لفي خسر

ثم قلت أهذا الذي توفى ولدك قال لا قلت فؤادك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأني بك وقد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال أعلم اني كنت جالسا وإذا رجل عابر يغني وهو يقول

ياأم عمر جزاك الله مكرمة ... ردي على فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمر وهذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغني ويقول

إذا ذهب الحمار بأم عمر ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمر (ومن غريب ما يحكى) ماحكاه القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة أن منارة صاحب الخلفاء قال رفع إلى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له في البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال

(أمن الدين بن أبي الوفاء)

نازلا مني فؤادا رحلا ومن العجائب نازل في راحل
اضرمت قلب متيم أهلكته وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) ياعاذلي في هواه * إذا بدا كيف أسلو يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبي) ملأت فؤادي من محبة فاتن أميل إليه وهو كالظبي رائغ
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا سواه فقال القلب ماأنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حرى ونفس كأنها بكف عدو مايريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت على ظما وردا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس في الدنيا سرورا محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) مااخترت تركوداعكم يوم النوى والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة فيقال أنت قتلته فتقادي

(وقال ابن المعتز)

هب لعيني رقادها وانف عنها سهادها وارحم المقلة التي
كنت فيها سوادها كن صلاحها لها كا كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى أفرق بين ليلي والصباح

(وقال آخر) ولي فؤاد إذا طال النزاع به طار اشتياقا إلى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له أعز من نفسه شيء فداك به

(وقال آخر) وماهجرتك النفس يامي أنها قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم ياأحسن الناس أولعوا بقول إذا ماجئت هذا حبيبها

(وقال الحارثي) اذا أنت لم تدفن بماصنع الهوى باهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات بلدغ القلب حرها بأنضج من كي الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك اخبرني أماتأثم التي
أضر بجسمي منذ مرخيالها * فقال بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضاني وقولا في حديثكما * ماضرلو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبي الشيص)

ومعروضة تظن الهجر فرضا تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا فمامني بغير الهجر ترضى

فتى يصدر تقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حججه في سنة ١٨٦ وقدعاد من الموسم وبايع للامين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل ثم قص علي خبر الأموي وقال أخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي إلى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وأنفذ هذا الكتاب إلى نائب الشام ليركب في جيشه ويقبضوا عليه وجئني به وقد أجلتك اذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله في شقة إذا قيدته وتقعد أنت في الشق الآخر ولاتكل حفظه إلى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع مافيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ مايقوله الرجل حرفا بحرف من

{ وقال الحسين بن الضحاك }

بعضي بنار الهجر مات حريقا والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته إلا ظننت ذلك المشوقا

(وقال آخر) ياويح من خبل الأحبة قلبه حتى إذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فأذله ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر إلى جسد أضر به الهوى لولا تقلب طرفة دفنوه
من كان خلوا من تبريح الهوى فأنا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا ألذ من الشماتة بالعدو

{ وقال إسحق مولى المهلب }

حبيبي يامعذبتي أسأت وبالهجران قبلكم بدأت
فأين التفضل منك فدتك نفسي على إذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو فعلت لنا الهوى ووالله ماأدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع ونوم على عيني قليل مفوت
إذا اشتد مابي كان أفضل حيلتي له وضع كفي فوق خدي وأسكت

(وقال بشار) ياقرة العين انى لا أسميك أكني بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة أوسهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان إذ ودعته غاديه قبلت فاك وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويك
قد رزقنا مرة في الدهر واحدة بالله لاتجعليها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمي ياأحسن الناس إنني أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائل من الناس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن في الحسن أضحى يصيد بطرفه قلب السكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب فأد زكاة منظرك البهي وذاك بأن تجود لمستهام
برشف من مقبلك الشهي فقال أبو حنيفة لي أمام يرى أن لازكاة زكاة على الصبي

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم وثغر الهنانى روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمي ياعذبة الماء أنني أظل إذا لم أسق ماءك صاديا
ومازلت بي يابين حتى لو أنني من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل الى لقياك يتفق
ماأنصفتك جفوني وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بأبي شجاع)

لأعذبن العين غير مفكر فيها بكت بالدمع أوفاضت دما ولأهجرن من الرقاد لذيذه

منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين قليلا إلى وتنفيس للنفس قليلا إلى أن وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد إلى أن فتح الباب فدخلت على هيئتي حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشيه كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير إذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلماني فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم فلما صرت في صحن الدار انزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت أفيكم فلان قالوا لانحن أولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال واسترتبت به واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيت شيخا بزي الحمام يمشي في الصحن واليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت أنه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا

حتى يعود على الجفون محرما هي أوقعتني في حبائل فتنة لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفحن دموعها وهي التي بدأت فكانت أظلما
وقال المتنبي: أضحت بخدي للدموع رسوم أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم
الرفاء الأندلسي: ومهفهف كالغصن إلا أنه تتحير الألباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده عرقا فقلت الورد رش بمائه
وقال آخر: أخضر وأصفر لاعتلال فصار كالنرجس المضعف كأن نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف يرشح منه الجبين ماء كأنه لؤلؤ منصف
وقال آخر: مازال ينهل من صف الطلا قرى حتى غدت وجنتاه من البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده طورا وحاول أن يسعى فلم يطق فمائل فعلت فعل الشمول به
فعل النسيم بغصن البانه الورق جاذبته لعناقي فانثنى خجلا وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه ان العناق حرام قلت في عنقي
وقال آخر: بأركان هذا البيت إني لطائف وفي الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم جيادا ولكن الليالي صيارف وبي ذهبي اللون صيغ لمحنتي
يريد امتحاناتي وما أنا زائف يذيب فؤادا وهو لا غش عنده فذهبي اللون إنك خائف
وقال آخر: أسنى ليالي الدهر عندي ليلة لم أخل فيها الكاس من أعمالي
فرقت فيها بين جفني والكرى وجمعت بين القرط والخلخال
ومما قيل في الرقباء: لو أن لي في الحب أمرا نافذا وملكت بسط الأمر في التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها ولكنت أقلع عين كل رقيب
وقال أعرابي: بسهم الحب كلهم في فؤادي ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى مكان الكاتبين من الذنوب ومن حذر النقيب إذا التقينا
تسلم كالغريب على الغريب ولولا تشاكينا جميعا كما يشكو المحب إلى الحبيب
وقال آخر: من عاش في الدنيا بغير حبيب فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في البحر العمي لا أنت لا بل عين كل رقيب
وقال آخر ابن أبي سلمة: يعذلني فيه جميع الورى كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها بليت فيها بملام الرقيب
وأنا غريب فلا ألام على البكا ان البكا حسن بكل غريب
وقال آخر: وما فارقت سعدى عن قلاها ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف اذا بانت حبيبته بكاها
وقال آخر: وقائلة ما بال دمعك أبيض فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البكا طال عمره فشابت دموعي عند ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دما ولم يبق إلا لوعتي وتحرقي
(وقال آخر) ولم أر مثل غار من طول ليله عليه لأن الليل يعشقه معي
ومازلت أبكي في دجى الليل صبوة من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي
(وقال آخر) رجوت طيف خيال وكيف لي بهجوع

فاكهة فقال تقدم يامنارة فكل معنا فقلت مالي إلى ذلك من حاجة فلم يعاودني وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها إلا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الأكل لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رابطا وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا المال لما نزلت الدار جمالي جمع غلماني بالمنع من الدخول فما أطاقوا إمانعهم وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطلق أشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا أطيق حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه بي في الأكل ولا يسألني عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام

إلى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل على وقال ماأندمك يامنارة فقلت أمرلك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقراه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف إيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان فى مكان واحد ولا يظهروا إلى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى بالتوجه ولست أقيم بعد نظرى فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائى من الحرم خيرا ومابى حاجة من أن يصيبنى غلام هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت فى سفط فأحضر حدادا فمد ساقيه فقيدته وأمرت غلمانى بحمله فى المحمل وركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن فى الغوطة فقال لى ترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال أن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ثم انتهى إلى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لى فاشتد غيظى منه فقلت له أعلم أنى شديد التعجب منك فقال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من

والذاريات جفونى ... والمرسلات دموعى

(وقال آخر) يا نازح الطيف من نومى يعاودنى ... فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها ... فكيف وهى التى لم تبلغ الحلماء

(وقال آخر) ارحم وجمت للوعتى ... وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل ... عن حالها ياما جرى

(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم ... فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن ... يجرى به دمعى دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها ... يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى ... لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لى والدمع قرح مقلتى ... بنار أسى من حبة القلب تقدح

(وقال البدر الذهبى) قالوا تباكى بالدموع وما بكى ... بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه ... لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(قال ابن مطروح فى الغيرة)

ولو أمسى على تلفى مصرا ... لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى ... أغار عليك منك فكيف منى

(وقال آخر) أغار عليك من نظرى ومنى ... ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى ... إلى يوم القيامة ما كفانى

(المظفر بن عمر الآمدى)

قلت للذين جفونى إذا لهجت بهم ... دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم ... كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى ... لله أيام النجا والنجاح
ذلك زمان مر حلو الجنى ... ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى) عللانى بذكركم واسقيانى ... وامزجا لى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى ... قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد مذغبنا فقلت لهم ... نعم واشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم ... انى أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا ... وعقولنا وجفا الجفون منام
واللطيف قد وعد الجفون بزورة ... ياحبذان ان صحت الأحلام

(ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت ... بقية البدر فى أولى تسايره
كأنما أدهم الظلام حين نجى ... من أشهب الصبح التى نعل حافره

(وقال آخر) ليل المحبين مطوى جوانبه ... مشمر الذيل منسوب إلى القصر

بين أهلك ومالك وولدك واخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ماتدرى إلى مايصير اليه أمرك ولا كيف يكون

وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لاتعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا إنا لله وإنا اليه راجعون أخطأت فراستى فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ماحللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فأنا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك فى أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه إياى إلى بابه على صورتى هذه فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصيتى ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لى عنده أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمرى وعلم سلامتى وصلاحى وبعد ناحيتى وان الحسدة والأعداء رمونى عنده بما ليس فى وتقولوا على الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمى وتحلل من أذاى وازعاجى وردنى مكرما واقامنى ببابه معظما وإن كان سبق فى علم الله عز وجل أنه يبدر إلى منه بادرة سوء وقد حضر أجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتمعت الإنس والجن والملائكة وأهل الأرض وأهل السماء على صرف ذلك عنى ما استطاعوا . فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه وإني حسن الظن بالله عز وجل الذى

فى

مذاك إلا لأن الصبح تم بنا ... فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوى التصابى ... وكل يشتكيه بكل حال

فيشكو طوله أهل التجافى ... ويشكو قصره أهل الوصال

(قال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما ... قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت ... بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(قال آخر) ان الليالى للانام مناهل ... تطوى وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرا ... حظ عينى فيه دمع وسهر

كلما هيج ليلى حرقى ... صحت ياليل أما فيك سحر

(قال آخر) ياليل طل أولا تطل لابد لى من سهرك لو بات عندى قمرى مابت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد)

خليلى مابال الدجى لايزحزح ... وما بال ضوء الصبح لايتوضح

أضل النهار المستنير طريقه ... أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر) كأن الثريا راحة تشبر الدجى ... ليعلم طال الليل أم قد تعرضا

فليلى تراه بين شرق ومغرب ... يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه ... والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافر ... أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة ممطرة)

أقول والليل فى امتداد ... وأدمع الغيث فى انسفاح

أظن ليلى بغير شك ... قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الأشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب ... فخرقت حلة الظلماء باللهب

بكر إذا زوجت بالماء أولدها ... أطفال در على مهد من الذهب

بقية من بقايا قوم نوح إذا ... لاحت جلت ظلم الأحزان والكرب

بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت ... لحدثتنا بما فى سالف الحقب

باكرتها برفاق قد ذهبت بهم ... قبل السلاف سلاف العلم والأدب

بكل متشح بالفضل مؤتزر ... كان لفظه ضربا من الضرب

بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت ... تنقض فيه كئوس الراح كالشهب

بذلت عقلى صداقة حين بت به ... أزوج ابن سحاب بابنة العنب

بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا ... يعيد أرواحنا من شدة الطرب

بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا ... من نفخة الصور أم من نفخة القصب

بروضة طل فيها الطل أدمعه ... والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات ... واغنم لذيذ العيش قبل فوات

تم السرور فقم بنا ياصاحبى . نستدرك الماضى بنهب الآتى توج بكاسات الطلا هام الربا

في روضة مطلولة الزهرات تغدر سلاف القطر دائرة بها والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضارة على العقار غنيمتي وفراغ راحاتي على الراحات
ترك لا كياس النضارة جهالة من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى اوقاتها داعي الصبا وأعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حي الرفاق وطف بكاس الراح واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤوس على جسوم أصبحت فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطني مشمولة ظنت فسادي وهي عين صلاحي
حمراء لو ترك السقاة مزاجها أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب نظل به الكؤوس كأنها خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكأنه شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه ياصاح لا تقنع بأنك صاح

(وقال آخر) قد قلت إذ أضحى يعبس كلما دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها ياسيدي تأتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلي)
لئن شبه مساق المدام بمسجد فقد مال بالتشبيه عن صيغة الأدب
ولكن رآها جوهرا سميت فميز ما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية)
وشمسة كرم برجها قعر دنها وطلعتها الساقي ومغربها فمي
مدام كتبر في إناء كفضة وساق كبدر مع ندامى كأنجم

(وقال آخر) كأن الندامى والسقاة ودننا وكاساتنا في الروض تملى ونشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكأنها وكأن حامل كأسها إذا قام يجلوها على الندماء
الشمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم)
صدح الديك في الدجى فاسقنيها خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء هي في الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)
قم ياغلام ودع مقالة من نصح فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فأسقني ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها لمقطب إلا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام عاتها لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاه بت سراؤها في باخل الأسمح
كيف فتان اللحاظ بوجهه عذر لمن خلع العذار أو افتضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتني حسنا وطوا وأنسا مازلت ألثم بدرا بها وأشهد شمسا

خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وإن الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذا عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر إلى أمير المؤمنين فانتهينا إلى الباب آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال هات ماعندك يامنارة وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فمازال وجه الرشيد يسفر حتى أنتهيت الى خاطبي ما به عند توبيخه إياي لما ركبنا المحمل قال صدق والله ماهذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به قال فخرجت

فنزعت قيوده وادخلته إلى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال

بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الأموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالى الاحاجة واحدة قال مقضية ماهى قال يا أمير المؤمنين تردنى إلى بلدى وأهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ماتحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لايخلو ان يحتاج إلى شىء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فأمورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بأمر إن عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد ياسارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى إذا أوصلته الى محله الذى أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم وحكى فى الكتاب المذكور قال حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس برينا آيه الصبح فى الدجى ... فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها ... فان جاءها جاء التبسم والبشر
فياعجبا للدهر لم يخل مهجة ... من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(قال ابن تميم)

وليلة بت اسقى من غياهبها ... راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى ... غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكره ٭ وتوالى تجداد ٭ والندامى تجمعوا ٭ فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)

كاسنا ياصاح صرفا ٭ جليت بين الندامى ... لم نجد ماء لمازج ٭ فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى) كيف لاتخضع العقول لديها ... وهى سلطان سائر المسكرات
الفوا فى الكوس إذا مزجوها ... بين ماء الحيا وماء الممات

(غيره) صبها فى الكاس صرفا غلبت ضوء السراج ... ظنها فى الكاس نارا فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمى لاتسقنى ٭ سوى الصرف فهو الهنى ... ودع كاسها اطلسا ٭ ولاتسقنى مع دنى

(تقى الدين بن حجة)

حيا بها عاصرها فى كاسها ... مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا ... قلت اسقينها يا إمام العصر

(أبو الطيب المتنبى)

يا صاحبى امزجا كأس المدام لنا ... كيما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا إذا ماندیمی هم یشربها ... أخشى عليه من اللألاء يحترق
لوراح يحلف ان الشمس ماغربت ... فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها ... وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم ... ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قصب تدلت ... حكى منظومها عقد اللآلى
إذا عصرت بدا فى الكاس منها ... والى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين المعمار) باكر لكرم العنب المجتنى ... واستجنه من عبد عناية
واعصره واستخرج لنا ماءه ... لكى تزيل الهم عنا به

(جولان العاذلى) إذا ما الخمر فى الكاسات صبت ... رأيت لها شموسا فى بروج
وإن جليت على الندمان يوما ... تزحمت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه ... بالنار فى أى شىء تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى ... ولست أخسر لاقدرا ولا حطبا

قدما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر حماه من السلطان فسأله عن الحكاية فأطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فأسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى قال)

بيع أبواب داري وسقوفها ولم يبق لي حيلة وبقيت مدة لاقوت لي إلا من بيع والدني لما تغزله وتطعمني وتأكل منه لتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لي غناك بمصر فاخرج إليها فبكرى الى دار أبي عمر القاضي وتوسلت إليه بالجوار وبالخدمة وكان أبي قدخدمه أياما وسألته أن يزودني كتبا إلى مصر لأتصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسدالله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولالاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في أن أسأل الناس فلم أستبح المسئلة ولم يحملني الجوع عليها وأنا ممتنع إلى أن مضى من الليل صدر صالح فلقيني الطائف فقبض علي ووجدني غريبا فأنكر حالي فسألني فقلت رجل ضيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها وحديث المنام فقال مارأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كان رجلا يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي وأصغيت فتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكرت داري واسمي وفيها بستان وفيه سيدر تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت إليه وأنت ياأحمق فارقت وطنك وجئت إلى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي وأطلقني والطائف

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها ... لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع ... لايستطيع يحول فيه الناظر
ترنو إليك من الحباب بأعين ... خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لاتعصرن زبيبا واعتصر عنبا ... فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحي الأحياء معتصر ... وذاك يعصر من جسم بلاروح

(وقال غيره) عابوا على مداما * أخرتها لصبوحي واستنكروها وقالوا * تحللت قلت روحي

(وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق)

أما ترى الرعد بكى فاشتكى ... والبرق قد أومض فاستضحكا ... فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى ... وانظر لماء النيل في مده ... كأنه صندل أول مصطكا

(وقال آخر) ياليلة جمعت لنا الأحبابا ... لوشئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا ... يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها ... من فضة قد قمعت عنابا

(وقال آخر) أما ترى الغيث كالباكي بنانها ... والأرض تضحك والأزهار في فرح
فقم فديتك نشكو مانكابده ... من الزمان وما نلقى إلى القدح

(ابن نباتة) أما ترى الليل قد ولت غياهبه ... وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت ... كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة) طربت إلى الصبوح مع الصباح ... وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا ... وناري بين نارنجي وراحي ... فشمومي ومشروبي وناري
وثلجي والصباح مع الصباح ... لهيب في لهيب في لهيب ... صباح في صباح في صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها ... فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها ... كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت ... قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمرا قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقيق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر) إذا الكروان صاح على الرمال ... وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب ... تمر به الجنوب مع الشمال ... وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا في كل حال ... فهات الكاس مترعة وغنى ... أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لاشك يوما ... يرق بينهم صرف الليالي

(وقال آخر في الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفه جنوب ... ويوشك أن يوافقنا بهطال
فوجه الرأي أن تدعو برطل ... فتشربه وتدعو لي برطل

(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة ... تفز ببكور باكرتك بها بكر
ودا وخمار الخمر بالخمر إنما ... دواء خمار الخمر من دائها الخمر

فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف درهم فأخذتها وأمسكت يدي

ودبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن ما ابتعته منها من ضياع وعقار الى الآن

(وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه في أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمه قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا علة يقال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أرائك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حلوه بأسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والأباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التي لم نر مثلها وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فأدخلنا إلى الحمام في الدار في غاية السرور وخل الينا غلامان أمردان وصبيا في نهاية

قلت

(وقال الصنوبري) لا تبكين على الأطلال والدمن ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن حمراء مروقة صفرا فاقعة كأنما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها غنج في خده ضرج في ثغره ثلج ينمى الى اليمن في ريقه عسل قلبي به ثمل
في مشيه ميل أربى على الغصن كأنه قمر ماثله بشر في طرفه حور يرنو فيجري حتى
سبحان خالقه ياويح عاشقه يهدي لرامقه صنفا من الشجن في روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كأنها فرشت من وجهه الحسن طيب مجالسنا والطير يطربنا والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طالب الصبوح لنا فهاك وهات واشرب هنيأ ياأخا اللذات كم ذا التواني والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب مواتي قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها فعجبت للنيران في الجنات ينسل في قار الظروف حبابها
والدر مجتلب من الظلمات عذراء واقعها المزاج أما ترى منديل عذرتها بكف سقاه
يسعى بها عبل الروادف أهيف خنث الشمائل شاطر الحركات يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كأنما ود الحيات لو قسمت أرزاقنا بيمينه عدل الزمان على ذوي الحاجات

(وقال أيضا) * باكر صبوحك أهنى العيش باكره فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب تنوب عن ثغره من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقي لها شبه فهل جناها من المنقود عاصره ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره بيض سوالفه لعس مراشفه نعس نواظره خرس أساوره
الفاتر الثغر معسول اللمى غنج مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره مهفهف القد يبدي جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره تعلمت بأنه الوادي شمائله وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل وركبت فوق صدغيه محاجره فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ
كبرى لآمن بعد الكفر ساحره خذ من زمانك أعطاك مقتنصا وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكأس تستحلى أوائله لكنه ربما مرت أواخره
وأجسر على فرص اللذات محتقرا عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطي ثم رحنا نملل بالكؤس وبالقناني
ولا ضيقة الاجرام قلنا لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطي) أرى جرار الخمر تعلو وقد عزت وبالافلاس حالي عجيب
جئنا لخمار وقلنا له احمل الينا جرة كي نطيب قال زبيبا تريدون أم
خمرا فان الكل مني قريب قلنا له خمرا فنادى زنوا في جره عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب لصرف همي نص على نفعه طبيبي
آها على سكرة لعلي أن أخلط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها لا تتعدد الحرام حدا

قلت أراها للروح قوتـــا وطالب القوت ما تعدى

(ومما قيل في شرب الفقهاء)

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما تحت الظلام بأفواه الأباريق

(فيمن يطيل الحديث والكأس في يده)

وشادن نطقه جار إذا شفعت في مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكي وكاس الراح في يده حكاية عرضها عرض السموات

(ومما قيل في كريم السكر لئيم الصحو)

إذا هز اللئيم السـكر يوما بدأ في بذل مال فيه ضنا
يجود بماله في الشرب سـكرا ويأكل كفه في الصحو حزنا

(وقيل في شجاع السكر) إذا شرب الجبان الخمر يوما أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا إذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم في حال سكره وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الأعوجيات في الوغى • أنا قل فيها كل ليث مناهز • ومن لي بحرب ليس تخمد ناره
لعمري اني است فيها بعاجز • ففي السكر قيس وابن معد وعامر • وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال في شرب الثلاثة) ثلاثة في مجلس طيب وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغني ذا وهذا لذى يسقي وذا بالشرب مسرور

(وقيل في شرب الأربعة) ألا إنما خير المجالس مجلس به وله صفوان الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل في شرب الستة)

خير المجالس خمسة أو ستة أو سبعة وعلى الكثير ثمانية فإذا تعدى صار شغلا شاغلا
وتكسرت بين الرجال الآنية فاهرب إذا ما كنت تاسع مجلس ولئن أتيت به فأمك زانية

(ومما قيل في الشرب مع التجار)

شربت مع التجار وكان يوما جعلت حضورنا فيه وداعا فذاك يقول كم أطلقت بيعا
ووفيت الذي بعث الذراعا وهذا قال عندي كل شيء ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان إذا ما الكاس دارت بغير الأكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في السـكر أكل فلا يبقي على شيء يراه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى مهانا فأضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم فصارت لجنات النعيم ملازما

(محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض اصدقائه إلى الشراب)

بساط الارض مسك أو عبير وزهر الروض وشي أو حرير وقد صفى الدنان الخمر حتى
لقد عادت لدينا وهي نور ومن يرد السرور يعيش هنيئا إذ العيش الهني هو السرور

الحسن لخدمونا من الغين وأخرجنا من الحمام إلى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان و الطعام وألوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شيء وإذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن والزي قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا إلى مجلس في بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة وإذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هـذا الاحتشام لأضيافنا أعزهم الله اخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة طنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلي فغنيننا واحتطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة أن تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وجماع وقد انفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت

هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا ياسيدي أجللناك عن تبذل مافي دارك وفينا من لم يستحل الحرام (١٩٢) فقال هؤلاء مماليكي وهن أحرار لوجه الله تعالى إن كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيده واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لأكون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فأجلسها إلى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فأدخلوا كل واحد وصاحبته إلى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها ونمنا والجواري إلى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت وما نحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا في أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا أما رأيكم في الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فمنا من أطاق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت إلينا المرآة المجلاة واخبرنا غلماننا أن صورتهم ضني
في ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجواري الخدمة الروميات فوطؤهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا

وعند اليوم فتيان كرام   وجوههمو شموس أو بدور   وقطب الأمر أنت وهل لأمر
بغير القطب فيه رحى تدور   فرأيك في الحضور لحق يومي   عليك وقد دعاك له الحضور
(وقال آخر) باكر صبوحك واشربها مشعشعة   واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعدما احمرت موردة   طافت علينا فسرت كل مهموم   كأن في كأسها والماء يقرعها
أكارع الذل أو نقش الخواتيم   لا صاحبتني يد لم تفن ألف يد   ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه   فان خلف الفتى عندي من اللون
(سيف الدولة بن حمدان في ساق)
وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام في أجفانه سنة الغمض   يطوف بكاسات العقار كأنجم
فما بين منقض علينا ومنفض وقد نشرت أيدي النجوم مطارفا على الجو أدكنا والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السماء بأصفر   على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض
(ابن نباتة) سقي وواعدني وصلا ألذ به   عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيلة الله من ساق مواعده   كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
(وقال آخر في ساق) وساق كالهلال سعى بكاس   لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا   سقى شمسا وحيا بالثريا
(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت   عبثا بلام عذاره ونونه
حمد الذي بيمينه في خده   وجرى الذي في خده بيمينه
(في جارية ساقيه) نديمتي جارية ساقيه   ونزهتي ساقيه جاريه
جارية أعينها جنة   وجنة أعينها جارية
فيمن حبس الكاس في يده: قالوا الذي تهواه يحبس كاسه   في كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فانه   قمر ينزه طرفه في كوكب
(وقال آخر في مجلس أنس)
ومجلس راق من واش يكدره   ومن رقيب له باللوم إبلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس له   على الندامى سوى الريحان نمام
(صفي الدين الحلي في عود) وعود عاد السرور لأنه   حوى الهوى قدما وهو ريان ناعم
يغرب في تغريده فكأنه   يعيد لنا ما لقنته الحمائم
(وقال آخر في زامرة) وناطقة بالنفخ عن روح ربها   تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت   فنحن سكوت والهوى يتكلم
وما قيل في فانوس لابن تميم: انظر إلى الفانوس تلق متيما   ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله   وتعد من تحت القميص ضلوعه
(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس في غسق الدجى   دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه   وجرت مدامعه وذاب فؤاده
(ولبعضهم في شمعة) حكمتني وقد أودى بي السقم شمعة   وإن كنت صبا دونها متوجعا

يقول هذا فى النوم نراه ونحن فى الحديث إذا أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكرم بذلك واخذ يسألنا عن ليالينا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فأجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب إلى بعض البساتين للتفرج إلى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد والنظر فى الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فأحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن إلا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى احضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فأكلنا وقمنا إلى الفرش وجاء المرد ان فغمزونا غمزهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا إلى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا فى مجالسنا بالامس وجاء اولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو احسن منهن وقصدت كل وحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة اسبوع فقلت لاصحابى ويحكم ارى الامر متصلا ومن المحال ان يقمل لنا الرجل واتحلوا عن وقد استطبتم انتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا ما ترى فقلت ارى ان نستأذن الرجل

(١٩٣)

ضنى وسهادا واصفرارا ورقة ... وصبرا وضمنا واحترافا وأدمعا

(ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره متجاوب فى أيكه أطياره وبدا البنفسج والشقائق مونق والورد يضحك بينها وبهاره فاشرب على وجه الحبيب وغن لى هذا هواك وهذه آثار

(وقال غيره) غدوعلى الروض الذى طله الندى ... سحيرا وأوداج الأباريق تسفك
فلم تر شيئا كان أحسن منظرا ... من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها ... بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها ... وللربيع ابتسام فى نواحيها

(غيره) ان السماء إذ لم تبك مقلتها ... لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر
والأرض لا تنجلى أنوارها أبدا ... إلا إذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أباحسنها من رياض غدا ... جنونى فنونا بأفنانها
مشى الماء فيها على رأسه ... لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) أنظر إلى الاغصان كيف تعانقت ... وتفارقت بعد التائق رجعا
كالصعب حاول قبلة من الفه ... فرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول ... طرفى برونق حسنها مدهوش
يبد خيال غصونها فى مائه ... فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها ... وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم ... والماء وافانى بقلب صافى

(وقال آخر) قد سمينا نبغى زيارة دوح ... قد حبانا باللطيف ولا كرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا ... أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل فى الازهار والثمار) قال بعضهم فى الورد

ياراقد ونسيم الصبح منبه. فى روضة القصف والاطيار. تنتحب الورد ضيف. فلا تجهل كرامته فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب سقياله زائرا تحيا النفوس به يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمن وجاء الورد فاصطبحا ... مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة ... لاطولت للثام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية ... شهرا وعشرا وخمسا بعدها عدد
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب ... فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها ... أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظر من وجنة ... حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده ... ويقول وهو على البنفسج يحنق
لاتقربوه وان تضوع نشره ... من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل فى البنفسج) قال ابن المعتز

ولازورديه وافت بزورتها ... بين الرياض على ورق اليواقيت

فنظر أى شيء هو فان كان ممن يقبل هدية أوبرا عملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة فى وقت ثان ونسألنا ان يحضر لنا من تكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشراب

كأنها فوق طاقات ضعفن بها … أوائل النار في أطراف كبريت
(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة … تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف … أو أعين زرق كحلن بإثمد
ولبعضهم في الورد للورد فضل زهر الربيع روى … ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه … آثار قرص يد في خد ذي غنج
(وقال آخر) يامهديا لي بنفسجا ارجا … يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه … بأن ضيق الأمور ينفسح
(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرد فعلوا عليها … عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا … فنكست الرءوس إلى الرياض
(وقال آخر فيه) أنت يانرجس روض … لزهور الأرض ست
ودليل القول فيك … ان أوراقك ست
(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص … إلي وللنمام حولي المام
أيا رب حتى في الحدائق أعين … علينا وحتى في الرياحين نمام
(وقال أيضا فيه) أتمادى الورد في زهره … وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور مما به … واصفر من غيظ به النرجس

(وما قيل قيل في اللينوفر لابن المعز المصري)

وبركة تزهو بلينوفر نسيمة يشبه بشر الحبيب مفتح الاجفان في نومه حتى إذا الشمس دنت للمغيب أطبق جفنيه على خده وغاص في ابركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصري)

رأيت في البركة لينوفرا فقلت ما شأنك وسط البرك فقال لي غرقت في ادمعي وصادني ظبي الفلا بالشرك فقلت ما بال اصفرار بدا فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى … صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(وما قيل في البان)

قد قبل الصيف وولى الشتا … عن أبي قليل نسأم الحر
أما ترى البان بأغصانه … قد قلب الفرو إلى برا

(وقال آخر فيه)

وما ترى البان الذي يزهو على … كل الغصون بقده المياس
وأتى يبشر بالربيع وقربه … يختال في السنجاب والبرطاس

(وقال في الشقيق)

حييته بشقائق في مجلس … ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأنبت خده … أضعاف ما حملت يداي اليه
(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة … أحداق نرجسها الينا تنظر
ماانشق جيب شقيقها حسدا ولا … بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل

فلما قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا احسن مما ضفتنا ونريد الرحيل إلى مصر لما اردناه من طلب التصرف وأنا فلان بن فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد حملتنا من اياديك ومنك مالا يسعنا معه ان نجهلك ونحب ان نعرفنا بنفسك لنأتي بشكرك ونقضي حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان احد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا في الشرح فقال جملت قدامكم ان لقادني خبرا أطرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت ان تخبرنا فقال نعم لنا رجل كان أبي تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء المغنيات والشرار فاتلفت مالا عظيما من مال ابي إلا انه لم يؤثر ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعاني فقال يا بني اني قد خلفت لك النعمة وقيمتها مائة ألف دينار بعد أن اتلفت على خمسين الف دينار وان الانفاق لا آخر له إذا لم يكن بازائه داخل ولو اردت ان اتلف هذا المال عليك في حياتي أو الآن حتى لا تصل إلى شيء منه لفعلت ولكن هو إذا أتركه عليك فاقض حق بحاجة تقضيها إلى لا ضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا اعلم أنك ستتلف المال في مدة يسيرة فعرفني إذا افتقرت ولم يبق معك شيء أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا فقلت لا قال فعرفني من اين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي ان قلت أصير قوادا قال

فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بعارف عنك هذه الصناعة فإنها ماجرت على لسانك إلا وقد دارت فى فكرك ولا دارت فى فكرك إلا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن اخبرنى كيف يتم لك المعاش منها

فقلت قد تدربت بكثرة دعوانى القحبات والمغنيات ومعاشرتى لشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم فيقيمون فى بيتى ويعملون ما يريدون وآخذ أثمانهم الدراهم وأعيش بها فقال إذا يبلغ السلطان خبرك فى جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادى عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا إلى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن إذا أردت هذه الصناعة فأنا أعلمك وإن كنت لا أحسنها فلا تستغنى فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشىء فقلت افعل قال اذا أنامت فاعمل على أنت قد انفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات وعامل على ما كان فى نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهبة عند اخوانك واعمل أنك قد أنفقته واحمل معيشتك ماتريد أن تجمله اذا افتقرت

وقيل أن ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول قالت شقائق قبره ٭ ولرب أخرس ناطق ٭ فارقته ولزمته ٭ فأنا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا ... كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا ... هذا هو العيش إلا أنه فانى

(وقال آخر) قد أقبل المنثور ياسيدى ... كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لازال كأنفاسه ... وخ من يهناك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الأحبة مرة ... فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس ... مع أقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا ... ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل فى الياسمين)

والأرض تبسم عن ثغور رياضها ... والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة ... والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفأل بشرنى بخير ... وقد أهدى إلى الياسمين
فلا تحزن فإن الحزن شين ... ولا تيأس فإن اليأس مين

(ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى)

سقينا الأرض إذا ما نمت تنبهنى ... بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة ... على الميادين أذناب الطواويس

(ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى)

أفدى الذى زارنى سرا فأتحفنى ... باقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبلة ... لثما وأرشف من ريق له شيم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبيهه ... بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(ومما قيل فى الجلنار) وجلنار مشرق ٭ على أعالى شجره ٭ كأنه فى غصنه أحمره وأصفره ٭ قراضة من ذهب ٭ فى خرقة معصفره

(ومما قيل فى الآس) أهديت مشبه قدك المياس ... غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته ... وكأنما تحكيه فى الأنفاس

(ومما قيل فى الريحان)

وغصن من الريحان أخضر ناضر ... نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به ... شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه ايضا) وريحان يميس بحسن قد ... يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز ... وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه ... إذا ما بدا للعين لون الزبرجد

فانك تستفيد بذلك امورا منها انك تبتدىء ادرك بهذا فلا ينكر عليك فى آخره ٭ منها انك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع واحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وإن طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نارك فتخلصت فقلت كيف افعل قال

المجلس إذا أنامت ثلاثة أيام للعزاء إلى أن تنقضى المصيبة فإذا انقضت نفذت وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حتى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدىء فتشترى من الجوارى

المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ماتحتاج اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى السرور وتتوفر على سرور من تريد ان تعاشره ولا تدخل إلا الأمير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أوشهرين وهادهما أيام الأعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة أودع القوم ومن ينفق معهم وليكن ذلك بفمل وترتيب فان ذلك أولا لايظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجنون والشوة على طريق التخالع أو مساحة الاخوان وإلا فأى لذة له فى ذلك وليس هو بجنونا ولا مخنثا ولا فقيرا ولا محتاجا إلا هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد أتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد رقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى

فشبهته لما بدا متجعدا عذار تبدى فى سوالف اغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما فى الاترج) قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا حملا ونشرا وطاب العود الورق

(ولبعضهم فيه) حياك من تهوى بأترجة ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)

يا حسن ليمونة * حيا بها قمر * حلو المقبل ألمى * بارد الشنب
كأنها أكرة * من فضة خرطت * واستودعوها غلافا * صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض إلى الراح ولا
ترضى يعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى لليمون * فى غصن من الزبرجد * كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)

نظرت إلى نارنجة فى يمينه كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت فشبهتها المريخ فى دارة الشمس
(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبا فى صولجان زبرجد
(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون ومنه ما نرى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات غلائلها صبغن بزعفران
(وقال آخر) وأشجار نارنج كان ثمارها حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها خدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق بريا حبيبه فهاجت له الأشجان من حيث لايدرى
فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح احمر مشرقا دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فمندنا خدود الأغانى قد جمعن على طبق
(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة بها خد معشوق إلى خد عاشق
(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا
(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن ملاك الخمر روى أديمها بخمر فجادت باحمرار أديمه
تذكرنى بشكل الحبيب وحسنه وتوريد خديه وطيب نسيمه

منزلة فيصير لك بمنادمته رسم وجاهك باق بملاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ (وقال
عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى حلته وتصير قيادتك نفعا بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين

يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت في الحال أن الصواب ما قاله ومات في علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وما فيها كما أمرني ثم بيضت الدور وهي هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت في الآلات والفرش والأبنية كما أردت وابتعت هذه الجواري والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمري على ما قاله لي من غير مخالفة لشيء منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقني منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهناه وأمر معاشي عليهم ودخلي بهم أكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية باسرها ما بعت منها شيئا بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته إلى ما خلف علي وأمري يمشي كما ترون فقلنا يا هذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا إلى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الأمر إلا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد بن يحيى فضل العمري) في كتابه المسمى مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقي قال ذكر العم حسن الأربلي في تاريخه قال جلست مع صفي الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية

(وقال آخر) حمرة التفاح في خضرته ... أشبه الألوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة ... واسقنيها بنشاط وفرح
(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه ... بن لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها ... له عطف المولى على عبده
(وقيل في السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا ... على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة ... والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكي بلونها ... محبا شجاه للحبيب فراق
إذا شمها المشتاق شبه ريحها ... بريح حبيب له منه عناق
وطيبة عند المذاق كطعمها ... كريق حبيب طاب منه مذاق
(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا ... فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار ... ولون المحب وريح الحبيب
(وقيل في الكمثرى) وكمثرى لذيذ الطعم حلو ... شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور إذا اقتلعنا ... مغمرة بلون الزعفران
(ابن برشش متغزلا) وكمثرى سباني منه طعم ... كطعم الشهدشيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا ... نهود السمر في معنى وقد
(وما قيل في المشمش) بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه ... على غض غصان من الروض ميد
حكي وحكت أشجاره في اخضراره ... جلاجل تبر في قباب زبرجد
(ما قيل في الأجاص) انظر إلى شجر الأجاص قد حملت ... أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الأوراق مستترا ... كما اختبي الزنج في خضر من الأزر
(ما قيل في الخوخ) أهدى إلى الصديق خوخا ... منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن معناه في مثلها دقيق حمراء صفراء مستعير
بهجتها التبر والعقيق كوجنة مسها خلوق فزال عن بعضها الخلوق
(ما قيل في الفستق) تفكرت في معنى الثمار فلم أجد ... لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجني فانه ... زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة ... وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد
(قيل في البندق) ولقد شربت مع الحبيب مدامة ... حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي البهي ببندق ... شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا ... قد لف فيه بنادق من عاج
(ومما قيل في النبق) وسدرة كل يوم من حسنها في فنون كأنما النبق فيها
وقد حلا في العيون جلاجل من نضار قد علقت في الغصون
(ومما قيل في اللوز) ومهد الينا لوزة قد تضمنت ... لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة ... على رقبة في مجلس فتعانقا
(في العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة ... نعم الهدية إذ وافتك من يده

نوعان من عنب جاءا على طبق | كأن طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه | وأسود العين يحكي لون أسوده
(وفي قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب | بل لأكل ومص لب ورشف
كملت في استوائها واستقامت | باعتدال وحسن قد ولطف

(ومما قيل في البطيخ الأصفر)

أتانا غلام فاق حسنا عن الورى | ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة | من الشمس ما بين النجوم ببارق
(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه | إلينا غلام فاق كل غلام
تخيل لي شمس الأصيل أهلة | يقطعها بالبرق بدر تمام

(ومما قيل في البطيخ الأخضر)

وظبي أتى في الكف منه بمدية | وقد لاح في خديه شبه شقيق | فمال إلى بطيخة ثم شقها
وفرقها ما بين كل صديق | فشبهتها لما بدت في أكفهم | وقد عملت فيهم كؤوس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد | مرصعة فيها فصوص عقيق
(وقال آخر) وبطيخة خضراء في كف أغيد | أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد | نرى طرفه الساجي القلوب مع المهج
(ومما قيل في القثاء) انظر إليها أنابيبا منضدة | من الزمرد خضرا ما لها ورق
إذا قبلت اسمها بانت ملاحتها | وصار في عكسه اني بكم أثق
(ومما قيل في الباذنجان) وكأنما الابذنج سود حمائم | أو كاره خرب الربيع المبكر
نقرت مناقرة الزمرد سمسما | فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل في الأنهار والبرك والنواعير)

أما ترى البركة الغراء قد كسيت | نورا من الشمس في حافاتها طاما | والنهر من فوقه يلهيك منظره
شهب سماوية فارتج والتطما | كأنه الصيف مصقولا يقلبه | كف الكمي إلى ضرب الكماة سعى
(وقال آخر في البركة) | يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها | والآنسات إذ لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض | قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها | كأنها الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها | إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا | مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها | ورونق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها | ليلا حسبت سماء ركبت فيها
(قال آخر) وبركة للعيون تبدو | في غاية الحسن والصفاء
كأنها إذ صفت وراقت | في الأرض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربي)

النهر قد رقت غلالة صبغه | وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها | عكن الخصور تهزها الأعجاز
(قال آخر) يوم اللقا بالنيل مختصر | ولكل وقت مسرة قصر

وجرى ذكر واقعة بغداد فأخبرني أن هلاكو لما طلب رؤساء البلد وعرفاءها وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانو نوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الأمراء أن يقتل ويأسر وينهب بمدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الأمراء إلى بغداد كان أول درب جاء إليه الأمير الدرب الذي أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوي اليسار واجتمع عندي نحو خمسين جارية من أرباب المغاني وذوات الحسن والجمال فوقف نانو نوين على باب الدرب وهو مترس بالأخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا في الطاعة ولكم الأمان وإلا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفي الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج إليه ففتحت الباب وخرجت إليه وحدي وعلى أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الأرض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال إن أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئا كثيرا فقبلت فكأنما الأرض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الأمير يحضر وصار كل ما في هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لأجمع

لك ماطلبت فعمد أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من حواشيه فأتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاوانى المذهبة من الزجاج الحلبى وأوانى فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح غنى عشر مغنيات كل واحدة تغنى بملهاة غير ملهاة الأخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وتبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها فى المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه فى غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أوانى الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كثيرا سوى العليق ووهبت له الغوانى التى كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الأمير على غفلة لكن غدا إن شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت لجمعت أهل الدرب من ذوى النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندى وكذا بعد غد

وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الى من بينهم ما يساوى خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس إلا وقد وافانى فرأى ما أدهشه وجاء فى هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له من الذخائر

فكأنما أمواجه عكن ... وكأنما داراته سرر

(وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال ... ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما ... كأنهم نجوم فى المجره

(وقال آخر فى النيل)

النيل قال وقوله ... اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب العلا ... عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا ... قلعتها بأصابعى

(وقال آخر) كان النيل ذو فهم ولب ... لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه ... ويمضى حين يستغنون عنه

(وقال آخر فيه) وفت أصابع نيلنا ... وطفت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسره ... ماذا أصابع ذى أياد

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى ... طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطانا فكيف تواترت ... عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى ... غدت طوعا له فى كل أمر
إذا عصفت على الاغصان ألقت ... اليه بها فيأخذها ويجرى

(وقال آخر فى ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها ... فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق ... ومسيرة مشتاق وأنة جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها ... وأضلعها كانت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته ... وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد ... يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن إذا حنت وأبكى اذا بكت ... فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة ... وأبكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة ... ودمعى من عينى يفيض على خدى

(وفيها أيضا وقال الخطيرى)

رب ناعورة كأن حبيبا ... فارقته غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو ... وعلى إلفها تدور وتبكى

(ابن تميم) تأمل إلى الدولاب والنهر اذ جرى ... ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما ... فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

(لابن عفيف فى قاض مليح) ورب قاض لنا مليح ... يعرب عن منطق لذيذ
إذا رنا لى بسهم لحاظ ... قلنا لا دائم النفوذ

(وقال فى فقيه مليح) وبمهجتى ظبى غدا متفقها ... وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا ... لكن وجيز الخصر منه مختصر

(وقال فى المحدث مليح) علقته محدثا ... شرد عن جفنى الوسن
حديثه ووجهه ... كلاهما عندى حسن

والذهب النقد ماقيمته عشرون الف دينار وقدمت له فى اليوم الثالث لآلىء نفيسه وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عندالله وعند الناس فابى عندهم سوى أرواحهم فقال قدعرفت ذلك من أول يوم وهبتهم أرواحهم وماحدثتنى نفسى بقتلهم ولاسلبهم لكن أنت تجهز معى إلى حضرة الامير فقدذكرتك وقدمت له شيئا من المستطرفات التى قدمتها إلى فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسى وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد ويقتلنى وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلا كوملك كبير وأنا رجل حقير ممن أخشى منه ومن هيبته فقال لاتخف مايصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت فى ضمانك أنه لايصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ماعندكم من النفائس فائتونى بكل ماتقدرون عليه فأخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مآكل كثيرة طيبة وشرابا عتيقا فاخرا وأوانى فاخرة كلها من الفضة المنقوشه بالذهب وأخذت معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن قد الضرب ولبست بدلة من القماش الخليفي وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونون

(وقال فى إمام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه · يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت أن وجهى أرض · حين يومى بوجهه للسجود

(ابن الرومى فى عروضى وأجاد) بى عروضى مليح · موتتى فيه حياة
عادلاتى فى هواه · فاعلات فاعلات

(فى مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه · لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى · من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربى) وبنفسى مؤذن قد سبانى · لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب · واضع أصبعيه فى أذنيه

(وقال آخر فى مريد)

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

(وفى فقير مليح) بى فقير يتغنى * بسنا وجه منير . لاتلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

(فى أمير شكار لابن دانيال) بى من أمير شكار · وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا · حنت اليه الجوارح

(فى مليح مغن) أضحى يخجل وجهه قمر الدجا · وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف · وإذا شدا فكأنه داود

(فى مليح عواد) غنى على العود ظبى سهم ناظره · أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا · فراحت الروح بين السهم والوترا

(فى مليح كاتب) بروحى كاتبا كالبدر حسنا · بديعا مارأينا منه اجمل
على ريحان عارضه المفدى · بوجنته غدا دمعى مسلسل

(غيره) وراقنا ذا المفدى . فيه تزيد عشقى · * فلو يجود بوصل . لكان مالك رقى

(وفيه ايضا) ياحسن وراق أرى خده · قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان أعطافه · ماأحسن الأغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا)

فديتك أيها الوراق قلبى · مطالك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع · محب يسأل الوراق وصلا

(فى مليح صيرفى)

ياسائلا عن حالتى ماحال من · امسى بعيد . الدار فاقد الفه
بى صيرفى لايرق لحالتى · قدمت من جور الزمان وصرفه

(فى مليح بخانق)

تسلطن فى الملاح بخانقى · ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا · وأصبح راكبا تحت العصائب

(فى مليح فراء)

قلت لفراء فرى أديمى · وزادصدا وطال هجرا

بهذه الحالة قال لي أنت وزير قلت لا أنا مغني الخليفة ونديمه ولكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما سرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي أن أدخل عليه إلا بالحشمة والوقار فأعجبه مني هذا وخرجت معه إلى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلني معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذي ذكرته لك وأشار إلي فلما وقعت عين هلاكو علي قبلت الأرض وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار فقال نانو نوين هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي فكلما قدمت شيئا منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لي أنت مغني الخليفة فقلت نعم فقال أي شيء أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغني غناء إذا سمعه الإنسان ينام فقال غن لي الساعة حتى أنام فندمت وقلت إن غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلني ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا بشرب الأمير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال أنا ما لي في الخمر رغبة لأنه يشغلني عن مصالح ملكي ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان معي مغنية اسمها ضياء لم يكن في بغداد أحسن منها صورة ولا

قد فر نومي وفر صبري فقال لما عشقت قرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)

حبي المزين وافى * بعد التباعد يشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

(في مليح قصاص)

أشكوا إلى الله قصاصا يجرعني ... بالهجر والصد أنواعا من الغصص
إن تحسن القص يمناه فقلت له ... أيضا تقص علينا أحسن القصص

(في مليح صياد)

ومولع بفخاخ * يمدها وشرك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

(في مليح رامي بندق)

وأهيف القد ذي دلال ... طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال ... يرمي إلى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع)

أفديه من راع كبدر الدجى ... قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته ... ما القصد يا مولاي إلا العناق

(القيراطي في مليح طحان)

حسن طحاني سباني * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فاضحى * يجعل الغمز علامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)

(قال آخر في مليح عوام)

يا حسن عوام كغصن النقا ... يبخل بالوصل لمن هاما
ونقنع العشاق منه بأن ... يريهم الأرداف إن عاما

(ابن نباتة في مليح حبشي)

بروحي مشروطا على الخد أسمرا ... دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد ... فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى لعطفك سنبلا ... ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك إقبال وحسنك مرشد ... وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة)

قالوا به صفرة شانت محاسنه ... فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد)

زائر قال قلبي * للطرف يا طرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد

(وقال آخر في مليح أرمد)

شكا رمدا فقلت الآن كانت ... لواحظه من الفتاكات فينا

طيب منها صوتا فأصلحت أنغام العود وضربت ضروبا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم اتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت الأوتاز فانتبه فقبلت الأرض وقلت نام الملك فقال صدقت تمت تمن على فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لى على السمكية قال وأى شىء هى السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لأصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أى شىء هذا البستان فقبلت الأرض وقلت ياملك العالم هذا البستان يكفينى وأنا مايجىء منى صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لى بالبستان وبجميع ما كان لى من الراتب فى أيام الخليفة وزادونى علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوى دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذنى نانو نوين أمير بخمسين فارسا ومعهم علم أسود هو كان علم هلاكو الخاص به برسم حماية دارى فجلس الأمير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك إلى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلى فقلت له كم نابك من المغارم فى الثانية قال أكثر من ستين الف دينار وذهب أكثرها من كان انزوى إلى دربى من ذوى اليسار والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه منى أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة

وقالوا سيف مقلته تصدى ... فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه)

تورمت مقلة المحبوب من رمد ... وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمى محبيه بأسهمه ... فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبى حجلة فى أعور)

ماشان من أهواه عين أصبحت ... مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم ... ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر فى مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له ... من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمك ... ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيس

(القيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما أن فاق فى حسنه ونماه وأجمع الناس اذ رأوه بأنه اسم على مسمى

(وآخر فى مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة ما بقلبى ... ويرثى لى وينظر فى بلاتى
وأشفى بالمبرد من لماه ... وأجمع بين حمزة والكسائى
(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادى ... غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه ... وفى معسول فيه وفى فؤادى
(فى مليح اسمه سروجى) فتنت به سروجيا بديعا ... به قد ذبت وجدا من ضجيجى
إذا جذب الغرام له عنانى ... يلذلى الركوب على السروج
(وقال آخر فى مليح محموم) قالوا حبيبك فقلت لهم ... أنا الذى كنت فى حماه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى ... فأثرت فيه تلك النار فالتهبا
(لأبى نواس فى مليح ألثغ) مهفهف دنف الصبا ذى لثغة ... تصبو إليه ذوى العقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا ... من كاشح متدللا بالثا أنتجى
(وقال فى مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى ... فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء ... وهو بدر والخبز فيه نجوم
(وقال فى مليح حائك) وحائك ياصاح أبصرته ... كالبدر فى فى كفيه ماسوره
فلم أرح إلا ووحى لما ... عاينت فى كفيه ماسوره

(وقال فى مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف ... رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره ... وألثم الشامات من خده
(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه ... فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أراك مفكرا ... تدور على الشامات وهى على الخد
(فى مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى ... بديع حسن فريد شكل

الف دوم (وقال) كان بمدينة السلام مفن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجـلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه إلى قصده ثم تجنبته لما شهريه لحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بان عاه وبه ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاه من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير إليه وأتشمر لشناعة لقبه إلى أن لقينى بالقرب من منزله لحلف على أن لا أفارقه فكان ذلك صادف عنى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل آلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى إذا كان فى غد بكروا لجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى بقيم بعضهم عندى ويعود لباقون ليلا للانصراف إلى منزلى فأبى وحلف فاتبعت ماأراد فأحضر أحسن طعام وألطفه. وأكلنا وأتى بأنواع الأشربة والفواكه والرياحين وأخذنا فى أمرنا وخرجب وجوه كالشموس وكنت عند دخولى إلى الدار قد رأيت على بعض الأبواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ

فصـــل للجسم ثوب سقم   لما جفانى وكف وصلى

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة   له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا   فتقسم حقا انه آية الكرسى

(الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه) لحا الله الطبيب لقد تعدى   وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه   وسلطا كلبتين على غزال

(وقال فى مليح سلم عليه)

تنبا فيـــك قلبى فاسترابت   به قوم وعمهم الضـــلال   وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى
وقالوا ان معجزة محال   ومذ سلمت سلمت البرايا   إلى وقيـــل كلمة الغزال

(وقال فى مليح يرمى بالسهام)   وظبى بشعر فوق طرف مفرق   بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه   هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

(وقال فى مليح يضرب بالعود)   فتن الأنام بعوده وبشدوه   شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه   وكأن مابيمينه فى فيه

(وقال أيضا فيه)   وأغن قد ابدى لنا من عوده   نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد إذا سخطت لى أوتاره   قال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال فى مليح مشبب)   يا نافخ الصور بل يا باعث الصور   من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
اقرنت حسنك بالاحسان فيه لنا   فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما   ضمنت نايك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت   اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

(وقال فى مليح ساق) وساق من بنى الأتراك طفل   أتيـــه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى   وأفديه بعينى وهو ساق

(وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه)

من كنت أنت رسوله   كان الجواب قبوله   ياطلعة الشمس الذى
جاء الصباح دليله   لم يبد وجهك قبله   إلا ارتقبت وصوله
فلذاك إذ واجهتنى   بـل الفؤاد غليله

(فى مليح قارىء) نفسى الفداء لشادن شاهدته   يوم الزيادة قارئا فى المصحف
فتلا مليا جل سورة يوسف   وجلا محيا مثل صورة يوسف

(وقال آخر فى مليح مكتمل العذار) وكامل العارض قبلته   فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل إذا   وأنت ماتفكر فى لحيتى

(وقال آخر فى مليح حجام) كلفت بحجام تحكم طرفه   فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن   منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل فى الالغاز)

(فى غزال) أسم من قد هويته   ظاهر فى صرفه   فاذا زال ربعه   زال باقى حروفه

منا أحضر عودا لجعله بين يديه فأوحشنى جدا وقلت رجل غيور كما لقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن أعيث من فيضربنى بالعمود قال أخبرك ياأخى أنى رجل غيور كما قد بلغك وبحضر منزلى

قوم معهم سوء أدب فما هو إلا أن تنقضى الجاية حتى أرى الواحد منهم لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فأقول
أقوم بهذا العمود فانما هى ضربة له ضربة لها فاقتلها وأستريح إلا أنى على ماترى رجل معى تأن

(فى كوز فقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه ... له فى السجن ثوب من رصاص
إذا أطلقته وثب ارتفاعا ... يقبل فاك من فرح الخلاص
(فى رز موزة) مطية فارسها راجل ... تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزاولة ... لا تشرب الدهر ولا تأكل
(وقال فى طاحون) ومسرعة فى سيرها طول دهرها ... تراها مدى الأيام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما انقطع الأكل ساعة ... وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع ... ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب
(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم ... لها لبن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها ... وأولادها مذخورة للنوائب
(فى دواة أيضا) وما أم يجامعها بنوها ... وليس عليهم يجب الحدود
كأنهم إذا ولجوا حشاها ... أفاعى فى مكانها رقود
(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره ... يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره ... ويضحى بليغا وهو لا يتكلم
(وفيه أيضا) بصير بما يوحى إليه وماله ... لسان ولا قلب ولا وهو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره ... اليه إذا ما حركته الأصابع
(وقال أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه ... يشتت شمل الخطيب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمى ... به الاسد فى الغابات وهو رضيع
(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد ... أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها ... مجتهد فى طاعة البارى
(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت ... حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة ... تبكى دماء على ما سطر القلم
(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

(فى سلطان حسن لابن أبى حجلة)

ما اسم محبب للقلوب لانه حسن الحروف يجود بالاحسان تصحيفه أمسى حبيبا كلما صحفت أحرفه بحسن بيان لو جاد لى يوما برؤية وجهه بلغت المراد وعشت بالسلطان فى شبابه وما صفراء شاحبة ولكن تزينها النضارة والشباب مكتئبة وليس لها بنان منقبة وليس لها نقاب تصيح لها اذا قبلت فاها أحاديث تلذ وتستطاب ويحلو المدح والتشبيب فيها وليست لاسماد ولا الرباب

(فيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلى شجية ... تناءت عن الأهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم ... ولا حرج كلا ولا وجب الحد
إذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة ... يلين اليها القلب لو أنه صلد
(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها ... يزودها ثديا وينظرها شزرا

وتصحيفها

شديد فأقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى وأصيغت إلى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الأمر يزيد حتى أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السر ثم أهم بالعمود والتأنى الذى فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول الأمر بينهما حتى أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتداخلنى الغيرة وأقول ما بعد هذا شيء وأهم بضربهما بالعمود لكن على ماترى عندى تأن فأقول بعد لم يبلغ الأمر بهما إلى القتل وهى أوائل وسيكون لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترخت فامسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فأسعى خلفهما بهذا العمود لأقتلهما البتة فيسبقانى فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت او قتلت نفسى فلا يكون والله يا أخى لى اعتصام إلا بذلك الطبل المعلق فاتناوله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجانى قال فأقمت

والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا قال صلاح الدين الصفدى فى الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان أخت أبى تغلب سنة ست (٢٠٥) وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبدالله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقفت بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقنى من النار (وكان) حكيم بن حزام رضى الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الإله أحبه وأخشاه (عمر بن زر الهمدانى) لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت مازلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فليت شعرى بم يكون منصرفنا أمذنب مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من إليه خرجنا وإليه قصدنا وبحرمه

وتصيفها فى كف حاملها فقل   إذا شئت فى اليمنى وإن شئت فى اليسرى

(فى دملج) إلى النساء يلتجى * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

(فى خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم   يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
اقام ولم يبرح مكانا ثوى به   على انه اضحى يدور على الكعب

(فى شعرى الليلة) وذوى عدد كالرمل سام محله   جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه   وفى قلب هرون له الملك والحق

(فى التنين) أى شىء لذ طعمه * ناعم الملمس لين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

(فى الموز) ما اسم لشىء حسن شكله   تلقاه عند الناس موزونا
تراه ممدودا فان زدته   واوا ونونا صار موزونا

(فى جرة) من لى بمعتدل القوام مهفهف   أروى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه بخده   وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذى أنا أهواه واعشقة   وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا   يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

(فى ساقية) وجارية لولا الحوافر ما جرت   اشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم   وليس لها بعل وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكى إذا الليل جنها   بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم   وما كان شنق القوم إلا بواجب

(فى زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها   وليس عليهما فيه جناح
ترى بجواره الحكام طرا   وفى أعناقهم ذاك النكاح

(فى راوية) وسوداء تشرب من رأسها   وإن شئت تسقيك من فرد يد
ولونها مثل لون أختهـــا   وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها   وفى ساعة يضعان الولد

(فى شطرنج) يا ذا النهى ما اسم له حالة   يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انمـــا   ثلاثة منها له شطر

(فى فيل) ايما اسم تركيبه فى ثلاثة   وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات   لم يكن عند جوعه برعاه
فيك تصحيفه ولكن إذا ما   رمت عكسا يكون الى انتهاه

(فى بجع) ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

(فى نار) وما اسم الأكل به النفع والضرر   له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * يعد لماانا يختشى الرمح بأسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت إذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلق من النبت والشجر
فيا قارىء الأبيات دونك شرحها   والا فنم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا)
وآكلة بغير فم وبطن   لها الأشجار والحيوان قوت

انخنا آرحم أملاك الوفد لغناك فقد اتيناك بعيسنا معراة جادوما ذابلة آستها نقية أخفافها وان أعظم الرؤيا آن ترجع وقد

اكتفينا الغيبة اللهم وإن الزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا جواد ما جد لا ينقصك نائل

إذا أطعمتها انتعشت وعاشت ... وإن أسقيتها ماء تموت
(فى يد الهاون) قل لى فما شىء يرى ناعما ... منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة ... مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القمر له رنة ... ويظهر الصالق بأعلى مكان
(وفيه أيضا) خبرونى أى شىء أوسع ما فيه فه وابنه فى بطنه
يرفسه ويلكمه وقد علا صياحه ولم يجد من يرحمه
(فى خشخاش) وما قبة مبنية فوق شاهق ... لها علم يحكى الملاحة بالظرف
وأولادها فى بطنها فى جماعة ... يكون الفا أو يزيدون عن الف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله ... ويقلبها عسفا على راحة الكف
(فى كوز زير) وذى أذن بلا سمع ... له قلب بلا اب
إذا استولى على صب ... فقل ما شئت فى الصب
(فى اسم على) اسم الذى أعشقه ... أوله فى ناظره ... ان فاتنى أوله ... فان لى فى آخره
(فى موسى للصفدى) وما شىء له حد وخد ... يكلم من يلامسه مخافه
وكل حلقه من تحت رأس ... والرأس صارت تحت حلقه
(فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)
ما بلدة بالشام قلب اسمها ... تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه إن زال من قلبه ... وجدته طير شجى النغم
(وقال فى سمرقند) وما اسم سداسى إذا ما محته ... ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة ... وثلث مع الكتاب يطوى وينشر ... وثلث رعاك الله يا صاحبى له
على مدى الأيام نشر معطر ... وفى نصفه لما تحرك بعضه ... حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى إذا ما أعدته ... إلى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى ... فليس على ذى العقل لغز معسر
(وقال فى كون) يا أيها العطار أعرب لنا ... عن اسم شىء قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة ... كما ترى بالقلب من نومك
(وقال فى قالب الطوب)
وما آكل فى قعدة الف لقمة ... ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
إذا نزل المأكول جنبيه لم يقم ... سوى لحظة أو لحظتين ببطنه
(فى العين) وباسطة بلا عصب جناحا ... وتسبق ما يطير ولا تطير
إذا القمتها الحجر اطمأنت ... وتجزع ان يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما اشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) إن شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكوره عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة ابدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح

لايخصبك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الإمام الحافظ علم الدين البرزلى رحمه الله تعالى ما صورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل إلى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه

كطعم الجمل وغلظ جلدها اربعة اصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه إلى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا)

والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليات وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فإن هذا من أقبح للعيوب التى لا تجوز وإنما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الأعراب وقد أوضح قاعدة الجمع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى ولو بسطت المال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الأوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح)

(لابن المبارك) قد أنحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مذحل
(دور) أميل له فلا يميل يحول وعنه لا أحول أقول إذا زاه فى المحول
أما حل عقد الصدود ينحل ويرحل عن نجم المزحل
(دور) كم بعدو كم أبيت مكمد ويعمد بهجره لا فقد وأجهد لا رتعاده من قد
تحمل والحاسدون رحل تحل والوعد منه ما حل
(دور) متوج بالحسن هذا الابلج مدبج عذاره البنفسج مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل ونغره منحل مخلخل بعنبر معجل
(دور) وغمى من يستحل ظلمى ويرمى بحربه لسلمى وجسمى من التزام سقمى
منحل وقد غدا مرحل فمن حل سفك دمى وما حل
(دور) قلانى واشتط ذا الفلانى غزانى بطرفه اليمانى ترانى أنشد لمن يرانى
قد أنحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مذحل
لابن سناء الملك كللى يا سحب تيجان الربا بالحلى واجعلى سوارك منعطف الجدول
(دور) ياسما فيك وفى الأرض نجوم وما كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ماتهطل الا بالطلى والدما
فأعطى على قطوف الكرم كى تحلى وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل
(دور) نقد كالكوكب الدرى للرتصد يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئد يا ساقى الراح بها واعتمد
وامل لى حق تراتى عنك فى معزل قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل
(دور) لا أليم فى شرب صهبائى وفى عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لى من أكوس صيرت من فوفل ألذ لى من نكهة العنبر والمندل
(دور) خذهى واعطى كاسى مثل كاسك هنى واسقنى على رضاب الطل الملسن
والهنى ببعض ماصيغ من الألسن
لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل لذلى على سنا الصهباء والسلسل
(دور) ازهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

كتب إلى زين الدين الرحبي أنه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها ويلعبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الاسفل فإنه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لا يعجزه شىء وهو على كل شىء قدير (وذكر الشيخ فى حوادث سنة ٧٠٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازى قال فى السابع من ذى الحجة سنة (٧١٢) أخبرنى شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدى السلطان فلما رآها عجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدى فأنشده

أضحت يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صورة الجود

فقال المهدى كذبت يا فاسق أما بمعن ثم قولا لغيره

(٢٧ — مستطرف ثان) من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة ومن بنانك يجرى الماء فى العود
وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة

سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فيا قبر معن كنت أول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا ولكن حويت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

وما كان إلا الجود صورة وجهه فعاش ربيعا ثم ولى فودعا فلما مضى معن مضى الجود والندى وأصبح عرنين المكارم أجدعا فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن إلا حسنة من حسناتك فرضي عنه وأمر له بألفي دينار (قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أي أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة مزرية فوثب على أريكته وأنشد يقول

إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم ترقيها فالدهر بالناس قلب

فأحسن ثوبيك الذي هو لابس وأفره مهريك الذي هو راكب

وبادر بمعروف إذا كنت قادرا زوال اقتدار فهو عنك يعقب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الامير ألا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هزمة قال هات

(أخرت فقلب للظلماء مذقصرت)

طولي ياليلة الوصل ولا تنجلي واسبلي سترك فالمحبوب في منزلي

(دور) من ظلم في دولة الحسن إذا ما حكم فالألم يجول في باطنه والندم

والقلم يكتتب فيه عن لسان الأمم

من ولي في دولة الحسن ولم يعدل يعزى لألحاظ الرشا الأكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفي منك العليل ويشفى من صبابته الغليل

(دور) لقد أسرفت في هجري وصدري بلا سبب سوى كاني ووجدي

وماذا في سلو عنك يجدي

خضاب الوجد ليس له نصول وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عني بالسلام وطيفك قد جفا لجفا المنام فقد جادت بأربعة سجام

جفون بالبكا كادت تحول على خد أسف به النحول

(دور) لقد أرسلت في طي النسيم حديث هوى عن الوجد القديم فعادت وهي عاطرة الشميم

تخبر أن ظعنهم نزول بدار لا يلم لها نزيل

(دور) تلقته الموالي والموالي بالحاظ وزرق من نصال وأعطاف وسمر من عوالي

فكم بطل هناك وكم قتيل بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس الحيا أم القمر أم بارق الثغر يا بشر أم اليها جفنه الخفر بطرز خديك مستطار

(سلسلة) قم تباها بما تباها ولا تلاه

(قفلة) فكل أحبابنا حضروا والعود يشجيك والوتر

(الدور) أفديك بالسمع والبصر يا أهيف وصله وطري

بدر بدا في دجى الشعر قد لذ في حبه سهري

(سلسلة) إذا تجلى وقد تجلى عليك تجلى

(قفلة) تحير في وصفه الفكر والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهاك حدث عن الطرب وعن سلافة ابنة العنب

وإذا سقاها مع الضرب بدر بأفق الجمال ربي

(لمسة) في ظل بان على المثاني من غير ثاني

(قفلة) الا الندامى إذا سكروا والروض والماء والشجر

(قال رحمه الله تعالى)

والنسيم السحر هل لك خبر عن غريب هوى بالمنحنى فارقوك ولم أقض الوطر

من لقاهم ولا نلت المنى قلت يا قلب أصبر ما صبر والنبي ما الهوى إلا عنا

ما كنت الهوى إلا ظهر من شهر المدامع والضنى

(دور) ليس تمنع وصالك يا حبيب عن محبك ولا يعشق سواك

راقب الله وارجع من قريب قبل ما يبلى جسمه في هواك لست الق لدائي من طبيب

غير رشفي حبيبي من لماك لو أرى حالي العاذل عذر حينما ينظر جمالك والسنا

(دور)

فأنشد يقول وللنفس نارات تحل بها العرى وتسخو عن المال النفوس الشحائح إذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه
أقل إذا ضمت عليك الصفائح لأية حال يمنع المرء ماله غدا فغدا والموت غاد ورائح

(دور) يا قمر فوق غصن من نقا أمحنتنا مطالك والصدود يا رعى الله لويلات اللقا
ليتها يا خل يوما لي تعود ليلة السعد ما فيها شقا كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر بالمسرات وأوقات الهنا
(غيره) حملت مذ سارت الحمول وجدا مضى العمر وهو باقي
(دور) ساروا وسار الفؤاد لكن جسمي مقيم على المساكن وعن الحسب صار ظاعن
مالي إلى وصله وصولي لو سرت بالبرق البراق
(دور) وغادة كالقضيب قدا والورد والياسمين خدا كأنها البدر إذا تبدى
وشعرها أسود طويل كأنه ليلة الفراق
(دور) هونا أتتنا تميل ميلا سحابة كالسحاب ذيلا فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذول فذاك أعجب اتفاق
(دور) وسدتها ساعدي لسعدي وبت أرعى رياض وردي وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل لعاش والروح في التراق
(دور) لما رأتني أذوب سقما ومن ورد الرضاب أظما قالت كات الخدود اثما
ما يشتفي منك ذا العليل بغير نومي وشيل ساقي

(فصل في الفن الثالث وهو الدوبيت)

(لسيدي شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى)

أهوى قمرا له المعاني من صبح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق ما بين ثناياه وبيني فرق

وقال أيضا: أهوى رشأ كل الأسى لي بعثا مذ عاينته تصبري ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا: عرج بطويلع فلي ثم هوى واذكر خبر الغرام واسنده إلى
واقصص قصصي عليهم وابك على قتل مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقال أيضا: روحي إليك يا زائرا في الليل فدا يا مؤنس وحدتي إذا الليل هدا
إن كان فراقنا مع الصبح بدا لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر: يا شمس ضحى جبينه وضاح ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال آخر: أهواه مهفهفا ثقيل الردف كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت يارب عسى أن تكون واو العطف

وقال التلمفري: قلبي ذهبت لبعدكم راحته ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما به شامته لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد: إحسانك طول الدهر لا أنساه لا أذكر بعد خالقي إلا هو
إن أبعدك الزمان عني حسدا مولاي خليفتي عليك الله

قال آخر: إن جئت ربا الحمى ولاحت نجد فاذكر ولهي وما جناه البعد

فقال معن أحسنت والله وإن كان الشعر لغيرك يا غلامي أعطه أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم إلى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتي (مدح) مطيع ابن إياس معن بن زائدة فقال له معن إن شئت مدحتك وإن شئت أثبتك فاستحيى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب لصاحب مغنم وأخي ثراء
ولكن الزمان بري عظامي وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بألف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبي جحفة فإذا المجلس غاص بأهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الأعداء عنك تقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما أبى الله إلا أن يضر وينفعا

فقال معن تحكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك ألفا (أتى) أعرابي إلى معن بن زائدة ومعه نطع فيه صبي حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبي بين يديه وقال سميت معن بمعن ثم قلت له هذا سمي فتى في الناس محموده

أنت الجواد ومنك الجود نعرفه ومثل جودك فينا غير معهود امست يمينك من وجود مصورة لابل يمينك منها صورة الجود قال كم الابيات (٢١٠) قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال حسبك ماسمعت وحسبي ما أخذت

(أخبرنا) الشيخ الجليل العدل الاصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن ابراهيم بن غانم بن وافدى المهدى قال أخبرنا المشايخ الثلاثة الإمام فخر الدين ابو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد البخارى وأبو العباس أحمد بن شيبان بن ثعلب الشيبانى وأم حميد زينب بنت مكى ابن على بن كامل الحرانى قال أخبرنا أبو حفص عمر بن عمر بن محمد بن أبى نصر الحميدى قال أنشدنى أبو غالب محمد بن سهل النحوى الواسطى المعروف بابن سبران بواسط قال أنشدنى الأمير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهن قال أنشدنى على بن زريق الكاتب البغدادى لنفسه هذه القصيدة إلى آخره وقد أنشدنيها جماعة بالغرب وقال لى أبو محمد على بن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لأبى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف

وهى لا تعذليه فان العذل يوجعه

قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

والنيوم

جاوزت فى لومه حداً أضربه من حيث قدرت ان اللوم ينفعه

قد كنت أقاسى الصدحتى رحلوا يا ليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل فى الفن الرابع وهو الزجل)

(حمل للغبازى) قل لغزلان وادى مصر والشام يقصر وإذا الفار
لهم اجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود وذا غزال ضار يفوق على الغزلان ويميد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد وقد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذاشمس النهار

(دور) تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود وتخضب تفاحنا الأحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق امكم قلنا والحسود زاح بنار أنتم التفاح ومانقصد منكم إلا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الخلاق فى الخلائق مباح احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

(دور) حسن حى الفرارجى فرحه . بدر فى التمد لاح
فرخ ناجيب خرج من القشرة فاق ملاح الملاح كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفنى بنار وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور) وقع الطل خط بالأبيض فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا غروس
عروس لهاصفو النسيم ولطف الماوابتهاج الثمار قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمراز

(دور) خمر فيه سر لو جمل أشياف رد الأعمى بصير
اقطع القطف آسود يحاكى الليل سفق أحمر يصير ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير
وترى النوردا عليه يلمع ذاك من ايش استنار وكذا الكاس يحاكى ياسمين من كساه جلنار

(دور) فهو عطار عندو شراب هندى وبرانى جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه ورد خدو وخيتو سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبى والكبار والصغار فى المحب غاروا على حسنو وكل من حب غار

(دور) دوورنى الملاح على كعبى ونصوا نصوص
بلادعوى التفت لف اليسير فى هواهم خصوص وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ماراوا حف له همه ولو اصطبار قرونى فى شق هذا القمر والمحبة قار

(دور) لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق وخدود ورد من غير نمش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد حال عنبر تحت اهداب غزار فى صفا وجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

(دور) فى رياض صفوف من الأزهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف وأعجب من النبر ازصفق لو من الملوح كفوف

والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار على مطا باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود طار
(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرائع والحق والباطل والحرام والحلال نبى من بين أصابعه الشقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد والبحار والخلايق تكتب مديحو ناه كل كاتب وحار
(دور) خلف استاذ فى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون
مايعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون شيخ مصدر ابيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار موفوع رؤس الكبار وأهل الفنون تجري وما تلحق للغبار غبار

(غيره لناصر الفيطى)

كنز روضى طالبو بسعديا خليع قم فى دجى الأسحار تنتقى در الندى برهج فوق فصوص غرائب النور
(دور) (كنز ورضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج
ولجين الما بينكسر يا خليع هيا تما انفرج بين عنابر تلتقى الخلع كل حد مع إلفو يدوج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وملو اطيار فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده احكت لنادينار
(دور) ترى الياسمين بحال فضه ضربت لأهل النزه صلبان
والشارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان وكذا الكتان وهو اصفر بمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينادار الخمار والقطيع الرهي يحكى اشماس لابس الزنار
(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى وذا بحبو بو عليه يشفق ولهيب الهجر يتوقدوا الوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا مطمن وسطر وضا زهرها معطار فى نعيم مع حور وم ع ولدان والعدول مسكين صح فى نار
(دور) وعمل فى الروض سماع باكر بين الأغصان والزهور أنغام
النسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجدها والنخيل باكامها ترقص واقبل الرشان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطربق بين الازاهر طار والبلبل بالغنا يسجى فكأنو ناى أو مزمار
(دور ناصر الفيطى) ياخلايا ضيحت انسان أنكر الصحبة وعادانى
وبعضى حين بقيت مسمى والاله بالفصل أسمانى فى بلادى قبلى وأرض الشام يشكرونى ساير اقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الأرض لو تذكار والبط يوقع لو تعيق مايحصل شىء سع السطار
(لغبارى) جار حبيبى نقلت ذا الحجاج حايجور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد
(دور) اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى إذا هاجت ليس لها من قرار كنت أحسب قلبى معوريس غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يامحبوب قلبى بحر عشقك يزيد خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد
(دور) أنا يوم فى الغبوق باتفرج على شط الغدير
إذا رأيت على الشط واحد واقف شب صياد صغير نظرت مقلتى إلى منظر ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد يرقمك فى فخاخ شباك عشقو وكراكى يصيد
(دور) من نحبو جديد حب قلبى يوم صدفنو صدف

ما آب من سفر إلا وأزعجه
رأى ان سفر بالرغم يتبعه
كأنما هو فى حل ومرتحل
موكل بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمان أراه بالرحيل غنى
ولو إلى السد اضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع إلا أن تجشمه
للرزق كدا وكم ممن يودعه
ما مجاهد الانسان واصلة
رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى
مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والارزاق قد قسمت
بغى الا أن بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه
حقا ويطمعه من حيث يمنعه

أستودع الله فى بغداد لى قمرا بالكرخ من فلك الازرار
ودعته وبودى لو يودعنى طيب الحياة وأني لا أودعه

قلت لين ياقامي لمن دمعو سال وحالو وقف   دار وقال لي مالاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع دا الكلام يستفيد   في الحقيقة من لا يكون ذا ودمايلين لو الحديد
(دور)   لك عوارض في الخدمر قومه   ليس لها من مثال
وجفاك صار حاتق وباب وصلك كان وكايا غزال   وأنت دوبيت موشح الفد ماياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد   وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد
(دور)   عن محرم شرابنا ضمنا   وتفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان بذهب الاصفرار   وغنا تطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تماثيل عقيد   حسب الرمض النص من شعبان صار يقيد فيه وميد
(دور)   من هيب مدمعي جرى الطوفان   للهيب ماطفي
وأنا هو العياري في العشاق ما جرى لي كفي   حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جا يجور أو يزيد   لو عدل عشت بومسرور ويكون الرشيد
(غيره)   حين سكنت القلب ياعيسى   أمشي من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو   ماجرت فيه ياابن عين سلون
(دور)   عارضوا لما عشق خدو   غرب ومن وجدى بقيت حاير
جيت إلى طرفو وناديت لو احرسو وكون عليه ناطر   بعد حين نظرت في خدو التقى العارض وهو داير
وعليه قددب بالسرقة جيت لطرفو قلت اكسلان   هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني أنا نعسان
(دور)   بدر شعبان منيتي لما   في ابرو السعد لاح نجمو
قلت اقضى بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو   قلت لودام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرنو   دا يمغلط قول بالبهتان
قال لي لزوم عن الوصال ناديت   ليس أصوم يابدر في شعبان
حين تدنج احمرار   باحضرار العارض أسباني
ضحك فابيض وابتسم واسوداد شعري وأبكاني وحين أضحيت باصفرار لوني أشعث أغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعي طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان ألوان
(دور)   قلت لو حين عني تخاف   لله كن لي يارشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي   دار إلى إنسان مهلتي قال لو أنت ماعندك نظر بعدي
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان   جرى الماء تحت من بعدك راقب الله فيا انسان
(دور)   ذا الغزال النافر الانسي   للغزالة قد أعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور   وبخمر الدن قد عربد وادعى إني أنا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان   صحت ياقلبي صفا وردك أنت مابين النقا والبان
(للصفي الحلي)   انت ياقبلة الكرام   زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام   ويعيدك على السنين
(دور)   انت شاما بين الأنام   الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك   ماينطوي ذكر الكرا لما تنشر فضايلك

بالبين عنه وقلبي لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلي بعيد فرقته
كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل إلى ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبي لست أدفعه
إلا أقمت مكان الرشد
لو انني يوم بان الرشد أجمعه أتبعه
أن لا أقطع أياما وأنفذها
بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوام بت به
بلوغه منه ليلي لست أهجعه
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعني
به ولا أظن بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد

ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين
(دور) مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جاك يسألك ليس تقول سوى نعم أملك أنت أم ملك ضاعف الله لك النعم
أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين در غيثك فى انسجام عم كل السائلين
(دور) لاعدمنا كل صوم السحو فيك والهنا كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحيك من خير قوم بالغ القصد والمنى
(دور) حتى انقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين مولدن وعين
(غيره) خايبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام ميم ثغر معشق الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم دال لى قد هواه قلبى صاد وبا وبا
مليح مارأيت مثله ظاوبا ويا ما أحلاه عند ما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاولا وصاد وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال اعدل فى الذى صبر ونون وفا ودال
ولا تهجر المشاق باوعين ودال ماأفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(جمل فى الالغاز)

(المطلع فى العين)

ومـا طير أكاو الحجر ياكرام وجو هزجبـايه يفسد أهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه ريش النعـام يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح
(دور) فى السراج وماتعرما هو وما الليل يزيد وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شى صفات حية بلا وكر استفيد لهـا جوهره فى فما يارفيق
بلا شلا ينظره القريب والبعيـد يخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن إذا جاء الظلام تشوفو يضىء بين الوجوه الصباح
ويسهر بحـال عاشق حليف الغرام قتيل الهوى بين الربا والبطـاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين الف وماثل ذاك فسر بناياخبير مليحة وقصيفة وتلبس ترف وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير لها عشرون أعوان حالهم مختلف يشيلو أود الكبير والصغير
لها حل يخدمها عليه السلام يحادى سراها فى الجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام وذا اللغز قلتـه ومن غير مراح

(دوز فى الغربال)

وما هو الذى ياسعد كله عيون ولا يتحمل ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك وميت وهو يحيى أصول الحيا
إذا غاب عن أهل فرد يوم مايهون ولا حد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام مكابد عجاجه فى المسا والصباح

عندى له عهد و لاأضيعه
ومن يصدع قلبى بذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لايمتعنى به ولا بى فى حال يمنعه
علما بأن اصطبارى معقب فرجا
فأضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تنل أحد منا منيته فما الذى بقضاء الله يصنعه
(يحكى) أنه وقع فى ليلة الجمعه خامس عشر المحرم سنة (٨٢١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها إلى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الركعة الثانية وقرأ الفاتحة قرأ سورة النحل وبنى إسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتد واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين

(وحكى) الدينورى فى المجالسة فى ترجمة أبى عبد الله بن يزيد البناجى قال سمعت أبى يقول قال قال خالى أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجى مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو فى بعض اسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان فى الطريق رجل عائن قلما ينظر إلى شىء الا اتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضرب فأتى عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حابس حابس حجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فى كليتيه رشيق وفى ماله يليق فارجع البصر كما ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله فى أسماء الولائم)

وليمة أعراس وخرس لادة
عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمه حزن والبناء وكبرة

عذير ختن مأدبات المكارم

ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام على شان فنونه دول فنون سلاح

(الفن الخامس من المواليا وله وزن واحد اربع قوافى) فمن تلك الاربعة واحدة لصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قدغارت والخصب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت والشهب مذ شاهدت اضواك قدغارت

(وقال أيضا) سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

(وقال آخر) قد أوعدونا العضابا أننا نخلو فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو ومن كلام الاعادى قط مانخلو

(وقال آخر) قسما وبالله مفرقها وجامعها ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابد وجامعها كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسقنى ما تبقى فى أباريقو أما ترى مصبح قدلاحت أباريقو
مع شادن كلمادارت شقاريقه سق المداما وان عزت سق ريقو

(وقال) البارحه ربت بعينى فى الدجاجيين اثنين مثل البدوره فى الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

(وقال) قدزدت هجرك فجد بالعفو عن صبك وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك بهجر تكدر قلب من حبك ماظن فى الناس قسى قلب من قلبك

(غيره خمرى عاطل)

كاس الطلا لطلاها طال لما سر وصار لما حوى حمرا مكلل در
مدام لوطعم كله حلو ماهو مر ماحل بملوك الاصار مالك حر

(غيره حربى) لك امام الوغا فى كل موقع حرب سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب سيوف تفنى وكفك لا يمل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)

أغنت وأفنت كفوفك فى الندى والحرب فى القرب والبعد من شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب ذا لكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

(وقال أيضا) من قال جودة كفوفك والحيا مثلين أخطأ القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الاوثغرك مبتسم يازين وذاك ماجاد الاوهو باكى العين

(وقال فى التهنئة)

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
وريت ذا الشهر مع ذا العام طول أمرك والسكل بالسكل أو مبتدا عمرك

(فى المعاتبة) عنى تسليت وأسياف الجفا سليت ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت وإذا تخليت تعرف قد رمن خليت

(وقال أيضا) ياقلب ان غدروا فاغدو إن خانوا نحن وان هم قسوا فاقساوإن لانو

(وله أيضا فى أسماء أيام العجوز على الترتيب)

فلن بصن ويصنبر ووبر معلل بمطفىء جمر آمر نعم مؤتمر ولت عجوز ثم أعقب بعدها شباب زهره يانع نضر

فلان وان قربوا فاقرب وان بانوا فبن وكن لى معام كيفما كانوا
(وقال آخر) حلف عليا جكاره أن يقاطعنى وصدعنى وأقسم مايطاوعنى
كم ذا يصدوكم يرجع يصدعنى ان كنت أنا هو المطلق لايراجعنى

(وقال آخر هجوا)

قطع قفاابن أخت خالك وابن أخوعمك والحق يصفع أبو بنتك وابن أمك
وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك وإن كنت تست يبول الكلب فى فك
(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهرماتبرح لاتيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لاتحزن ولا تفرح وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح
(وقال آخر) ان كنت عاقل وربك بالتقى بوك ادفع أذاك وهات خيرك ودع اشرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك ناديه ياأيها الإنسان ماغرك
(وقال آخر) ياقلب ان خانك المحبوب لاتدير عنو وعن قصة السلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحدة وقافيه واحدة ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك ليتك على ذى الحالة تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع مافى النصيحة فضيحه كلا ولا انكار

(وقال أيضا)

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس مثل النظار أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين البدر حسن يحكيه أو شمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى إذا سكرت وراحتى وفيه عزى وذلى بمهجتى أفديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر هذا الذى قد حار صفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقمت حتى انصب شرك ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لوردت مثله ماحصل وهو على معود وأنا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلق لبرج غيرى ماعرف كاننا فى الصحبة جينا على ميعاد
من قبلى ما أبصبص له يجى ويمحل قصورى وأنا أرصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

ويعاطف ويفسكل وحطيه سألنى فقلت مقصد باسعيد فكان اسم الأمير لمن فالا
إذا ماالغيم لم يمطر بلادا فان له على يدك اتكالا
ولو أن الرياح تهب غربا وقلت لها هلاهبت شمالا
وأقسم لوغضبت على ثبير لازمع عن محلته ارتحالا

(نبذة لغوية يفتقر كان متأدب اليها) (الابلج) هو ان ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعروكانت العرب تمدح الابلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) لجملة العين المقلة وهى الشحمة التى يجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الإنسان والإنسان ليس بحلق له حجم والحجم ماوجدت مسا والعين كالمرآة إذا استقبلتها بشىء رأيت شخصة فيها وفيها الناظران اوهما عرقان على حرفيه لانف يسيلان من الموقين إلى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهى حروف الاجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشعر الذى يثبت فيه الهدب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب

 قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء كذلك اذن هدباء إذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ماخرج من النقاب والمرأة من الجفن الاسفل وفى العين الحماليق والواحد حملاق

وفيها المآقي النواحي وفيها اللحاظ وهي مؤخرها الذي يلي الصدغ والموق طرفها الذي يلي الأنف وهو مخرج الدمع وفي العين الحوص وهو ضيق في مؤخرها يقال رجل احوص وامرأة حوصاء. وفيها النجل وهو سعة العين عظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف في النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواء. والدعج السواد في العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر إلى شزرا وذلك إذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره في النظر الأغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفي الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلي الأنياب إلى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهي ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفي الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفي الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة في المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفي اللثة اللمى وهو سمرة تضرب إلى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المتعلقه على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدي) ان شهاب الدين غيري أحمد الحبوبي النقاش ورد إلى القاهرة سنة ٧٣٢) وكتب الختمة الشريفة على خوصة من اولها إلى آخرها مفصلة الاجزاء

(وقال آخر)

ماذقت عمري جرعه · أمر من طعم الهوى · الله يصبر قلبي · على الذي يهواه
الناس تعلم مني · حال الجلاده والقوى · وما أطيق التجلد · على أليم جفاه
لي حب مثل الخوخه · له لون وطعم وريحه · ما أكثر مغابن حبيبي · وما أقل وفاه
أنا عرفتو حظي · وكل ما أحسن لويسى · لو كنت أعشق ظلي · ما كنت قط أراه

(وله من الفراقيات)

ياسادة هجروني · وهم نزول بخاطري · لاأوحش الله منكم · في سائر الاوقات
أوحشتم العين مني · وانتم في خاطري · والقلب في نور منكم · والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني · وما بقي فيا رمق · هيهات اني أحيا · من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالي · يلوح كالشبح الخفي · أعد بين الاحيا · وأنا مع الاموات
ودعتموني وسرتم · والقلب يتبع ركبكم · إيش ضر لو كان جسمي · من جملة التبعات
مامر ماريت ضدي · يقول لي من فرحته · هنا تشق المرائر · وتسكب العبرات
لولم أسلي روحي · وارض نفسي بالمنى · لكان قلبي تقطع · من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم · حيران بين أظعانكم · أخفض جناح المذلة · وأرفع الاصوات
طول الليالي أساهر · كني أريد الكيميا · أقطر الدمع مني · وأصعد الزفرات
ما أطول ليالي جفاكم · ساعاتها مثل السنه · وما أقصر أيام وصلي · كأنها ساعات
مالي أرى حسناتي · بالسيئات تبدلت · وسيئات الأعادي · تبدلت حسنات
خالفتموني وعمري · مازلت اتبع أمركم · كذا العبيد تتابع · اوامر السادات
اسكت واصبر عنكم · ويفعل الله مايشاء · والدهر من عاداته · يقلب الحالات

(الفن السابع في القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح انه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات ابوه أراد ان يعرف الخليفة بموت ابيه ليجزيه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر إلى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من مشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رفيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات · لك بالكرم عادات · انا بني ابن نقطة · تعيش ابويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه

(ومنها للصفي الحلي)

من كان يهوى البدور · ووصل بيض الخدور · بالبيض والصفر يسخو · وقد جلس في الصدر
من حب بيض الخدور · ورام لزوم الصدور · يسمح والا فيبقى · من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور · من عاشقي مصدور · يرعى الكواكب لعلو · يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور · وجوه مثل البدور · اشراقها في المعاجز · وغربها في الصدور
قد كنت فوق الصدور · بين الظبا والبدور · فصرت احسد من ابصر · خامهم والخدور
نوائب المقدور · مثل الكواكب تدور · من بعد طيب الخواطر · يقضي بضيق الصدور

والسرور أخبر بذلك الموالي السادة الموفقون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال في سنة ٦٩٩ وله نظم رائق عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

غيري يلازم الصدور وأنا عليكم أدور واصطلي الصد وأنا من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور يريد جلد صبور يصون سره وإلا يعتق من أهل القبور
من كان هواه مستور يحظى برفع الستور ومن هتك سر حبو يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور أموال مثل البحور إن أردت تملك وتظفر ولدانهم والحور
قم فابذل المذخور وفي المطالا تجوز تريه هذي المحبة قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور من عاشق مذعور مثل الدواليب تجري دموعها وتدور
من يركب المحذور هو في الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ قصده ويوفي النذور
كن بالهوى مسرور ولا تبيت مغرور واجعل تراب أعتابهم لاجفان عنيك دور
طرق المحبة وعور كم بينها معذور من فتك بيض السوالف على سواد الشعور
كم عاشق مذعور في حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور كالظبي إنس نفور من أهل بدر فديته ايش ما عمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء في رمضا

لازال سعدك جديد دائم وجدك سعيد ولا برحت مهنى بكل صوم وعيد
في الدهر أنت الفريد وفي صفاتك وحيد والخلق شعر منقح وأنت بيت القصيد
يا من جنابه شديد ولطف ربه سديد ومن يلاقي الشدائد بقلب مثل الحديد
لا زلت في تأبيد في الصوم والتعييد ولا برحت مهنى بكل عام جديد
نحن لذكر نشيد بقولنا والتشييد ونبعث أوصاف مدحك على خيول البريد
ظلك علينا مديد مافوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك قريبنا والبعيد
لا زلت في كل عيد تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك وافر وظلك مديد
لا زال قدرك مجيد وظل جودك مديد ولا برحت موقى كما يوفي الوليد
ما زال برك يزيد على أقل العبيد وما برح جود كفك منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد دائم وبأسك شديد ولا عدمنا نوالك في صوم فطر وعيد

(ومما قيل في فن الحماق)

أنا ماعبوري الحمام لجسمي لكي ينظف إلا لدمع جاري على الما ولا يوقف
وديك الجواري تجري ودمعي يسابقها تقول الأنام في الحمام له أحباب فارقها
وقال آخر) ترى كل من تعشقوا علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه وسد الطريق خلافه
وأن زاد علي عشقو وزادني الهوى والذل تركتو ولو كان يحيي لأهل القبور المكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت إليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك إلى الغاية فجاء بتوفيق الله في الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق عنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

عشر تورث النسيان كثيرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة ألواح القبور والنظر إلى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

(وهذا تذييل آخر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير إلى عفو مولاه الكريم إبراهيم ابن الحاج علي الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذي دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه في منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم أن الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوي غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ماحيلتي وأنا لا أستطيع مفارقة أخي لا ليلا ولا نهارا أما الليل فإن سريري بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ أن منزلي ملاصق لداركم فيه فكن إذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتي إلى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندي لحظة لطيفة من غير

أن يشعر أخوك بشىء فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فيها له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه إلى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظر فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤوس الشراب ممزوجة ببرد الرضا وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه ووجد الحائط فوجده قصورا متطامنا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد أحسن صوت

يسقانى خمرة من ريق فيه ... وتجلى بالبدر وما يليه
وبات معانقا لخد أغيد ... غزال فى الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا ... سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطائف الصاحب وقال والله لا أنم على عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان فى تاريخه) فى ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفى قال قد وصل إلى اربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن ابن أبى الحسن بن عيسى ابن على بن يعقوب فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد شخص كان فى خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلى صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطعه صغيرة وقسيمه

(الفصل الأول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله ﷺ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء وقال رسول الله ﷺ استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله ﷺ تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وقال ﷺ سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله ﷺ أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل إذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن إن لى ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلانا يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه إياها ويستحب أن يختار البكر لقوله ﷺ عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى ما لم يركب وأحب اللآلىء ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطى إلى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب
(فأجابته امرأة) إن المطية لا يلذ ركوبها ... حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه ... حتى يؤلف بالنظام ويثقبا
(قال خالد بن صفوان) عليك إذا ما كنت فى الناس ناكحا ... بذات الثنايا الغر والأعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله ﷺ تخيروا لنطفكم وقال ﷺ أنظر فى أى شىء تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

إذا تزوجت فكن حاذقا ... واسأل عن الغصن وعن منبته
(قال بعضهم) أول خبث الماء خبث ترابه ... وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر إنك عمدت إلى فاسقات مكة والمدينة وإماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وإنما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها ... جلوتها لأولى الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب

بقر

جرت عادتهم فى العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون القطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بأيديهم فجاء الكمال إلى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك أنفق الساعه

هذا حتى يجهز لك شيئا فتوهم الشاعر أن الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وأن شرف الدين ماسيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب إليه

يا أيها المولى الوزير ومن به ... فى الجود حقا تضرب الامثال

أرسلت بدر التم عند كماله ... حسنا فوافى الصدر وهو هلال

ما غاله النقصان الا أنه ... بلغ الكمال كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الانفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه انتهى (ومنه ما حكى) أن إبراهيم بن سهل الاشبيلى كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه حتى أنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهود فقيل له فى ذلك فأنشد

تركت هوى موسى بحب محمد ... هديت ولولا الله ما كنت اهتدى

بكر ولو دحكت فى نفسها القمر ٭ غريبة تكن من أهل خاطبها ٭ تلك الصفات التى أجله المن نظرا

فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة ... أحاط علما بها من فى العلوم قرا

(وقال آخر) مطيات السرور فويق عشر ... إلى العشرين ثم قف المطايا

فان جزت المسير فسر قليلا ... وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر) فاياك إياك المعجوز ووطأها ... فما هو إلا مثل سم الاراقم

إعلم ان العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس إلى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم أن محمدا بن عبد الله بن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وخطب خديجه بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ٭ ولما خطب عمرو بن حجر الكندى إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه إلى ذلك أقبلت عليها امها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله أما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره اياك ثم اياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة لديه إذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرىء القيس الملك الشاعر ٭ وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقلت لى ياشعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن وإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت إليها واستسقيت وما بى عطش فقالت لى أى الشراب أحب إليك قلت ما تيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكن هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت ان كنت كفأ (ولم تقل كفوا) ومرلغة بنى تميم فتركتها ومضيت إلى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر اخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة اخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت أى شىء صنعت بنساء بنى وذكرت غلظ قلوبهن فقلت اطلقها ثم قلت لا ولكن ادخل بها فان رأيت

وماعن فى تركى هواه وإنما ... شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان إبراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله بن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اسلامه

سودا لأنه كان بايع الخلفية ببغداد فارسل إليه بالتولية والألوية والنيابة ولايعلم أحد من ملوك الأندلس قبله ولا بعده بايع
بنى العباس قط فوقف إبراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال إبراهيم للهيثم زد بين البيت
الفلانى والبيت الفلانى
أعلامه السود أعلام بسودده
كأنهن بخد الملك خيلان
فقال الهيثم اهذا البيت شىء ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس ، ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة أن الملك المعظم عيسى سار إلى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد طول حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى أن قدمت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضى دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الاماكن فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم إلى الملك الكامل وعنده أخواه

ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبستنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى إلى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لاعلم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به إما إمساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملنى أصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى منها إلا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء وإذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قالت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت ياأبا أمية ان المرأة لايرى أسوأ حالا منها فى حالتين قلت وما هما قالت إذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رأيك مريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاءوا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيئا وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يمينى يوم تضرب زينب أأضربها من غير ذنب اتت به فما العدل منى ضرب من ليس يذنب فزينب شمس والنساء كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فأجابه إلى ذلك وحملها إلى العراق فأقامت عنده ثمانية اشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا ياابن أخى فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لأنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بنى عبد مناف فعرضتها لعبد ثقيف يتفخذها قال وفى عتبت على ياابن أخى قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس

المذكوران وكانا نائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا ووقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج
والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلي الشاعر وأنشد

الناس أن لايلومني في هذا إلا أنت وأبوك لأن من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وإنك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه إنما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك ياأبا العباس قال إنك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول إلا وعنده غير مقبلة من الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان هي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت إنك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر وإلا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يابني إني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك إلا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لايراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك لو ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال راجعها يابني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لاتنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الاسنة خاضها * إلى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس إلى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ياأمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت إن أبا الحسن فيه مزاح فائذن له ياأمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر إليها فإذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال ياعاتكة ألست القائلة

فآليت لاتنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا إماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر

هنيئا فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخلق فتحا به المنى * مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم بأهله الطغاة * وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج إلا كل شلو مجدل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا * عقيرته في الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني أنه وقت الانشاد أشار قوله عند قوله عيسى إلى المعظم وعند قوله موسى إلى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق اهـ (ومنه ما حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان

المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين ياعاتكة فتقول كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لأحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة انه قال لخارجة بن سنان أترى انى أخطب إلى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا إليه فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم نكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فمالك لا تستنزله قال انه استهجننى قالت وكيف قال لأنه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم أنه سيد العرب قال نعم قالت إذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ماكان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى إليه مافرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ماطلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير إذا حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو مايكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لانقف قال يا حارث أربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة اكبر بناته فاتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لأن فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجارلك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بنته الأخرى فقال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج إليه فقال زوجتك يا حارث بابنتى هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه ثم بعثها إليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إلى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث أن لحقنى فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بى كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل مايعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لأرى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا إلى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحروا ثم دخل عليها وخرج إلى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد حضرت من المال ماتريدين قالت والله لقد ذكرت من

الشرف

مداعبة ومنادمة فاتفق أنه حضر فى بعض الليالى عنده فلما رجع إلى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما انعم على الليلة بشىء فقالت أنا أعوض عنه وقامت إليه هى وجواريها فى الحال وتناولته بالخفاف الثقال إلى أن الانت أعطافه وأدارت فى حالة الصفح سلافه فكتب للعظم رقعة فى ذلك منها

وتخالفت بيض الأكف كأنها التـ
صفيق عند مجالس الأعراس

وتتابعت سود الخفاف كأنها
وقع المطارق من يدى نحاس

وقال أجب عنها فأجابه بما فى آخره

فاصبر على أخفافهن ولا تكن
متخلفا إلا بخلق الناس

واعلم ان اختلفت عليك بانه
مافى وقوفك ساعة من باس

(وضمنه أبو جعفر الأندلسى فقال)

وموردالوجنات دب عذاره
فكأنه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلا
قد رام يخفى الورد منه بآس

ناديته قف كى أودع ورده
ما فى وقوفك ساعة من باس

(ومن البديع ما يحكى) أن الشيخ بن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة باسآمة الوحدة وإلى جواره جار له رث الثياب وكان إذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجىء ويركب أكتافه فتفوح منه رائحة فيتأذى منها ويستحى ان يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له

الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام له حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فأخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين أو بنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكرها وكان جميلا فقالت للرجل وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها

وسائل ما حرفتي قلت حرفتي ... مقارعة الأبطال في كل شارق ... إذا عرضت خيل لخيل رأيتني
أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي ... أصبر نفسي حين لم أر صابرا ... على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وانشدته تقول

الا انما أبغي جوادا بماله ... كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذكان خود خريدة ... يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة ... وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول وما يستوي الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن معلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني ... بصير بادواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل أبو السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون ... لأم من الروم أن سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية ... مستودعات وللأنساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي قصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي اما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك ان تقع مع قوم قد اصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة

ياشيخ أما تستحي كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافي وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التصنيف قال له يا سيدي الشيخ ماهذا الذي تطالع فيه من العلوم فقال شيء في الاقتباس فقال له أنشدني منه شيئا فتفكر ابن كثير ساعة واقتبس مطالعه الحال وقال

كيد حسودي وهنا ... ولي سرور وهنا
الحمد لله الذي ... أذهب عنا الحزنا

فلما فرغ من انشاده قال له أهذا الذي فكرت فيه وتتكثر به اسمع ما تقول فأنشد ارتجالا

للرشيد يعير ... وعنده النظام يسير
الحمد لله الذي ... فضلنا على كثير

فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدري بأحد فان مواهب الله تعالى في الصدور لا في الثياب اهـ (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر مدينة وأطال في حصاره فلما اشتد به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ماترون وقد تأخرت بنا هذه الحالة هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لي رأي أري انهم ينصرفون به عنا

 من غير قتال فقال ماهو قال يجمع مولاي ما في خزائنه من الذهب ويحضره فلما حضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الأمير المذكور فيكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم امر ان

تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد منهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمى العداة بأسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها مجروحها فى دوائه
ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لايحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفه) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقه فأخذه ابن المنير الطرابلسى يوما وأضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خفيه وقال

يا من هم فى الطبقه … أهل عندكم من شفقه
لشائل متيم … يطلب منكم صدقه

فأجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله بمثله

يا من أتانا سرقه … بمهجة محترقه
جدك يا هذا لم يجز … أخذك منا صدقه

فيهم فتضع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفه فى غزاة فكتب جارية وفرسا وكان مماسكا على ابنة عمه فكتب اليها بعيرها ويقول

الا بلغوا أم أم البنين باننا … غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد
بعيد مياط المنكبين إذا جرى … وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه … لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له … غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
إذا شئت أغنانى غلام مرجل … ونازعته فى ماء معتصر لورد
وإن شاء منهم ناشىء مدكفه … إلى عكن ملساء أو كفل نهدى
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم … سهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل الينا بالسراج فانه … منانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم … وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شىء بدأها بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى ذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف إلى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لايكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها ياأمير المؤمنين ملساء القدمين ودماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل الخاطب ابلغ لى امرأة لاتؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لاتدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف … عيطاء غامضة الكعبين مطار
خود من الخفرات البيض لم يرها … بساحة الدار لا بعل ولا جار

(وقال الاعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل … ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما انا وإياك فى الجنة إن شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك

بمثله فأنشدت

أيا عجبا الخود يجرى وشاحها ... تزف إلى شيخ بأقبح تمثال
دعانى اليه انه ذو قرابة ... يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا

ومن لا يرمد مدحى فان مدائحى ... نوافق عند الأكرمين نوامى
نوافق عند المشترى الحمد بالندى ... نفاق بنـــات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجل الناس وجوها وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس بناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون ه وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا ... خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وسورة يوسف ... ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد يضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر ومنهم قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خلط صفرة فى بياض ... مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال على بن عبد ربه) بيضاء يحمر خدها إذا خجلت ... كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا أن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء فقال ذو الرومة

بيضاء صفراء قد تنازعها ... لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن تنجب ولدك فاغضبها ثم وقع عليها فقال الشاعر

ممن حملن به وهن عــــواقد ... حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به فى ليلة مزورة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده ه وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة

خجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جاريته مارية وكانت تحسن الشعر والأدب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل فى هذا الورد فأنشدته بديها

كأنه فم محبوب يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقال الرشيد ما تقولين يا مارية فأنشدته

كأنه لون خدى حين تدفعنى ... كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التى لا تدرك) ما حكاه الشريف المقرى فى شرح بديعته ان صانعا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب إلى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تأثير فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضى وأراد قتله فلما حضر أعلمه بذلك فقال ما ذنبى وأنتم ترون عن نبيكم ما قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أن تتكلم وخطك يشهد عليك كيف فكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت إلا ما تتبركون به فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك) قول أبى نواس يهجوا خالصة

قددلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقال ان المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مزيدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتى   ولكن قرين السوء يلق معمر
فياليتها صارت إلى القبر عاجلا   وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت   أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادة وإن طهرت زنت   فهانيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى الف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل أن عيسى عليه الصلاة والسلام اتى إبليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحملة فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ماساعفتك ولا تكن   جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك إنها   على قدم الايام سوف تخون
وان هى أعطتك الليان فانها   لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها   فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها   سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى   يؤمل يوما ان تلين الجنادل

قال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شىء قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق   فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه إياك ومشاورة النساء فان رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق عليهن فان استطعت أن يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمن على النساء ولو أخا   مافى الرجال على النساء أمين
ان امامين وان تحفظ جهده   لابد ان بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن وقال على رضى الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردون أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان

جارية الرشيد لقد ضاع شعرى على بابكم   كما ضاع در على خالصه فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الاضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فأبصر اه (حكى) عن أبى العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لاترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه (وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له ياعدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك ان الزنا حرام (وقيل) لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لاتكلمه ولاتذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما أتاك وسعدك فقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم

ويتبادين

أمر الله ونفذ فهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ماقالت المراة فقالوا ماثراها قالت الاخيرا قال ماأظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر إذاتم أمر بدا نقصا ترقب زوالا إذا قيل تم وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب مابينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لايملكون شيئا من الدنيا يريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين أى ليشكو حالهم

ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذل من أسند أمره إلى امرأة ، وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمرله بأربعة آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له إذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمرله بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان إلى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت . وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل فى الباءة) ذكر الجماع عند الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه مارأيت نهما فى النساء لاعرفت ذلك فى وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ماأوسع حرك فأنشأت تقول

أنت الفداء لمن قدكان يملؤه ... ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس ... وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه ... وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت إلى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة أتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز ... تراودنى على مالا يجوز

وقالت رق أيرك مذ كبرنا ... فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لاأقدر على رده وأتى رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو اصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وماجاء فيه) عن عبدالرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه ياأمير المؤمنين بلغنى ان رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال كيف ذلك وانما لايجوز للرجل غير أربعة قال ياأمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ماأظن هذا الا من قبلك يافلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة اياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ابيت إلا الطلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال لها وانت أيتها المتكلمة فيمالا يعنيك طالق أن أجاز لى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك ذلك

وما نزل بهم فلما جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما إلى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها

فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني انا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتيني فقالت لا يامولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد ... وذاك لكثرة الوراد فيه

اذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب ولغن فيه

ويرتجع الكريم خميص بطن ... ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يامولاى قول الشاعر

فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر انى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب مصحوب خيرا فما استقللت خيرك وشكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ... ان الغزال الذى ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكلؤه ... وقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا ... وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل ... ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يواتى ... بموت من خليلك أو فراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى أنه دفع إلى عشرة آلاف درهم فهى لك واعتقينى لوجه الله فقالت والله لاأعتقنك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها ... فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لأشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا المقصر واما أن القك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله.

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار ... فأصبحت الغداة ألوم نفسى

بأمر ليس لى فيه اختيار ... وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت بها يمينى ... لكان على للقدر الخيار

ممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول ... فنى صبرى وعاودنى رداعى ... وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فازعجونى ... فيا للناس للواشى المطاع ... فاصبحت الغداة ألوم نفسى

على امر وليس بالمستطاع ... كمغبون يعض على يديه ... تبين غبنه عند البياع

قل للذى شفه الغرام بنا وصاحب الغدر غير مصحوب والله لا قال قائل أبدا قد أكل الليث فضلة الذيب ثم قالت أيها الملك تأتى إلى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعاله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز إلى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى إلى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال إن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لأهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها إلى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فاتى اليه أخوها وقال له يافيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما ان تحاكمنا إلى الملك فقال ان شئتم الحكم ففعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه إلى الحكم

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة إلى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكرقة فقال ان امرأتى هذه شجعتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ماأرى فقال يامولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتك الأربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ من دلاك بالعزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحو القرح والذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها)

قد أنزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك إلى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول

وكأن بالقلب قليب بدر من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنى ابن كبشة ان سنحيا وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنى وينشرنى إذا بليت عظامى
ألا من مبلغ الرحمن عنى بانى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعنى شرابى وقل لله يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا انتهينا ومن الأخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ لايدخل الجنة مدمن خمر وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش ونهاك أنه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينيه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالأمس فقال أوبلغ منى الشراب ماأبلغ معه إلى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا . وممن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقال لابنته أو لأخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ماعلمت ماصنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه . وممن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول الخمر ويقول والله لاأبرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أطبح وافاق قال مالى هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لاأشربها أبدا وقيل للعباس

فاتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا إلى جانبه فقال أخو الصبية ايد الله مولانا قاضى القضاة إنى اجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وخرب بئره فالتفت

القاضى إلى فيروز وقال له ما تقول ياغلام فقال فيروز ايها القاضى قد أستأمت هذا البستان وسلمته إليه احسن مما كان فقال القاضى هل سلم إليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يامولاى مارددت البستان كراهية فيه وإنما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للأسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس والله مارأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز ولم يعلم القاضى ولا غيره بشيء من ذلك اه (وحكى) ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه بها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم اليمين وأبذلهم للسائلين أكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الإخوان الكثير الألوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن اجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المتقبض عن الزحوف المرتعش

ابن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يانصيب هل لك فيما ينادم عليه قال أمير المؤمنين جلدى أسود وخلق مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى إلى ذلك إلا عقلى وأنا أكره أن يدخل عليه ماينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال ياأمير المؤمنين لا اختلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لأعرابى لم لاتشرب النبيذ فقال لا أشرب مايشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ماتصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال بن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومى ليس فى الخمر رفعة ... فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شيئا ولم يزل ... أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية إلى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة ... فليس لإخوان النبيذ حفاظ
إذا دارت الأرطال أرضوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم إياك وإخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم إذا زلت بك القدم جروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة ... ولكننى بالفاسقين عليم
(وللأعرج الطائى) تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك ... وودعت المدامة والندامى
(وقال الصفدى) دع الخمر فالراحلات فى ترك راحها ... وفى كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها ... مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداءك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى ياأحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينه ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها إلا لضعف الإسناد * ومن المجون فى ذلك ماحكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فينبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه اللبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت

سقيت عقالا بالعشية شربة فمالت بعقلي الكاهلي عقالي
قرعت بأم الخل حبة قلبه فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الأول في النهي عن المزاح) قال رسول الله ﷺ المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي مامزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه إياك أن تذكر من الكلام مايكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيري وكتب عمر رضى الله تعالى عنه إلى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزاح ونكد الهزل فانهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج إعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله مايرانا إلا الكواكب فقالت له ياهذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها إنما كنت مازحا فقالت

فاياك إياك المزاح فانه يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الأشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعيم) لا بأس بالمزاح مالم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأنزل الله إليهما ان أحبكما إلى أحسنكما ظنا بي ويروى ان أحبكما إلى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت فقال عمر لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو إذا تيقن انه يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا فمن مزحه ﷺ أنه جاءه رجل فقال له يارسول الله احملني على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لاأحملك إلا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لايطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل إلا ولد الناقة وقال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت إلى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك فقالت ان النبي ﷺ قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم ﷺ وقال لها أما قرأت قوله

عند الوقوف المحب ظلال السقوف المكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم (٢٣١) غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل بجهله فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لايعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على أمامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت إلى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الأمير إني بشأنهن خبير إن شاء الله ان النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة فمن دارهن انتفع بهن

تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله ﷺ فسبقته فلما كبر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله ﷺ يدخل وأنا ألعب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والإيمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من أولع بالمزاح والضحك قيل إنه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به إلى المسجد فأجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر أن أضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء إليه وقال له يا أبا المنور هل لك فى نعيمان قال نعم قال هاهو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لاتعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعدما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لاأعرفه فوقع فى قلبى أن أتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه سك تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت انى لاأشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال ياأمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال است بصاحب لهو فقال ماالذى تشكوه ياأمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى ليلتى هذه فبلغ منى ماترى فقال ان بديحا مولاى أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال عبد الملك يا بديح ارق رجلى فقال يامولاى أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها لئلا يهيج بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها إلا بتعجيلى جائزتى فأمر له بأربعمائة آلاف درهم فقال ياأمير المؤمنين الطلاق يلزمه ماأكتبها حتى تحمل جائزتى إلى بيتى قال تحمل فحملت فقال ياأمير المؤمنين الطلاق يلزمه مارقيت رجلك إلا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا أن ليلى العامرية أصبحت ... على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ماتقول فقال الطلاق يلزمه مارقيتك إلا بها فقال أكتمها على فقال كيف وقد سار بها الركبان إلى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه)

أما النهى عنه فقد قيل أن عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال لهم ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لاترى شطرنجيا غنيا إلا بخيلا ولا فقيرا إلا طفيليا ولاتسمع نادرة بادرة إلا على الشطرنج ، واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات ، وأما الترخيص فيه سئل الشعبى عن

اللعب

وفريد عيشه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأنفر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان إنى موجهك إلى ابن الأشعث وافدا فاذا أنت قائل له قال مايرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أخافك لاأقول له ماقلت وكأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا فقال كلا أصلح الله الأمير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما توجه إلى ابن الأشعث وهو على كرامان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له أن الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى إلى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا بأعرابى من بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذ سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك ياإعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فيممت قبتك أرجو بركتها فقال الغضبان

اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به إذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين حربين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة ... فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قال ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع سلطان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الصولجان) ماحكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الإسلام أن أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغاربه فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى فقال يا أعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال

فهلا تيممت قبة اكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الأمير بن الأشعث قال تلك لايوصل اليها قال إن هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما أسمك يا عبد الله قال آخذا فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الأعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال إنما يقرض الشعر الفأر فقال له أتسجع قال إنما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لاأريد طعامك ولا شرابك قال لاتتعرض لما لاتصل اليه ولو تلفت روحك فقال الأعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحرمتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطار حتى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العرجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لأظنك حروريا فقال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على إصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولاحياك ثم ولى وهو يقول لابارك الله فى قوم تسودهم

أتيت قبته أرجو ضيافته ۞ فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا انى أظنك والرحمن شيطانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الأشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لأحبسنك عن الوساد ولأنزلنك عن الجياد ولأشهرنك فى البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له الم أقل لك كأنى بصرت خلاخلك تجاجل فى قصرك هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حصينة

مبار منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك إلا الغضبان فبعث إلى الغضبان فأحضره وقال كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الأمير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه إلى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) (٢٣٤) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرىء القيس

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال

قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق إذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت رحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فعلمت أنها قد قضيت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من انا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكأها وقال إليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجدا أعرابي يأكل ويتغوط ويفلي ثوبه فقيل له في ذلك فقال اخرج عتيقا وأدخل جديدا واقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لأبددن شمله بالاسفار * وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته ... وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه افرجوا لأخيكم فقال الاعرابي لاحاجه بأفراجكم إن أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرب فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع * ورؤي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الإمام هل أتاك حديث الغاشية فقال يافقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا أمامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الإمام وما تلك بيمينك ياموسى فقال الاعرابي والله إنك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت إلى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيارب أن البرد أصبح كالحا ... وأنت بحالي يا إلهي أعلم

فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الأكل قالت ثم أتموا الصيام إلى الليل فقلت قد ابيح انما الافطار فى السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فقلت من أى الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة

وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرأوا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر إلا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قيل ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فان كنت يوما فى جهنم مدخلى ... ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الأصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا ... ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا ... عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح إلا يوم شمس دفيئة ... وإن غمت فالويل للظهر والعصر
وإن يكسنى ربى قميصا وجبة ... أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى عن صلاتى جالسا ... على غير طهر موميا نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة ... ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا ... وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم ... أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الإمام قل أرأيتم أن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الأعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الإمام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لأختها فقالت يا أختاه ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى أعرابى خلف إمام فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له ما لك يا مجرم فقال ان الإمام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لا رأيته بعد اليوم . وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج إلى بيت فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

إذا ما حلا الإنسان فى بيت غائط ... تراخت بلا شك مصاريع فقحته

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله   مازلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه   من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع (ووفد) ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله   إذا مت فادفني إلى جنب كرمه   تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنني في الفلاة فانني   أخاف إذا مامت أن لا أذوقها   قال بل أنا الذي يقول أبي

لاتسأل الناس مامالي وكثرته   وسائل الناس ماجودي وما خلقي   أعطى الحسام غداة الروع حصته

وعامل الرمح أرويه من العلق   (٢٣٦)   وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض   وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس انى من سراتهم إذا سما بصر الرعديد بالفرق فقال له معاوية احسنت والله يا ابن ابى محجن وامر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما إلى الحمام وكان بغير متزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحال فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته وانصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ما ولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج وأمر له بصلة (وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى) قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه مزعجا وقال ياخدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منه وقال اصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا أضرب عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثيرة

فمن كان ذا عقل فيعذر عارضا   ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى امره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى انه كلب فقال انظروا ماهذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به إلى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ماحملك على ماصنعت قال ان الله عزوجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا   وولج فى عطيته الشبابا

أما فى مال ردفك من زكاة   فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الأصمعى أن عجوزا من الأعراب جلست فى طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله أن صدقتم مافيكم من يعرف أباه وصلى أعرابى خلف إمام فقرأ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف إمام فقرأ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يافقيه إذا يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا إلى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابى ماأعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه ايضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ماصفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار

وهو

وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى صعدت فيها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها إلى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار إلى واسط فصبرت إلى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى إليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فأمر بتفريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها واعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك إليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أأوحى إليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح ينحدر

الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشهدتم (وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره إليه فرآه فغض بصره أطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم إلى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع * من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(ومن محاسن الأخلاق) ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح

وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى إلى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك وأن زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته * وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين وإلى أين قال أتيت من أرض لها عشرون سنه مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور وإحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسمائة قال فإن قال لك كثير قال ثلثمائة قال فإن قال لك كثير قال مائة قال فإن قال لك كثير قال خمسين قال فإن قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فإن قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع إلى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك يا أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال إلى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال ياسيدى ان تجب إلى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثون دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

(الفصل الثانى فى بوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة فخرج إليه فقال ن والقلم فى أى سورة * ومر بعضهم بقارىء يقرأ الم [illegible] الترك فى أدنى الأرض فقال له الروم فقال له كلهم أعداء قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون إلى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف

بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان
الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزاً فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى
أنا عليه فخطا خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار إلى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره
فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف
أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء
وأحب اك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) بت عنده
ذات ليلة فانتبه وقد عرض له (٢٣٨) السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الأرض لئلا يعلو صوته فانتبه (وكنت) معه يوما فى
بستان تدور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولاتغرس فى هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله إلى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يايحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم
الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس
تصدق
ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لاخير فى صحبة من لاينصف
اه (وحكى) ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما تعالى نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى
قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها فى غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك
أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع
عليهما يكون حكما بينهما فطلع شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم
قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الأصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة

عليك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لاشريك له فقال له فى سورة الحمد
فضحكوا عليه ٭ وجاء رجل إلى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت
وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى إليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت
وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى إليها فقال أرى أن لاتصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك
وجاء رجل إلى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وأنى توضأت وصليت فبينما أنا فى
الصلاة إذا أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فإذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله
خريت باجماع المذاهب ٭ وجاء رجل إلى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز
لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لاكثر الله فى المسلمين مثلك ٭ ووقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة
فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل إليها وقال أن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك
فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم قبحك
الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه ٭ وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه
صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح الله تعالى قال إنى
أخشى أن تدركه رقة فيسجد
(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى
الأرض إلا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الأسواق
والأزقة وتأكل من قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر
الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فأحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة
حملها وقالوا ليس لنا شىء نرتزق منه إلا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج
والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والأوقاف فقال
لهم القاضى أمثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والولع وبيت
النبدة وشركة النفوس وجباية الأسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح
وما تروحوا من البغلة بلا شىء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها
للبيطار قال فتقدم أحدهم إليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك إلى خير وأراحك من هذا المعاش

وهو يقول :

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم | ياكاشف الضر والبلوى مع السقم | قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي ياقيوم لم تنم | أدعوك ربي حزينا هائما قلقا | فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه | فمن يجود على العاصين بالكرم | ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول
ألا أيها المقصود في كل حاجة | شكوت اليك الضر فارحم شكايتي | ألا يارجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي | أتيت بأعمال قباح رديئة | وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار ياغاية المنى | فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبدك الأصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات ياأصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون انتهى (وكان) ابو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الاهيم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مصر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمه ياأمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا من أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومن كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شيء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول أنت ياخالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك القوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام

تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الألفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والملع جباية الأسواق والولع القمار وبيت النفخة محل المزر وشركة منفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاه * وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولي يحيى ابن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر إلى البصرة فقال لأهل جبلة إذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال ياأمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال ياأمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده إلى القاضي فقال يامولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فأنكر ولده ذلك فقال أبوه ياسيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا بعد ماشابت وشابا ان دين الله حق لاأرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر أحفظ آية منها وهي

فارحمي صبا كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به * وتقدم اثنان الى أبي صمصامة القاضي فادعى احدهما على الاخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي ألك بينة فقال لي شاهدان فأحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما ياسيدي عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الاخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال اتريد على طنبور اعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة إلى ابي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج ايهما اطيب فقال ابو يوسف انا لا احكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي ابي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا حتى نصف الجانبين ثم قال ياأمير المؤمنين مارأيت أعدل منهما كلما أردت ان احكم لأحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدي ان امرأتي تحبانا فقال له القاضي طلقها فقال عشقانا فقال قوها ناه

واكرم الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدان قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول إنا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلسانا ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل الميدان بالميدان وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لإبراهيم إني أسألك عن أربع أن أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا او منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا او فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت إلا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك ابو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا (وحكى) أن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان قصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي امير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين اعلى رايا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان إلى اخيه يقول ياأمير المؤمنين اني ماأجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه وأخواته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه اربعة آلاف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف درهم ولما صار إلى واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف درهم فان رأى أمير المؤمنين ان يخزيني

وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها • ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي ياسيدي لاتعجل علي حتى أقص عليك قصتي إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطىء برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر إلى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين إلى الإمام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى إلى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل له إنه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين إلى القاضي وأخبره فجاء إلى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع مارأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ماسمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف إلا كرم وعنبه مايؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه قد مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لايعود اليها أبدا (الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخلال بالأبقل فقال بالأصفع في الأروس والأنوط في الأذقن •

فى ضيق فليفعل فإنه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد أنه لابد أن ترسل إلى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولد أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما إلى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيه أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى إذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا إلى أيوب أبى إذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ماتحتاج إلى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أنه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه

الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له لاسبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى (وحكى أبو على المصرى) قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لى أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله داخل ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت فى غسله وأنا ارتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهى أخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل إلى زوجتك ان كانت تحسن ماتحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها إلى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وانزلتها على اخيها رحمة الله عليهما

نحوى فى كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى وأطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف كان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصله يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ماأشغلنى عنك الا فلان فإنه دعانى بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت إلى قبض روحى . وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لاتلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم إلى ركبتاه قال لاتلحن قل إلى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله فى بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه . وعاد بعضهم نحويا فقال ماالذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لاشفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس فى نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ماهذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدى فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجه فيقوم إلى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فى وأضرب الطبل وأنفخ فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إلى يخلصونى منهم (وحكى) الجاحظ ايضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبح الكلاب فوقفت انظر اليه واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة إلى المعلم بولدها تشكوه فقال له إما أن تنتهى والافعلت بامك فقالت يامعلم هذا صبى ماينفع فيه الكلام فافعل ماشئت امه ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها . وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده

فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله ياسيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه ، وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر إلى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافئك إذا فرغت من الصلاة (وحكي) عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت إلي جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم إني كنت جالسا في هذا المكان وأنا انظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي على فؤادي اينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به ... فكيف يلعب بالإنسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه ويقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت ... لبعدكم أصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت ... رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم ... بنومي فعيني لاتصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة ... فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي ... سرورا وأحشائي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة ... يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم ... تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت إيها بعدها لمسامر ... من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لاأطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوافقنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لاآخذ على اكرامي ثمنا وإن لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته فقلت أيها الأمير إن رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال إذا قدمت واسط فائتنا إن شاء الله تعالى فعلت فأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت إلى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم في ذكر الجواري ... فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال انك لاتبقى عزبا فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوي وأسر صديقي فقال فانما أخيرك بين خلتين إما أن

فعلمت أنها ماتت لحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت ياهذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي أبقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى واغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل اصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وامر له بصلة. تنبأ إنسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال اطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا اعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجاره وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر بين يديه فقال أنت نبي قال نعم قال وإلى من بعثت قال اليك قال اشهد انك لسفيه احمق قال انما يبعث إلى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء. وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها وصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء وقال هذه علي أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال إحياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق. وتنبأ آخر في زمن المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال امهلني ثلاثة أيام قال ما أريده إلا الساعة قال انصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه الا بين ثلاثة أشهر فما تصبر أنت علي ثلاثة أيام فضحك منه ووصله. وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي

تقيم فنواسيك أو ترحل فنضيفك فقلت أولم تغنني أيها الأمير قال انما هذا أساس المنزل ومصالحه مرمم فناولني من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجزه بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضي إلى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) إن الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقدار مائة الف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له. فلما أبصر قال أبا خالد ضاقت خرسان بعدكم. وقال ذوو الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعد قطرة ... ولا أخضر بالمروين بعدك عود

وما السرور بعد عزك بهجة ... وما الجود بعد جودك جود

فقال يزيد للحجاب ادفع اليه المائة الف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه فأخذها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وإن كانت تعرفني فانا أعرف نفسي (وقال أبو العيناء) تذكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أحمد بن داود أسخى منهم جميعا. أفضل (سئل) اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وأوا في يحيى يقول القائل

سألت الندى هل انت حر فقال لا ... ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثني عن والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ... رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بسعال إذا سيل حاجة ... ولا بمكب في ثرى الأرض ينكت

(وفي محمد يقول القائل) سالت الندى والجود مالى أراكما   تبدلتما عزا بذل مؤبد   وما بال ركن المجد أمشى مهدما   فقالا اصبنا بابن يحيى محمد   فقلت فهلا متما بعد موته   وقد كنتما عنديه فى كل مشهد   فقالا أقمنا كى نعزى بفقده   مسافة يوم ثم نتلوه فى غد   وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له إلى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لأصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضى الله تعالى عنه اعرابى فقال له يا أمير المؤمنين ان لى حاجة الحياء يمنعني ان اذكرها فقال خطهـــا فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الأعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها   فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
إنه أبا حسن قد نلت مكرما   ولست تبغى بما قدمته بدلا

ان الثنا ليحيي ذكر صـــاحبه   كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به   كل امرىء سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله تعالى عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول اشكروا لمن أثنى عليكم وإذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وسئل) اسحق الموصلى عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبى جعفر يوما فأراد الرجوع إلى أهله فقال له اسفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين على فقال أو قروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف الف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو بن عفان موسى بن شهوان إلى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجانى يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك تهجو سعيد قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية فاتيت سعيدا فقلت انى احب هذه الجارية وإن مواليها اعطيت فيها مائتى دينار وقد اتيتك فقال لى بورك فيك قال فاتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته بمطرف خز مصرف لى فى زاويته مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد   أخا العرب لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى   أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى   فإن مات لم يرض الندى بعقيد

قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون عنه وخلى سبيله . وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر انكحها تحمل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي الله وإنما يعطى زوجته من لا يؤمن فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به إلى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بما قال قال الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر الآية وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال أنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له أنك علامة على علامتى انى اعلم ما فى نفسك قال وما نفسى قال فى نفسك أنى كاذب قال صدقت ثم أمر له إلى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشىء قال لا قال ولم قال لأن الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم فانه ﷺ قال لا نبي بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها . وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

(الفصل السابع فى نوادر السؤال) وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من بباب الدار بورك فيك فقال له قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا . ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال له فتح الله عليك فقال السائل يا قربان كنت تصبر لعلى جئت أدعوك إلى وليمة . قال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم . ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقيل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت

أو لين

أو لبن قالوا لانجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن مانسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتى من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له إلى أين فقال أحب أن أسمع أذانى أين بلغ * واختصم رجلان فى جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا إله إلا الله ذهبت الأمانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الأمانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل أن أوذن فيمسخ الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ماتحفظ الأذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه فاجتمع إليه الناس فقال والله مابى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود النصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره إذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى أسمع غاغة فى البرحلى قلوعى واعملى أسفيرتى على جامورى وقدمى إلى استقالة الرجل وقيمينى بعدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد سلت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الجرتية حواليه وإذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعالى ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشبورتك مكسورة وأنت بتزلع مامتغير وتقيم الهليلا فى الساحل دخل عليك شرد غربى ولا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال ياأولاد جيبوا غريمو بخمسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الأمير وجاءوا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بفنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعث حتى بقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت استقالته

ذروه ذروه آنكم قد رقدتمو وماهو عن احسانكم برقود فقال سلمان قل ماشئت وكتب كلثوم بن عمر إلى بعض الكرماء رقعة فيها إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقرا فهو محمود فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال ياأبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم إليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال ياطلح أنت أخو الندى وعقيده ان الندى مامات طلحة ماتا ان الندى ألقى إليك رحاله فبحيث بت من المنازل باتا (ووفد أبو الشمقمق) إلى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه إلى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال ولقد

قدمت على رجال طالما قدموا للرجال عليهم فتحولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه فكتب بذلك مستوفى الخراج إلى الخليفة فوقع إلى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة وإسقاط ماعليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى عن أبى العيناء أنه قال) حصلت ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن اكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال ياأبا العيناء بالالفة والمحبة ماالذى جاء بك فى هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوق كلما تجب
ان لم يكن أسباب أعيش بها ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شئ فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة الف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد احد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال ياأبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما   عيناى حتى يؤذنا بذهاب   لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الأحباب

(وقال الأعمش) كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمه بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ماتحت اللبد حتى وصل إلى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامه العشيرى) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يايزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ماحملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

إذا قيل من للجود والمجد والندى   فناد بصوت يايزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ماحكى أن قوما من العرب جاؤا إلى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان الرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر إلى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم هاأنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيئا قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه خذه وانا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى إلى فلان فانظر إلى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشد شعرا يقول فيه :

سألت الندى والجود حران أنتما   فقالا يقينا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا   الى وقالا خالد ويزيد

قال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الأمهات مهذب   تدفق كفاه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله

لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النوانية والله ياخوند هو كارزنى فى معاشى اجصطن على الوحشة وأنا عايم فى الليل إلا وشرد جانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وهاهو بحمدالله على برالسلامة وان كان انصلح فيه شىء فأنا بمرسوم الأمير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيدله وسمه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاذيفك حتى نمبر على الحجر يارجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شيمنة اللبان وأنزلوا عليه أوسقوه الجنابين والظهر حتى تلعب الميه على بطولسته هيا قوامك خلوا جنب براوجنب جوقدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه إلى أذنه فقالت النوانية ياخوندا هو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أفاق وباس يدالأمير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لايبليك بجر اللبان فى الحلاقى وانت خافى فى الصيانى ويكفيك شر الاربعينات قال فرق عليه قلب الأمير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاعند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه وبعد البر فى أيام النيل لولاشفاعة الركاب لكنت أهدا سقالاتك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر لهذا الوجه اجسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الأمير أحمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم دعلم عليه علامة الرياس البحرية للنوانية الله لك الله لى ياعملات على أبوسر

(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت إلى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل إلى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا إله إلا الله لا غير إذا مات أين يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا بالا إلى هؤلا والا إلى هؤلا واهدى إلى سالم القصاص خاتم بلافص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلاسقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى واشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل

جامع

جواد بسيط الكف حتى لو انه   دعاها لقبض لم تجبه أنامله   فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني   وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا في الجناحين بعدما   تساقط مني الريش أو كاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى   حليف الندى ماللندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ماأخذت وانصرف (وجاء) إلى خالد بن عبد الله بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشد يقول

يا واحد العرب الذي   مافي الانام له نظير
لو كان مثلك آخر   ما كان في الدنيا فقير

فقال له يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا نبذة) من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء فمن ذلك ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف على بابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت إلى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا (والأم اللئام وابخلهم) حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله من قصيدة

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت   وبين أخرى تليها قيد اظفور

(وقال فيه أيضا)

تجهز كفاه ويحدر حلقه   إلى الزور ماضمت عليه الانامل

(أكل) أعرابي مع الأسود طبا فأكثر ومد أبو الاسود يده إلى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الأسود وقال أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا جبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها (وقال اعرابي) لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم (وللحمدوني).

رأيت أبا زرارة قال يوما   لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص   لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ   بغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقال من جنى عليه   ببيت لم يرد فيه القيام

جامع الصيد لاني عن عمرا بنته فقال لاأدري لا ان امها ذكرت انها ولدتها في أيام البراغيث. وقيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال المائدة قال فأي آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين. وقيل لعثمان بن دراج الطفيلي يوما كيف تصنع بدار العرس إذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني وقيل له أتعرف بستان فلان قال أي والله انه الجنة الحاضرة في الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح في أنهاره قال لأن كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التي في لونك قال من الفترة من المضيفين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول الآن يذهبون بك إلى بيت لافراش فيه ولا غطاء ولاوطاء ولاخبز ولا ماء فقال ابني ياأبت إلى بيتنا والله يذهبون (وحكى عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي إني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له مايضحكك استهزاء بي أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ﷺ مافعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر أن جئت إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت والعفو ياأمير المؤمنين فقال الرشيد ائتني الساعة به فخرج مسرور مسرعا إلى أن جاء إلى المغازلي فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه إذا أنعم عليك شيء يكون لك منه الربع والبقية لي فقال لو اجعل لي النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لي ولك الثلثان فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين إن أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحققت الضرب علم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها

رطلان فضربة ضربة فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل ما بدالك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت انا وإياه على مصلحة وهو ان ماحصل لي من الصدقات يكون فيه الثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني إلى ذلك إلا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنتا وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهم خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الأول في الدعاء وآدابه) قال الله تعالى وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ماصلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية وإذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع إذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعا فأما ان يعجل الاجابة في الدنيا وإما ان يكفر عن الداعي وإما ان يدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها احدى ثلاث إما ان يعجل لدعوته وإما أن يدخر له ثوابها وإما ان يكفر عنه من السوء بمثلها وروى أنه إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره وإذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك (واعلم) ان اجابة

اني وابناء أبي والكلب عندي بمنزلة إذا حضر الطعام وقال له أين لي يا ابن كلب على خبزي أصادر او أضام
إذا حضر الطعام فلا حقوق علي لوالدي ولا ذمام فما في الأرض أقبح من خوان عليه الخبز يحضره الزحام

(ويعجبني قول بعضهم) زففت إلى نبهان من صفو فكرتي ، عروسا غدا بطن الكتاب لها صدر فقبلها عشرا وهام بحبها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا (ومن أخبار البخلا) ما حكاه بعضهم قال كنت في سفر فضللت في الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به باعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك إذا أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا مالنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فإذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا والضيف فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت مامر بي بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب أن تلك الاعرابية التي رأيتها هي أختي وإن بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت له ما بالكما فقال احدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر امشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد ألعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج أعرابي في ولاية الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد عليه اعرابي من حيه فتقدم اليه الطعام وكان

الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لاقادر الا الله وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء. ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام مالم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار إلى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث ... كذاك إذ دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق والوسط. ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله ﷺ قال أن الله ربكم حي كريم ليستحي من عبده إذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وان يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله ﷺ إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره إلى السماء لقوله ﷺ لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن الله ابصارهم وان يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبدالرحمن الهمداني قال صليت مع ابي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال لكن زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وان يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله ﷺ اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس إذ قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون. وعن النبي ﷺ إذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء

إذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال أبي عمير قال ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الأرض نباحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت إلى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يامبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل اللبن إلى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند

سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك ياغلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك اما علمت ان الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما اريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما اهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله ما قلت عنده من يأكله أنظر في أي مكان رميته وائتني به فقال لا أعرف اين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته في بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزي) صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع إلى العشاء وقال لامرأته اطبخي لأهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغداء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من اهل خرسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال لقد شرب الدهن وإذا ضاع ولم نحفظه احتجنا إلى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى أن يشرب الدهن قال بينما أنا

أتعجب وأسأل الله العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر إلى العود فقال للرجل يافلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لاتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فإن الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدى) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته   وهاربا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له   فارجع وكن ضيفا على الضيف

فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ماسمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا قال سبحان ربي الأعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله ﷺ وينبغي المؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الإجابة ولا يقنط من رحمة الله لأنه يدعو كريما ، وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين إلى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة ياعبدي إذا سألت فاسألني فاني غني وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي وإذا أفشيت سرك فافشه إلى فاني وفي وإذا أقرضت فأقرضني فاني ملي وإذا دعوت فادعني فاني حق وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له وقال يارب لم ذلك قال لأن في بطنه الحرام ، ومر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الأول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع

وكان أبو العتاهية ومروان ابن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان مافرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب ينقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال إن وهبلي أمير المؤمنين مائة الف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين الف درهم فوهبها أربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال ان من عادتهم إذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان) عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الذي نزل من الحقنة وأسرج به (وكان) المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه إلى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره   يزينه سياؤه وخيره   ومسك يشوبه كافوره   إذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال ياربيع اعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين الف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين الف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فازلت

أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يعدو له فى ذهابه وإيابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية (نادرة) قيل لأبى الحرث ماتقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اختلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا (ودخل) ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعونى إلى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك ماالذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كانها حشيت زبدا وعسلا وأطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل (وسمع) رجلا يذم الزبد فقال له ماالذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه (وقيل له) ماتقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ماافلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس الف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ماتركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا (وقال) معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) أعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى اكله منه فقال له الخليفة أراك تاكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال اراك تشفق عليه كأن أمه ارضعتك (ودعت) اما الحرث صبية له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له اما فى وجهى مايشغلك عن الاكل قال جعلت فداك فلو ان جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان ابن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز إلى وقال ياشمردل ماعندك ماتطعمنى قلت عندى جدى كأعظم مايكون سمنا قال عجل به فاتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى إذا لم يبق منه الا فخذا قال هلم ياأبا جعفر فقال انى صائم فأكله ثم قال ياشمردل ويلك اما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن افخاذ نعام فاتيته بهن فأتى عليهن ثم قال ياشمردل اما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى

التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيي بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه لاتعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الأدعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت أعرابية عند البيت فقالت إلهى لك أدل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة ان لااله إلا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لاتحرمنى خير ماعندك لشر ماعندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لاتكلنا إلى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الأرواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى أن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لايحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم أنى لاأحسن شيئا من الدعاء فأسألك مايطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركمانى لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وايقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال اريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان نقص الاعراب إذا اوى إلى فراشه قال اللهم انى اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم

أنا عليه ثم قال ياغلام فرغت من غدائنا قال نعم قال ماهم قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على مراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال إلى الأردن قال لماذا قال بلغنى أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا امر بضرب عنق رجل فقال ايها الأمير أن لى بك حرمة قال وماهى قال إن أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يامولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لاانسى اسم ابى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظرة مغضب فقال يامولاى الكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قوم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد امر بضرب عنقه قال يا امير المؤمنين اسمع منى كلمات اقولها ، قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه صن
والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتمم لقمة ... واثن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده ... كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنا وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امراة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت انا ابنته فاسمع ياحجاج منى ما اقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه ... علينا واما ان تقتلنا معا

يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها ياصباح ياصباح يامطعم ياعريض الجفنة ياأبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد إلهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى ياأبا المكارم ياأبيض الوجه وهذا نحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والزامه على القبيح على طريق الاستعارة لأنه لافرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجود والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه وقيل لاعرابى اتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك اعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسالك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطىء عنه الاجابة فقال بلغنى ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شىء به ارحمه وقال طاوس بينما انا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما فى كرب إلا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت اسألك سترك الذى لاتزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا أعرابى فقال اللهم امح مافى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل إلى عبدالله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أمالك إلى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت أعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الأرض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكامنه ... بيتا لهجت فيه من شعر بشار
يارحمة الله حلى فى منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية كان يحبها ويتغزل فيها ونعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شىء وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يامن لايشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لوقلتها وعليك ملء السموات والأرض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم

أحجاج لاتفجع به ان قتلته ٭ ثمانا وعشرا واثنتين واربعا
أحجاج لاتترك عليه بناته ٭ وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زوّر ورقه عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع فى أن يبذل له الألف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل أعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى (ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم) ماحكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا إلى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تروا هذه الخربات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخربات إذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد وإذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى فجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جدل جعفرا ٭ ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى ٭ عليهم وقلت الآن لاتنفع الدنيا

مع أبيات أوردها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لاأوقن بعدها بحياة ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيه وصية ودفعها إلى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبما استوجبت البرامكة

صن وجهى باليسار ولاتبدل جاهى بالاقتار فأسترزق طالب رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ما انتهيت إلى الركن اليمانى قط إلا وجدت جبريل قد سبقنى إليه يقول قل يا محمد اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك يا كثير الخير يادائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى إليه وعزتى لوكانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى إذا نابه أمر قال يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم إنى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخر وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول ﷺ من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يارسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليه حتى وصلت إلى صماخه فأتى إلى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو ياعلى ياعظيم ياحليم ياعليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس إذا قال العبد يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله ﷺ برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال رسول الله ﷺ سل حاجتك فقد نظر الله إليك وروى عن رسول الله ﷺ انه قال إذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفرخ عن أبيه وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله ان يرينى الاسم الاعظم الذى إذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى وإذا مكتوب بالنور فقرأته ياالله يارحمن ياذا الجلال

منك بالفعلة فى خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال ياأمير المؤمنين إن للبرامكة عندى أيادى خطيرة أفتأذن لى ان أحدثك حديثى معهم قال قل ياأمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على الخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبى وصبية وليس معى مايباع ولا مايوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد أعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لاشىء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر

والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام امرد قد عذر خداه اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهدوا اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله ياامير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان مابين المشايخ وولده والغلام مائة واثناعشر رجلا خرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل صينية من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرايت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لااجسر على اخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وجعلت الذهب فى كمى واخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت إلى ورائى مخافة أن امنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى إذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم امرنى بالجلوس

والاكرام ومن دعاء الكرب ماروى عن وهب ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم إنى أسألك يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيئا تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنينى المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لاتضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها إن تكشف عنى ضرما اصبحت وأمسيت فأوحى الله عزوجل إلى جبريل أن ارفع عبدى إلى فقال رسول الله ﷺ لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولاتستبطؤا الاجابة فان ماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل إلى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الارواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به . وحدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج ابن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيته بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره مادأرجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لأن العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن اقتلك شر قتلة قال
انس

جلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتي به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وادخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج إلى عيالي على هذه الحالة إنا لله وإنا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك وإذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل إلي الف الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية نزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن سعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خربات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم إلي وأشكرهم على أحسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه مدته ووقع لهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة إذ لو لم آت خرباتهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابكِ وإياهم فاوف ولإحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها

أنس لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لأن رسول الله ﷺ علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صاحبي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الأمير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو * بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الذي لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي وعلى كل شيء أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيئا عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك اللهم اني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شيء قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قضيته لي أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إلي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجرأة على الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك ان تصلي على محمد وآله وان تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأعجز ولا إلى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين * وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي مسلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله ﷺ برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني استغفرك وأتوب اليك

لحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليه فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة أهل لك فى أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم أنشأت تقول :

فان تسألاني عن هواى فانه • يحول بهذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا • كما كنت أستحييه وهو يرانى

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمروية به فأخذه إليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الأمير أبو الجيش اليه وقال له أنت (٢٥٦) عندي بمكانة أزعاك بها ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل احد اعرفه ان لا يخونني في شيء فعاهده ثم حكمه في امواله وقدمه في اشغاله فصار احمد اليتيم مستحوذا على المنام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير ابو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما راى احوال له متصفه بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في امور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الأمير بمحل القريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية إلى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الأمير وسلمها اليه وبقيت الجارية من شدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ من السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فأقامت اياما لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها أعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت إن أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط

من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فأيما عبد من عبادك اوامة من إمائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إيا في مال او بدن اوغرض علمتها اولم اعلمها استطع ان اتحالها فأسألك ان ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كلها يارب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك فاني لاشيء واسألك يارب ان تكرمني برحمتك ولا تهني بذنوبي وما عليك ان تعطيني الذي سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله ﷺ ارفع راسك فقد غفر الله لك انه هذا دعاء اخي شعيب عليه السلام • وقال صالح المزني قال لى قائل فى منامى اذا احببت ان يستجاب لك قل اللهم انى اسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فادعوت بها فى شيء الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك بالعزة التى لاترام والملك الذي لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ وبالوجه لذى لا يبلى وبالديمومية التى لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل ان تجعل لنا فى امورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجوا غيرك يا ارحم الراحمين • وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد اصبحت وإذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست ادعو وإذا بهاتف يهتف من خلفي ياعبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بأنك ملك وأنت على كل شيء قدير وماتشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شيء إلا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مناع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البهاء خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الإمام أبى محمد الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر إسناده لى الإمام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنير تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد إلا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسيت قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد اقبلوا وجاءوا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا إلى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى ياهذا إنسى أنت أم جنى فقلت أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر

تمضيا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال إذا أرسلت اليك إنسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه إملأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الإنسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم أن الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم مجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه يحضر بخاطره شيء فلما مثل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة الأمير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضاره وخذها أنت وادخل (٢٥٧) بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الأعراض عن أعلام الأمير

بذلك واخذ أحمد يحدثه بما شاهده وماجرى لنا من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقرارها فأقرت بصحة ما ذكر أحمد فأعطاه إياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وغلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكي أن ملكا من ملوك الفرس يقال أزدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثيرة وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أزدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وقسم بالإيمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أزدشير في جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أزدشير

من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طارق ولا سبع ضار وعوفي نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الأمر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون وآية الكرسي وإلى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول إلى آخر السورة وأن ربكم الله الذي إلى قوله المحسنين قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر السورة والصافات صفا إلى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والإنس أن استطعتم إلى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا إلى آخرها وأنه تعالى جد ربنا إلى قوله شططا زاد البوني إلى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط إلى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال أن فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي فقرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها إلا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة إلى آخر الآيات * وقال أبو العباس أحمد القسطلاني سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار ان من قال لا إله إلا الله سبعين مرة كانت فداءه من النار فعلت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لأهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان إلى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي في النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الإنزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين الفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن هذه السبعين الفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتمت هذا الخاطر في نفسي ان قال ياعم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه * ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع

من رؤيته إياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة وإن الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلادنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وإنه أسرنى فى جملة الأسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى أبنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها إلى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أزدشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم أنه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه لها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى فأخذها ثم أنه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وإننى سمعت إنك أقسمت لتقتلنى فتحملت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أزدشير إذ قهرته امرأة وتحايلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لأنه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لأجل شهوة النفس ثم قال ايها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى اولى فى الستر ولا ارى فى قتلها فلأن اهون ولا استر عليها من الغرق فقال له الملك نعم مارأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج ليلا إلى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال واعوان فتحيل إلى ان طرح شيئا فى البحر واوهم من معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما اصبح جاء إلى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم إن الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال ايها الملك انى نظرت مولدى فرأيت اجلى قد دنا على مايقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وإن لى اولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك نخذه إذا مت ان رأيت. وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين اولادى بالسوية فإنه إرثى الذى قد ورثته عن ابى وليس عندى شىء اكتسبته منه إلا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولاولادك اسواء كنت حيا اوميتا فألح عليه الوزير ان يحمل

جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده إلى محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فإذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى محمد والخليل إبراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لايجد لكشف ماهو فيه إلا أنت ياأرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لايدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنى أسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك باسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك باسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا إنك على كل شىء قدير وهذه أبيات الفرج لأحمد بن حمزة البونى قيل أن فيها اسم الله الأعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا   أقول ان قيل متى ذاك متى   لابد أن ينشر ما كان طوى
جودا وأن يمطر ما كان خوى   وربما ينشر ما كان زوى   وربما قدر ما كان لوى
وكل شىء ينتهى إلى مدى   والشىء يرجى كشفه إذا انتهى   لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطرف إذا الطرف رمى   كم فرج بعد إياس قد أتى   وكم سرور قد أتى بعد الأسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا   من كل مايخشى ونال مارجا   سبحان من يهفوا ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا   يعطى الذى يخطى ولا يمنعه   جلاله من المطا لذى الخطا

(ومن المنظوم أيضا)

يامن يرى مافى الضمير ويسمع   أنت المعد لكل مايتوقع   يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع   يامن خزائن رزقه فى قول كن   امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة   فبالافتقار اليك فقرى ادفع   مالى سوى قرعى لبابك حيلة

الحق عنده وديعة فأخذه الملك ودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد إلى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك اسمه شاه بور إلى أن راهق البلوغ هذا كله وأزدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لا محالة وهذا

الملك يأخذه بعدى من تمضى له به فقال الوزير لو شاء الله ان يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الأردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تفريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما يقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الأب وفى الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا وتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت إليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك يمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها إلا شاه بور فانه كان إذ ضرب وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه إليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت إلى احضار الحق المحتوم فأمر الملك

فلئن رددت فأى باب أقرع ✽ ومن الذى ادعو وأهتف باسمه ✽ ان كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لجودك ان تقنط عاصيا ✽ الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله ✽ خير الانام ومن به يتشفع

(وقال آخر) ياخالق الخلق يارب العباد ومن ✽ قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى ✽ ياجاعل الأمر بين الكاف والنون
تجيب أيوب من بلواه حين دعا ✽ بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
وأطلق سراحى وامنن بالخلاص كما ✽ تجيب من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى ✽ وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما ✽ فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن تحل بذكره ✽ عقد النوائب والشدائد ✽ يامن اليه المشتكى ✽ واليه أمر الخلق عائد
ياحى يا قيوم يا ✽ صمد تنزه عن مضادد ✽ أنت الرقيب على العباد ✽ وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا ✽ عك والمذل لكل جاحد ✽ انى دعوتك والهمو ✽ م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى ✽ يامن له حسن العوائد ✽ خفى لطفك يستما ✽ ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبـ ✽ ـب والمسهل والمساعد ✽ يسر لنا فرجا قريبا يا إلهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست من الأقارب والاباعد ✽ ثم الصلاة على النبى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم ✽ ما خر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس انت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو إلى قوى ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا

باحضاره ثم أخـــذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحـكماء وهى الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عنه الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحـــدة قال فدهش الملك ازدشير وبهت لما أبداه الوزير من قوة النفس فى الخـــدمة وشـدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى ان حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعـــد موت ابيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك ازدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعـالى (قلت

ومن بديـــع ماجاء فى المـكافأة على الصنيع ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحي بن خالد البرمكى وقد خلاق مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيـد فبينما نحن جلوس اذدخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمـــد ابن أبى خالد الأحـول فنظر يحي اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حـديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فاذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحوال قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شىء نقتاته قال فبكيت يابنى لذلك بكاء شديدا وبقيت وهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت أدعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فبـــاعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب ابى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر إلى نظرا شـــديدا وما أجابنى جوابا فرجعت إلى اهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد

والاخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

وبما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولاساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق • ودعى أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولاألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولاأسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الأعنة والأسنة ودعى أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتفاسخت الظلم والأنوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الأمن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تسجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(وبما جاء فى الدعاء على الأعداء والظلمة ونحوهم دعا أعرابى على ظالم فقال لاترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابى إلى سفر وكانت امرأة تكرهه فأتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم اتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورثت خيرك ثم تبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا أعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا أعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه اى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا ... فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

وما دعوت عليه حين ألعنه ... الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان ارض الروم منزله ... وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته يوم الأحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى

البلاد

البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولنختم هذ الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قدعمت وبحار الغفلة على قلوبنا قدطمت والعجزشامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ماعصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالان من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من وقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ماعلمت ولاتهتك ماسترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولايبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لابالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد ﷺ خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل وسيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول أمهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك رجالك ومدوا أكفهم لطالب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره كذلك فلاطائر يطير بجناحيه ولاحيوان يدب على بطنه ورجليه ولاتظن بعوضة ولا تسقط ورقة الابقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لايجرى شىء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ماقضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لامحالة كما أن مافى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وماقدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لايصل اليك إلا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شىء فبتقديره وأن اتفق شىء فبتيسيره فمن رام أمرا من الأمور ليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الأمر بل أن يشرع فى طلبه على الوجه

فقالوا بئس والله مافعلت توجهت إلى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم إلا بهذه العين فقلت قد مضى الأمر الآن بما لايمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى صاحب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمرلى بمركوب فركبت وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال لم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنىء فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شىء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والتكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا افعل فمازالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى أن قالالى ثلثمائة ألف درهم ولازيادة عندنا على هذا فقلت حتى اشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ قد قلدتك العمل فأصلحت شأنى وقلدنى ماوعدنى فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ماصار ثم قال لولده الفضل يابنى فما تقول فى ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله ياولدى ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ماحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون) قال دخلت يوما إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزي

الله دمشق وأهلها خيرا فمن آنت من آهلها قال وعمن تسأل قلت وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت لى معه قضية فقال ما كنت بالذى اعرفك خبره حتى تعرفنى عن قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاه بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جلة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب وإذا بجماعة يعدون خلفى فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت إلا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندكم فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى (٢٦٢) تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة فنهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لاتخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت إلى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وافرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شىء ولم يفتر عن تفقد أحوالى فاقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وأهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى اتفقد حال غلمانى فلعلى اقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلمانى فلم أرلهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لايعرفنى ولايسألنى ولايعرف اسمى ولايخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت عنى هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهزا له السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما

الذى شرعة له فيه وقد ظاهر النبى ﷺ بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الأحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهىء الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبى ﷺ قال استرقى أو اكتوى فهو برىء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه استرقى أو أكتوى متكلا على الرقية أو الكى وأن البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وإنما يفعله كافر يضيف الحوادث إلى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى أن الله قال لمريم عليها السلام وهزى إليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون وحمل الرطب إلى فمها وأنشدوا فى ذلك :

ألم ترى أن الله قال لمريم ... هزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هز ... جنته ولكن كل شىء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله ﷺ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما ارجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا أن أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لاقائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما على أن الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الأعمى يحمل المقعد ويدور به ويرشده إلى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر وسببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر

رسول

فى وسطى ثم قدم بغلا لحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع إلى نسخة بمافى الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم وقدم إلى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران إلى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره لأنى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم اتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك إلى ما أرى

فقال لى هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت إلى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد واخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى إلى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف إلى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان من فيه الانكال وأدخله حمام داره وألبسه الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشر ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرادوا قتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت إلى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطه ان كان الامر على ما يقول فليكن

رسول الله ﷺ قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيئا وقال أنفق يا بلال لا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه لحسبك توكل يؤدى إلى هذا * وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو ان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج إلى أن يقترض ألف دينار فجاء إلى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك إلى أن أسافر إلى البلد الفلانى فان مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الأجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فأنا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بما لك وشاهد على أن لا اغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال الوجل فأخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الأجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيل بايصال هذا الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة إلى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك إلى أن جاءت مركب فسافر فيها إلى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك فان لما مضى الاجل المقدر بين وبينك بقيت أتردد إلى البحر لاجدك أو اجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم إلى الشط واذا بالخشبة قد استندت إلى ولم أرها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجدها فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الأرض احداهما ذهب والأخرى فضة هذه فيها ماء والأخرى فيها قمح فالتقط

في موضع كذا فان أنا أسلمت في غداة غد أعلته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في إخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه تحنط وجهز له كفناً قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت وقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته إنني أريد أن

أوفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين إما أن يصفح عني فأكون قد وافيت وكافأت وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير لا هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين أنه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتجت إلى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك أن أمير المؤمنين قال كيت قال وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على الشر والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشر بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به وإطلاق إخراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الأسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي

القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فدهل ذو النون وانقطع إلى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكي) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل إلى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الأشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب إلى أن بقي من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق أن الملك أن طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فأخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد أنه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غماً ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا أؤاخذه ببخله وعدم انصافه ولعله يحسن إلى بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها إلى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية لجاء وجلس مكانه فبقي الصائغ يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده عن الدرهمين شيئا فما مضت إلا أيام قلائل وإذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه تحسين الصفة وسرعة العمل فجاء إلى الصائغ وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا إلى أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين في كل يوم يشكره ولا يمده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبيات يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الأبيات نقشا خفيفا يقول:

مصائب الدهر كفي ... ان لم تكفي فعفي
خرجت أطلب رزقي ... وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى ... ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا ... وعالم متخفي

ما مرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحب حديثها وأحبها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت إلى باب الأنبار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال إياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى

جلس إلى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى إلى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيئا يصلني به وأتوصل إلى سوار فانه كان صديقا لأبي فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فإذا هو كان من أصدق الناس إلي فقلت له يا هذا إن الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ماأحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه ذلك وأمرلي بألفي دينار فأحضرت فقال ادفعهما الى الاعمى فنهضت لأقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزل فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ علي الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي

قال وعزم الصانع على انه ظهرت الابيات للمعلم شرح له ماعنده وإن غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله إلى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولماسبق له في القضاة فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انه باصنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت إلى الصانع ومازاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له عن قصته وماجرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تنظف به حتى رضي عن المعلم الأول وصار شريكين وتمكنا على ذلك إلى آخر العمر ورحم من قال :

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا … تدانت له الأشياء من كل جانب

(وقال آخر) ما سالم الله هو السالم … ليس كما يزعم الزاعم
تجري المقادير التي قدرت … وأنف من لا يرتضي راغم

(وقال كعب زهير)

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني … سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها … والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل … لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروي في الإسرائيليات أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصدني به وأنا انظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي ﷺ ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبي اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين ٥ ويروى أن رجلا قال ابزر جمهر

بيده ثم يحتاج إلى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضها وانصرفت فجاءنى الأعمى فدفعت إليه الألفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيئا آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن ذلك ماحكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمه الله تعالى عليه) قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به   والشر أخبث ماأوعيت من زاد

فقلت ياأمير المؤمنين إن لهذا البيت شأنا مع عبيد ابن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال ياامير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت لى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغرفاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لاأهتدى إلى ماأصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الإناء.
فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت إلى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكرالله تعالى فأخذنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر احدا ولم اهتد إلى ماأفعله واخذتنى حيرة وجعلت اضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

ياأيها الشخص المضل مركبه   ماعنده من ذى رشاد يصحبه

تعالى تتناظر فى القدر قال وماتصنع بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد . ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الأندلس سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر إلى الماء فى الأرض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك :

وإذا خشيت من الامور مقدرا   وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت   مطاياه وغرد حاديها
وقال أخاف عادية الليالى   على نفسى وأن ألقى رداها   مشيناها خطا كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطا مشاها   ومن كانت منيته بأرض   فليس يموت فى أرض سواها

ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه إذا كان القضاء حقا فالحرص باطل وإذا كان القدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز وإذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما إنما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب مااتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الإسكندرية غاب عن خدمته أياما ففى بعض الأيام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله إلى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة إذ ذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فما زال الرجل يمشى إلى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا   ط بك العدو ولا تفر   لانك خيرا ان بقيـ   ـت ولا عدانى الدهر شر

دونك هذا البكر منا تركبه ويكرك الميمون حقا تجنبه حتى إذا ما الليل عاب غيبته عند الصباح فى الفلا نسيبه

فنظرت فاذا ببكر قائم عندى وبكرى إلى جانبى فأنختـه وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قدحان نزولى فتحولت إلى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب ومن هموم تضل المدلج الهادى
ألا تخبرنى بالله خالقنا من الذى جاء بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكرى الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيته رمضا . الله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله تكرما منك لم تمنن بانكاد

فالخير أبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت
هذا جزاؤك منى لا أمن به
فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة) حكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين إلى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك القرية فقال الشيخ فلم لم يدلها أبوها ويكرمها ولا يدعها يستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى

ان كنت أعلم أن غـير الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ٥ ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ٥ وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة ٥ وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم قال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أوقال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض هاوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا أدركه الموت قال ارجع إلى المكان الذى ضللها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ وإذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول والله انى لاستغفر وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ورواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال كان فيمن قبلكم رجل قتل

فتقدمت إليه وقلت له ياسيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وانت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له ياسيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت منى عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى روى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها إلا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وهاهو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا إليه وإذا به قائم وقلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكىء على العصا التى كان يتوكأ عليها إذا قام فى الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يااخوانى ليس لى من الأمر شىء سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر ويا أهل وداده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعنا الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت إليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها

تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال له ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى إلى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبى نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمرها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يارسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبى نصرة قال لقيت مولى لأبى بكر رضى الله عنه فقلت من أبى بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله ﷺ ما أصر من استغفره ولو عاد إلى الذنب فى اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته وضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة إلى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعنى الله منه بما شاء ينفعنى وإذا حدثنى من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر انه رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلى ثم يستغفر الله إلا غفر له وروى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله

واصاب

الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديداً قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئا فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ فهل تحفظ منها شيئا قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم اعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى رد علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ماقدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي مكان ذلك الطائر هو الإيمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ماكان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الأيام بعد صلاة الصبح وإذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك إلى هاهنا قالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول إن أحببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الإسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال أغمضى عينيك وأعطينى

وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليفعل ماشاء وكان قتادة رضى الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما دواؤكم فالذنوب وكان على رضى الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هى قال الاستغفار وقال رسول الله ﷺ من قال عشرا حين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك إذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم إنى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك من نفسى ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فأغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فأغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم ياملائكتى إنى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى أن العبد إذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى إلى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فإن استغفرنى فلا تكتبوها وإن لم يستغفرنى فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بنى إسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى إسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الأنبياء مستغيثين إلى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم يمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوناك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أن فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فأجود بأنعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى إسرائيل أن اجتمعوا

يمن نفعلت لشئ قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطىء دجلة فقال امضى إلى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له أن أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك برها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما رحمة الله قلائل حتى مات عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد زوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتأمل) العاقل فى ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطى من يشاء ويمنع فالكل منه وإليه

(موعظة) قيل عشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لى أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين إذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين اه

(وكان الحسن بن صالح) إذا جاءه سائل فإن كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فإن لم يكن عنده من ذلك شىء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فإن لم يكن عنده شىء أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل

(وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين

فاجتمعوا فأعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى إليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى إسرائيل أيديهم إلى الله عزوجل وقالوا إلهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا إلى بابك طالبين فارحمنا ياأرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم إلى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى ولتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه إرادتى بالمدبرين عنى فكيف إرادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيوليني برا وامهالا
لحتى منى أجفوه وهو يبرنى * وأبعد عنه وهو يبدل ايصالا
ومرة قد زغت عن بهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب.

(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العياة وما شبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الأمراض والعلل وما جاء فى ذلك من الأجر والثواب) روى عن عبد الله بن أبيس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال اتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا أن الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال ﷺ مامن مسلم يمرض مرضا إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل أن الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال أيها الناس أن الحمى رائد الموت وسجن الله فى الأرض وقطعة من النار فإذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فوليت عنهم وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت

له

أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الأول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها فذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الاول فقال أنا والله ذلك السائل (وبما وقفت علية). ماحكى أن بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب فقالت اتدري ماهذا فقلت لاقالت هذا جرو ذئب صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ماترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ابن ربيب غذيت بدرها ونشأت معها فمن أنباك ان أباك ذيب

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

له ياعبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا أخذها . وكتب مبارك لاخيه سفيان الثوري يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام . وقيل لعطاء في مرضه ماتشتهي قال ماترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابي في مرضه ماتشتهي قال الجنة فقيل أفلا تدعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذي أمرضني

(الفصل الثاني من هذا الباب ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافيه والمعافاة في الدنيا والآخرة)

قيل تساور أبخر وأصم فقال له الأصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لاأدري غير أنه فساني أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها إلى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار أبو الاسود الدؤلي سليمان ابن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فمر أبو الاسود وهو يقول لايصلح للخلافة من لايقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر في البحر والكلب من بينهما طيب الفم وليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى ان أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عانقته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا أهلكني فولني قفاكا اذا غدوت فاتخذ مسواكا
من عرفط ان لم تجد اراكا لاتقربني بالذي سواكا انى أراك ماضغا خراكا

وفي ديوان المنثور كم من ذي عرج في درج المعالي عرج كم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لاينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشي وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب ، صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما نتفاخر به العرب اماسمعتم قول سهل حيث قال

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ماهذا قيل السلطان يقطع يد سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر ومن ذلك ما حكى ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم احتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر ان تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال ياأمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان واتني بالجواب فامتثل البدوي مارسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال اين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوي ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل قال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان

أيشتمنى زيد بأن كنت ابرصا … وكل كريم لا أبالك ابرص

(وقال). كفى حزنا انى اعاشر معشرا … يخوضون فى بعض الحديث وامسك
وما اك من عى ولا من جهالة … ولكن ما فى للصوب مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر … على فتحه والله للعبد املك

(ومما جاء فى العمى) ما روى عن النبى ﷺ انه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان ابو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان اعور فجعل اعرابى يطيل النظر إليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال اعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له إن عينه اصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن انس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال من قاد رشده وقال على البصير

ائن كان يهدينى الغلام لوجهتى … ويقتادنى فى السير إذ انا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم … ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال) إذا عدمت طلابة العلم مالها … من العلم الا ما تستطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم … ومحبرتى وسمعى وما دفتر قلبى

(وقال) ان يأخذ الله من عينى نورهما … ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل … وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال) عزاءك أيها العين السكوب … وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى … وكانت لى بك الدنيا نصيب
على الدنيا السلام فما لشيخ … ضرير ظنه الامل الكذوب
يموت المرء وهو يعد حيا … ويخلف ظنه الامل الكذوب
إذا ماماتت بعضك فابك بعضا … فان البعض من بعض قريب

(وحكى) أن ربيعة رمدت عينه فأرسل إلى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى وسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت للناس عنى أنى أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدء صاحبه فقتل ثم اتخذ البدوى وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) أن معاوية ابن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبى ذؤيب الهذلى من قصيدة رثى بها اولاده لما ماتوا بالطاعون

وتجلدى للشامتين اريهم … انى لريب الدهر لا اتضعضع

فاجابه الهاشمى على الفور من القصيدة المذكورة بعينها

وإذا المنية انشبت اظفارها … الفيت كل تميمة لا تنفع

(ومما يشاكل ذلك) ماحكاه عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الأدباء الفخام الشيخ عبد الغنى أفندى الرافعى حفظه الله تعالى أنه حكى له عبد الله أفندى ابن قاضى الموصل أن بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة العلية فى أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل فى دار صاحب المشيخة العظمى إذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما فى الفائق بين أسكى دار واسلامبول عينا فمر قائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب ان يداعبه فقال عندما ناداه

فهم اقتحامك لج البحر تركبه … وأنت يكفيك منه مصة الوشل

فأجابه على الفور من القصيدة: أريد بسطة كف أستعين بها … على قضاء حقوق للعلا قبلى

فعند ذلك سأله عن مكانه فأخبر أنه نزيل شيخ الإسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الإسلام سأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره أن يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه أن ذلك عن أمر الملك فقال يكفينى القرية الفلانية فى محل كذا وكذا ان إقطعنيها كفتنى ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة

عينا ربيعة رمداوان فاحتمى ... بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكحتل بك عيناه فلا رمد ... على ربيعة يخشى آخر الأمد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي ﷺ أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام وأكثر مايعترى المتوسطين من الناس لأن الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس يقول لارماك الله بفالج بن عثمان وكان معاوية أبوق وعبدالملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أنضرب مثله بالسوط عشرا ... ضربت بفالج ابن أبي داود

وشجة عبدالحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبدالحميد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا إلى حسنه حتى أن النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبدالعزيز اشج بني امية كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال اصبغ الله اكبر هذا أشج بني أمية يملأ الأرض عدلا وقال أعور لأبي الاسود ماالشيء ونصف الشيء ولا شيء فقال أما شيء فالبصير كأنما وأما لاشيء فالاعمى وأما نصف الشيء فانت ياأعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب) قال رسول الله ﷺ تداووا فان الذي انزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الاوله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله ﷺ عن الدواء والرقى هل يردان شيئا من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبدالله بن عكرمة عجيب لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له الاندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لاأدعو طبيبا لطبه ... ولكنني أدعوك يامنزل القطر

ادبه (ومن هذا القبيل) ماوقع في عصرنا لعوض بيك الاسعد رحمه الله تعالى أنه حين بدا تنفير إبراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا شلي وكل جالسا وكان في سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالات جالسا على دكان بقابله فكتب له أمير الالاى يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو

لي النفوس ومطع اللحوم ... وللوحش العظام وللخيالة السلب

فاجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له أنظر خط من أحسن

ان كنت تعلم يانعمان أن يدي ... قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

(وكتب العلامة زين الدين بن الوردي) ابن قاضي القضاة الكمال البارزي وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حماتي وأخي تباريح البلا
وتركنا ضدين مختلفين
ياحي عالم عصرنا وزماننا
ألك التصرف في دم الاخوين

فأجابه بقوله

أباعمر ازجر عن مثل هذا
فأحمد بالولاية مطمئن
فان بك فيك معرفة وعدل
فاحمد فيه معرفة ووزن

(قال صاحب التالد والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له أني أزن الشعر فأخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني وبينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتي وبحق ذاكم علينا فاعلموا من ود أمرع والحمد لله وقال لله وقال لي أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الأول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان في تاريخه) أنه كان بين الملك العادل نور الدين وبين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

ياذا الذي بقراع السيف هددني ... لاقام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدده ... واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي عجيبة طويلة

غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتى ذى القرنين ابن حمدان الحمدانى وهما

انى لاحسد لاف أسطر الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام للالف

وما أظنهما طال اعتناقهما ... إلا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبه ظريفة وهى انى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام الف لاوقصدت بها ماقاله الشاعر فى البيتين فكتب له امفترقين هكذا وقصد أذيتى بها وأرسلها إلى كأنه يقول لاأملكك من عناق أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأرادت مقلوب ذلك فكتب لامتصلة هكذا وأرسلها إلى فعلمت بذلك رضاه وتعجب من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عميت الأمر على وأتعبتنى قلت

مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبى زيد السروجى أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل

يامن إذا قرأ الإنجيل ظل به ... قلب الحريف عن الإسلام منحرفا

انى رأيتك فى نومى تعانقنى ... كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولى من قصيدة .

ان تنأ عمن يمانى فيك كل عنا ... فسبه صوت دمع للنوى وكفا

يا الحب صيرت لاما قامتى ... أترى يوما تعانق منى أعطافك الالفا

(ومن أرق قول بعضهم فى المعنى)

كمن قامتى لاما وقامة منيتى ... حكت الفا للوصل قلت مسائلا

ذا اجتمعت لامى مع الألف ... حكمتك قوا اما يصير فقال لا

(ذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه اجتمع الإمام أبو بكر محمد بن الإمام داود الظاهرى وأبو العباس بن شريح فى مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح أنت الذى تقول من كثر لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول

أنزه فى روض المحاسن مقلتى ... وأمنع نفسى أن تنال المحرما

وأحمل من ثقل الهوى مالونه ... ينصب على الصخر الاصم تهدما

وينطق طرفى عن مترجم خاطرى ... فلولا اختلاسى رده لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح ولم تفتخر على ولوشئت أنا أيضا لقلت

ومسامر بالغنج من لحظاته ... قد بت امنعه لذيذ سناته

ضنا بحسن حديثه وغنائه ... واكرر اللحظات فى وجناته

حتى إذا ماالصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته

(وعاد الفرزدق مريضا فقال) .

ياطالب الطب من داء تخوفه ... ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية ... لامن يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قال ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى مايريد فألح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فاتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب تدفقت كبده العبادة وإن كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة . وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير كانت فيها الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولاالمداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى ... جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حتى نهكته العلة أما تعالج فقال إذا كان الدواء من السماء بطل الدواء من الأرض وإذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومرقوه بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات مطيبات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا بساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقال هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الأمر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة فتطلع لهوائها وقالوا من قدم إلى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرى. فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الاخرة تبرئهم عن النار وقيل ان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتاده بالتخليط آفتها

فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل أنه ولى بخاتم ربه فقام أبو العباس بن شريح يلزمنى من ذلك ما يلزمك فى قولك أزه فى روض المحاسن مقلتى ✽ وامنع نفسى أن تنال المحرما فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه (وذكر أبو بكر الخطيب) أنه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطلق كان بها سوق الطير يزعمون أنه من عسر عليه أمر اطلق طيرا فتيسر أمره فمر عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق ✽ لجزل سوابق دمعى المهراق   كانت تغرد بالاراك وربما ✽ كانت تغرد فى فروع الساق

فرمى الفراق فأصبحت   بعد الاراك تنوح فى الأسواق ✽

فجعت بافراخ فأسبل دمعها ✽ ان الدموع تبوح بالاشواق

تمس الفراق وبت حبل متينه ✽ وسقاه من سم الأساود ساقى

ماذا أراد بقصده قرية ✽ لم تدر ما بغداد فى الآفاق

بى مثل ما بك يا حمامة فاسألى ✽ من فك أسرك أن يحل وثاقى

قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع إلى بلاده (وحكى عن خالد الكاتب) أنه قال جاءنى يوما رسول إبراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلى وقال أنشدنى من أجود شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت ✽ من الشمس والبدر المنير على الأرض

عشية حيانى بورد كأنه ✽ خدود وأضيفت بعضهن إلى بعض

ونازعنى كاسا كأن حبابها ✽ دموعى لما صدعن مقلتى غمض

وراح فكل الراح فى حركاته ✽ كفعل نسيم الريح فى الغصن

فزحف حتى صار فى الفراش قال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته

عاتبت نفسى فى هواك فلم أجدها تقبل ✽ وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل ✽ لا والذى جعل الوجوه ✽ بحسن وجهك تمثل   لاقلت ان الصبر عنك من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون درهما فقال له قسمها بينى وبين خالد فدفع لى نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض اللطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه فى المكان منفرد ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضرباه عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف

الحمية لأن الحكماء تقول عود واكل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنو شروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله

فكم من أكلة أكلت نفس حر ✽ وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيئا وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنى المرى يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكين دخل الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الأيام ادخال مطعم ✽ على مطعم من قبل هضم المطاعم

وكل طعام يعجز السن مضغه ✽ فلا تقربنه فهو شر لطاعم

ووفر على الجسم الدما فانها ✽ لقوة جسم المرء خير الدعائم

واياك أن تنكح طواعن سنهم ✽ فان لها سما كسم الاراقم

وفى كل أسبوع عليك بقيئة ✽ تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر إلى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله ﷺ فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان ﷺ يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد

والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة فى مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء   سوداء وصفراء كلما غنين لى * لعبت بى السوداء والصفراء

(ويحكى) أن شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله

إذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو ياروض الأمانى   تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فأجابه شيخى أفندى بقوله)   إذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لأبناء الزمان

أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان   (ويحكى) عن شرف الدين بن الشربجى أنه اجتمع هو. وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق أن قام شرف الدين إلى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة ان يصفع شهاب الدين فلما صفعه امسك التعلفرى بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو إن كان يرتضى تشريفى

فارث للعبد من مصيف طباع * ياربيع الندى والا خريفى

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قدنظمت بيتين لايمكن أن يعمل لهما ثالث لأنى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ماهما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فماشفانى منه والتقبيل   النهرا

مازارنى قط إلا كى يوافقنى * الرقاد فينفيه ويرتحل   فقال الوزير للحيص بيص وما درى أن نومى حيلة نصبت نظامها فى جاريه حسناء كاملة المعانى والاوصاف وزعم أنه لاثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلى فى دجى الليل حائر   وماست فشق الغصن غيظا ثيابه

ألست ترى أوراقه تتناثر   فاطرق الوزير يسيرا وقال   وفاحت فألقى العود فى النار نفسه

نقلت عنه الحديث المجامر   وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك مازالت تغار الضرائر

على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الأدوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لايسمع صاحبه ولا يبصر نسال الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الإنسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المامون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم ياأمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فانت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فأنت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فانت السموءل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبامحمد إنما فضل الإنسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء قال طبيب الهند إن منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينه أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال ماهى قارورتك لأنه ماء ميت حى تكلنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال اين القدمان من الراس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزول ما بك فخاف أن يكون مسمومة فوضعها على رأس الفاصد فلم يصبه شىء ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة الله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لايصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت

وكان فى المجلس النواحى الشاعر فانشدارتجالا   وغنت فظل الجنك يطرق نفسه   وجادت لها بالروح منها المزامر
ومن لحظها اعدى لى غمده احتمى   وظبى الفلا فى لمتة وهو نافر   ومن وجنتيها الورد راح بخجلة
السعى تراه أحمر أو هو فاتر   ومن ريقها الصهبا شكت نارشوقها   فأطفاها بالماء ساق مسامر

(ذكر ابن شاكر الكتبى) فى تاريخه فى ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمسانى أن جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا إلى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده   أرسلتما رسولا   فى رسالته   حلو المراشف والاعطاف والهيف   وقد تمادى يسيرا ذاك انكما أوقدتما النار فى احشاء ذى ذنف   فلما حضر والده شمس الدين   وأخبره بالقضية كتب إلى ولده
مولاى كيف انثنى عنك الرسول ولم   تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة   فكيف زدت بلا ثقب إلى الصدف

ومما نقلته من التاريخ المذكور ان علية بنت المهدى العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء واعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها فى خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها فى طل صحفت اسمه
أيا سروة البستان طال تشوقى   فهل لى إلى ظل لديك سبيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه   وليس لمن يهوى اليه وصول
فبلغ الرشيد ذلك فحلفها أن لاتذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت إذا طهرت لازمت المحراب وإن لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد إلى الرى أخذها معه فلما وصل إلى المرج نظمت قولها   بالمرج ومغتر يبكى لشجوه   وقد غاب عنه المسعدون على الحب

النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فإنه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه اخبرنا بجوامع الطب فقال لاتنكح الافتانا ولا تأكل من اللحم الافتيا وإذ تغذيت فنم وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخل بطنك طعاما حتى تستمرى مافيه ولا تأوى إلى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى إقبالها وذرها فى أدبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده أنه إذا لازمها لايعرض إلا مرض الموت فقال إياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع وإذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع لقيئة ولا تأكل الفاكهة إلا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم وإذا تغديت فنم وإذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم ليلا على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء أن احتجت إلى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم
شره النفوس على الجسوم بلية   فتعوذوا من كل نفس شره
مامن فتى شرهت له نفس وان   نال الغنى إلا رأى ما يكره
وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد
أرقت دما لو تسكب المزن مثله   لاصبح وجه الأرض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه   لكان من الاسقام للناس شافيا
الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله ﷺ ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر
يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد داتيا

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه   تنشق يسنسق برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد أشتاقت إلى العراق وأهلها فأمن بردها ومن شعرها

الى كثرت عليه فى زيارته   فمل والشى مملول إذا كثرا   ورابنى منه أنى لا أزال أرى   فى طرفه قصرا عنى إذا نظرا

انتهى (لطيفة يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فأيكم كان أبدع فهى له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى   بمنطقها فى العالمين حييت وقال كثير   وسعى إلى يعيب عزة نسوة

جعل الاله خدودهن نعالها   (٢٧٨)   وقال عمر بن ربيعة   فليت الثريا فى المنام ضجيعتى

لدى الجنة الخضراء أو فى جهنم

فقال له عبد الملك خذها ياصاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبدالله الاموية تزوجها سهل ابن عبدالرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت   وسهيل إذا استقبل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا (حكى) أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت اخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث إلا والثريا قد القت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اغربى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لاتمسك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال أنه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى • روى أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا أن أجابت عنه عطيتك ماتقول وزدتك ألتفت اليها وقال ماذا تقولين فيمن شفه أرق من أجل حبك حتى صار حيرانا فقالت بابها

إذا رأينا محبا قد أضربه   أمر الصبابة أوليناه إحسانا   فاعجبه جوابها واشتراها

(ومن اللطائف) ماحكى عن الشيخ يحيي المسالخى أنه لما قدم دمشق الشام وقرأ فى الجامع الأموى

وقيل إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه إلى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم رعواله وانصرفوا • قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة • ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كلما   شكوت إلى اليوم من ألم الورد
فكل امرىء منهم بقدر احتماله   وأن عجزوا عنه تحملته وحدى
(وقال آخر) بى السوء والمكروه لابك كلما   أرادك كانا بى وكان لك الأجر

(وقال عبد الله بن مصعب)

مالى مرضت فلم يعدنى عائد   منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب • وعاد مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى   بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم أرافد الليل مسرورا عدمت إذا   عيشى وأحمد يرعى ليله وصبا
الله يعلم أنى قد نذرت له   صيام شهر إذا ما أحمد ركبا
(وقال آخر) إذا مرضتم أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة   الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل إن حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الأول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت   فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها   مارق للولد الصغير الوالد

(وعلى الثانى قول بعضهم)

حق العيادة يوم بعد يومين   وجلسه مثل خلس اللحظ بالعين
لاتبرمن عليلا فى مساءلة   يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأجور • وهذا ماانتهى إلينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الأموي نظر إلى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر أبيه وكان ممن يتردد إلى الشيخ فاجتمع معه وقال لم لاتحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فأجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيي رقعة وقال ادفعها إلى شيخك فلما حضر قال له وابطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع الرقعة فاذا فيها

يا جاعلا علم الحساب وسيلة • تصطاد فيه فاتن الالباب
كنت في علم الحساب رزقته فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهره الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها لهوت به ظبيا غريرا مفوفا • ومذ صار نيسا بعته للساحلي (ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل إلى الطهارة ثم عاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرىء من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذي بيده الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتي أولى به يا أمير العرب وأطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد بجوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجراك على ذلك قال ثقتي أن لا يظهر

منك الا الكمال فدفع له ألف دينار (ذكر ابن خلكان) في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم جمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى

أيا قمرا جمشته فتغضبا • وأصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها • فكن أبدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة • وتجعل منها فوق خدك عقربا
فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا • وتترك قاضي المسلمين معذبا

(قال صاحب التالد والطريف)

أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه
جاء الربيع وحسن ورده • ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب • ووجنتيه وحسن خده
قال ابن السمعاني قال لي المظفر قال شعيب بن الحسين القاضي وأنشدني الشيخ

(الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به القبر وأحواله)

(روي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ إذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح الآخرة وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية علي رضي الله عنه لأبي ذر زور القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ويقال جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبة أحسن من جزعك • ونظر فيلسوف إلى ميت يحمل قبره فقال حبيب تحمله أهله إلى حبس الابد ودخل عمرو بن العاص رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها فقال له أعائدا أنت ام شامت فقال له عمرو ولم تقول هذا والله ما كافتني رهقا ولا أصدعتني زاقا ولا جرعتني علقا فلم استطال حياتك ولم استبطىء. فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا • وهل في الموت بين الناس عار

لما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودون فقال لأهله مهدوا فرشا واسندوني وأوسعوا رأسي دهنا ثم أكحلوا عيني بالاثمد ثم تدنوا الناس يدخلوا ويسلموا علي قياما ولا تجلسوا عندي أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده يقول

وتجلدي للشامتين أريهم • اني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها • ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجي من الموت والذي • نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى • وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبي ذلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر أن قلبي يحدثني أن بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم

أبوا اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عضد القاضي عين الدولة حاكم صورة بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذاك الشأن بريد الشراب فقد أفتانا به الامام ابو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لى كيف تردهما من أفواه الناس فقلت يا سيد هيهات قد سار بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار فى تاريخه واسمه محمد ويلقب بمحب الدين اه (لطيفه) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما للتنزه فقالوا له يا سيدي أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له يا سيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت

خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين (قصد) ابن هبيرة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمع له بشيء فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود ابن زيد بن حاتم فترضاه واحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وانت مذمم ... عجبا لذاك وانما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش انت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مسلح وسجود

(وله هجاء فى خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله ... وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا ... وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من اهل بيت رسول الله ﷺ وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا افافعل فقال لخادمه خذ بيدي واجلسني ثم اقبل معتذرا اليهم ودعا بدواه وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني الف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا الف دينار ثم قال لخادمه يا بشر إذا انا مت فادرج هذه الرقاع فى كفني فاذا لقيت محمدا ﷺ فى القيامة كانت حجة لى انى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم الف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الألف دينار شيئا حتى يصل إلى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه لا ينفق وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم امان لعمر بن عبد العزيز من النار) وقيل لاعرابي انك تموت قال والى اين اذهب قالوا الى الى الله تعالى فقال لا اكره ان اذهب الى لا ارى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا ادري الى اين اهبط والى اي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفي الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرازي من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل إذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح ... مادمت ويحك يا مغرور فى مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كنت ... له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاص

(ولما قتل) جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت تهجوه فقال ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله إني قلت

ولست وإن أطنبت فى وصف جعفر ... بأول إنسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن فى هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامه فازددت حيرة فما رأيت أسلم من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه ... فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

دعا بغل وقيد وقال ألبسونى إياهما فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم إنك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وإن تعاقب فيما قدمت يداى لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود . وسمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتنا فى زيارة القبول فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى الساعة . وقيل إذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

إذا ما حمام المرء كان ببلدة   دعته إليها حاجة فيطير

(حكى) أن شابا تقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه إذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبى الله انى خفت من هذا الرجل فمر الريح ان تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أنى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت إلى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبى فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح إلى بلد   والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند نطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميتها الاطباء النهشة الاخيرة والله أعلم . وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بلغت به ما أحببت أحدا إلا مات فقال يا أمير المؤمنين أحببنى فقال ويحك ان الحب ليس هو شىء يصنع انما هو شىء يقع فى القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فحم من وقته ومات وفى الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره فى حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضى فى الزمن الأول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضى الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على اكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك الآن وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغنى أن قبره تحت المنارة التى وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى ما يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقى قال أخبرنى رجل من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فى جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب واهتز له العرش فقام رسول الله ﷺ

إذا لبس العمامة قلت قرد   وخنزير إذا نزع العمامة لضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه وكان لاعرابى امرأتان فولدت إحداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى
أنقذنى اليوم من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى
لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية
تغسل رأسى وتكون وترقع الساقط عن خمارية
حتى اذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية
أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان امها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا فى عرض كم

يجر ثوبه مبادرا إلى سعيد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضى الله عنه مامن يوم إلا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصيا أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لى فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجاء بن حيوة يارجاء إذا وضعت فى لحدى فاكشف الثواب عن وجهى فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشف عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار إلى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يارجاء انى أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا انى اشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن اسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أغمى عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله ﷺ وهذا أخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون على يبشرونى بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصفاؤها من الحور العين وهذه منازلى لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد إذا أنامت إياك ان تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعنى فى حفرتى وخلنى وشأنى وعليك شأنك وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابنى يزيد ابن معاوية فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا إلا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أنكما لو قلتما غير هذا لضربت الذى فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحت سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لايبالى اصغير أخذ أم كبيرا لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقوله الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ... ومستخبرات والعيون سواكن

وقال محمد بن هرون وكأنى باخوانى على جنب حفرتى ... يهيلون فوقى والعيون دما تجرى

فيا أيها المذرى على دموعه ... ستعرض على يومين عنى وعن ذكرى

عفا الله عنى انزل القبر ثاويا ... ازار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات كل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لإتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون وقال ﷺ مامن مسلم يصاب بمصيبة والاقل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له

قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة) فبينما هو يوما يمشى مع ابيه إذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة فقال حمزة بن الاعرابى كلنا حامين الله فأى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يامن أحماه الله به ذكر أبيه

(ويعجبنى قول الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده ... وغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا ... كأنى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه ... فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقول الآخر)

بدت ثريا قرطها وشعرها ... متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى ... من الثريا فانتهى إلى الثرى

(وقول ابن نباته)

ويمم جنى رشأ يعيش قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد ... مست لواحظه فدب عليه

(وقوله أيضا مضمنا)

وضعت سلاح الصبر عنه فالله ... يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خده سائل ... على حده فليتق الله سائله

(ولبعضهم فى دم العذار) غدا لما التحى ليلا بهيما ... مثله

مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم اصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطي القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن ٥ وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ انه قال من مات له ثلاثة من الولد يلج النار الاتحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم إلا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال من مصيبة فقال كما أمر الله إنا لله وإنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها الافعل الله بك ذلك وروي أنه لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول ألم تنه عن البكاء قال إنما نهيت عن الغناء والصوتين الأحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لايرحم لايرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون ولانقول إلا مايرضى الله ربنا انا لله وإنا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لاإله إلا أنا ومحمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي ويصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك إن المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لأن إحداهما المصيبة بعينها والثانيه ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي ﷺ لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لاتبكي يابنتاه قولي إذا مت انا لله وإنا إليه راجعون فإن لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله ﷺ من أصابته مصيبة فيذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلانصبر على الضراء مثلها فلم يلبث إلايسيراً أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه ٥ وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية ياعبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة وما قيل اصبر لحكم من لاتجد معولا إلا عليه ولا مفزعا إلا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يابني سدوس كلاكما ... بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكرا إذا ما أحدث الله نعمة ... وصبر لأمر الله فيما ابتلاكما

(وقال) أياصاحبي ان رمت أن تكسب العلا ... وترقى إلا العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة ... فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلوته ... فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبيرة قال قامت عائشة بعدما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا باد بارك عنها وللاخرة معزا بإقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فأقول إنا لله وإنا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار

مازال ينتصف ريحانا بعارضه
حتى استطال عليه صار بحاقة
كأنما طورسينا فوق عارضه
طول الزمان فموسى لايفارقه

(برهان الدين القيراطي)
شبه السيف والسنان بعيني
من لقتلي بين الأنام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا

(ابن الصائغ)
لمثلي من لواحظها سهام
لها في القلب فتك أي فتك
إذا رامت تشك به فؤادا
يموت المستهام بغير شك

(الصلاح الصفدي)
ياعاذلا لي على عين عجيبة
خف سحر ناظرها
فالسحر فيه خفي وخذ
فؤادي يودعه نصب مقلتها
لاترم نفسك بين السهم والهدف

(آخر)
أنفقت كنز مدامعي في ثغره
وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة
فقضى وراح تغزلي في البارد

(عز الدين الموصلي)

لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياته ولا رازئة على القضاء فيك (ولما) مات ذر الهمدنى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجاءة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ماظلمناه ولاقهرناه ولاذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله مابكيت عليك وإنما بكيت لك فوالله لقد كنت بى باراً ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى إليك من وحشة ورمابى إلى أحد غير الله من فاقة وماذهبت لنا بعزة ومأبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت إليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ماجعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك إساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير أراد الانصراف قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك مانفعناك ه وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون إلهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى اشهدكم ياملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له انضحك عند القبر قال أردت أن ارغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود له أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما إذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضينا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين .

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله ابن مسعود عن النبى ﷺ قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل إلى رسول الله ﷺ قال من عزى ثكلى كسى برداء فى الجنة روينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة (أعلم) أن التعزية هى التصبير وذكر مايسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن مايستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ه واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل انها لاتفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر

شققت لها الشمس ثوبا
من محاسنها
فالوجه للشمس والعينان
للريم
(آخر)
بصاوها كوكبا دركانهما
ركنان لم يدنسا من لمس
مستلم
صانتهما بستور من
غلائلها
فالناس فى الحل والركنان
فى الحرم
(الصلاح الصفدى)
تقول له الاغصان مذهز
عطفه
أتزعم أن اللين عندك
ماقوى
فقم نحتكم للروض عند
نسيمه
ليقضى على من مال منا
إلى الهوى
(وكأنه ينظر إلى قول
السراج)
ومهفهف غنى يميل ولم
يمل
يوما إلى فصحت من ألم
الجوى
لم لاتميل إلى ياغصن
النقى
فأجاب كيف وأنت من
جهة الهوى
(أراد ملك الروم) أن
يباهى أهل الإسلام
نبعث إلى معاوية رجلين
أحدهما طويل والثانى
قصير شديد القوة فدعا
للطويل بقيس بن سعد
ابن عبادة فنزع قيس
سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت

بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا ، روى ان النبي ﷺ فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبي ﷺ فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه اليك فقال يارسول الله سبقة لى باب الجنة أحب إلى من التمتع به دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقي باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله أن الشافعى قد بلغه أن عبدالرحمن بن مهدى مات له ابن لجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول ياأخي عز نفسك بما تعز به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب إلى رسول الله ﷺ من محمد رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فأنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير إن صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان إذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله ﷺ تهن عليك مصيبتك وعزى الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

أنا نعزيك لا أنا على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

وكتب بعضهم إلى له يعزيه أنت ياأخي اعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا اخذت ولم تسر الا احزنت وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضي الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون ، وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز امير المؤمنين فانه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم ... ولكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم إلى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات ... ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه ... قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم إلى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن نوائب الدهر تدفع إلا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن إذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر فصبر صبرا ففحول الرجال لاتستفزها الأيام بخطوبها كما أن متون الجبال لاتهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن اخاطب مولاى معزيا واكاتبه مسليا عن كبير او صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصميم الأكرم والذخر الاعظم والركن الأشد السهم الاسد والشهاب الأسطع والحسام الاقطع لكن

تدبيه فلاموا قيسا على نوع السراويل فقال أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه
سراويل عاد احرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيدى
وما الناس إلا سيد ومسود
ثم دعا معاوية الرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكي الجاحظ) ما اخجلنى قط الا امرأة مرت بى إلى صائغ فقالت له أعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن اعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك إلى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول بعضهم
لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان الادون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه ... هو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت لمثاله ... ورآه كان له كاعظم واعظ
(قيل) أنه قدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدرامى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني

قل للمليحة فى الخمار الأسود ... ماذا فعلت بزاهد متعبد

التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو القدر وأجل الله إذا جاء لايؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الأشرف والاوضع لأجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لايعلم والسابق لايتقدم فبمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الأجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم اجره وجعل الجنة نصيبه • وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يابنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف • ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه أعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له • وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجاركم ورحمه وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لاتجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى ﷺ والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شىء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لايطفئها إلا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر إلى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول مايسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم إنه لم يبك بعدها • وكتب الاسكندر إلى أمه قبل وفاته بقليل إذا وصل إليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدى وأعدى لهم طعاما ووكلى بالأبواب من يمنع عن إصابته مصيبة فى أم أو أب او أخ او أخت او ولد ففعلت فلم يدخل إليها أحدا فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه • ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لاتحزنى على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الأجر ومن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحرث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه إلى ولد كل شاة وناقة فذبحه والقاها بين أيديها وقال لها أبكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه • وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد للحزن والتهنئة بعد سنة تجديد للفرح (وما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف) قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر إلهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح فى الأيام نعرفه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لا بد من فقد ومن فاقد ... هيهات ما فى الناس من خالد
(وقال آخر) تبصر فلو ان البكا رد هالكا ... على أحد فأكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم إلى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا ... لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع ... ثوابت لا يقضى لهن أفول

قد كان شمر للعبادة ذيله ... حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق فى المدينة مليحة إلا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمى إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكننى حببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى وقال عبد الله الماجشون وهو من فقهاء المدينة وقال لى المهدى يوما ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على احبابه جزعا ... قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركنى ... حتى يجرعنى من بعدهم جزعا

ان الزمان رأى ألف السرور لنا ... فدب بالبين فيما بيننا يسعى

يغاث بها في ظلمة الليل حائر ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبدالملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخر حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا واندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا أنها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لأنه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الأول بأبيات منها

ألا يانفس لا تنسيه حتى أفارق عيشتي وأزور رمسي ولولا كثرة الباكين حولي
على أمواتهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الأسى ماعشت في الناس ساعة ولكن إذا ناديت جاوبني مثلي
(وقال آخر) وهون وجدي عن خليلي أنني إذاشئت لاقيت الذي أنا صاحبه
(وقال آخر) يؤديني إلى الصبر والعزا تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله ﷺ رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة * منها ماروى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس إليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا ضاقت علي بعرضهن الدور فارتاع قلبي عند ذاك لموته
والعظم مني ماحييت كسير أعتيق ويحك أن خلك قد ثوى والصبر عندك ما بقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في لحد عليك صخور
فلتحدثن بدائع من بعده تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هناك نبينا كان يغدو به النبات زكيا خلقا عاليا ودينا كريما
وصراطا يهدى الانام سويا وسراطا يجلو الظلام منير ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عازما حليما كريما عائدا بالنوال براتقيا أن يوما أتى عليك ليوم
كورت شمسه وكان خليا فعليك السلام منا جميعا دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه ﷺ أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول وأسعدني البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحي إليه وما يقول ويهدينا فلا نخشى ملاما
علينا والرسول لنا دليل أفاطم أن جزعت فذاك عذر وأن لم تجزعي فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا إلى ديرهرقل فنظرنا إلى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال لمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم إلا مارجعتم حتى أنشدكم فإن أنا أحسنت فقولوا أحسنت وأن أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا إليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم
وحملوها وصارت بالدمى الابل * وقلبت بخلال السجف ناظرها
ترنو إلي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم
ناديت لا حملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس عرج كي أودعهم
ياحادي العيس في ترحالك الاجل
إني على العهد لم أنقض مودتهم
ياليت شعري لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فإذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدي من الري إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

إني نذرت لئن رأيتك قادما

أرض العراق وأنت ذو وفر لتصلين على النبي محمد ولتملأن دراهما حجرا

ولما مات) أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم فعليك يا دنيا السلام

لا تذكرين العيش لى • فالعيش بعدهم حرام • انى رضيع وصالهم • والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالى أراكما تبدلتما عزا بذل مؤبد وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

(وقال آخر) ولا أرتجى فى الموت بعدك طائلا ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

(وفى المعنى لبعضهم)

لقد آمنت نفسى المصائب بعده فأصبحت منها آمنا أن أروعا
فما تحتق الدهر بعدك نكبة ولا أرتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يلق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الأرض ميتا وكان به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض فحسبك منى ما تكن الجوانح
وما أنا فى رزء وان جل جازع ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر) إلى الله أشكو لا إلى الناس انني أرى الأرض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ماعلى الدهر معتب

(وقال العباس بن الاحنف)

إذا مادعوت الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن مابقى الدهر

(وقال آخر يرثى صديقه)

خليلى ماازداد الا صبابة • إليك وما تزداد إلا تنائيا • خليلى لو نفس فدت نفس ميت
فديتك مسرورا بنفسى ومااليا • وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت • لحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتى يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

(وقال آخر يرثى بعض أولاده)

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا • فلما تقضى شطره عاد فى شطرى • ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى
سبقتك إذا كنا إلى غاية تجرى • وقد كنت ذاناب وظفر على العدا فأصبحت لايخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أخبرينى بأفضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله

(وتزوج) مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهنه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فإن كان فرح دعونى وإن كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك إذا أتاه خبر ولده أنه طلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب

ولأبى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك أمامه ... يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها ... من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك)

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها ... فردها عذ ماعزت إلى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا ... ابى وأمى وجهك المقبور

وأرى ديارك بعد وجهك قفرة . والقبر منك مشيد معمور . فالناس كلهم لفقدك واجد فى كل بيت رنة وزفير * عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

ليس الرجال جديدهم فى ولبست حزن أبى الحسين جديد أيسرنى عيد ولم أر وجهه
فيه الا بعدا لذلك عيدا فارقته وبقيت أخلد بعده لاكان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت فزعا لفقد حبيبه فهو الخؤن مودة وعهودا مت مع حبيبك ان قدرت ولا تمش
من بعده ذا لوعة مكمودا مالم خشف قد ملا أحشاءها حذرا عليها وحفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله فيبيت مكارا بها مرصودا منى بأوجع إذا رأيت نوائحا
لابى الحسين وقد لطمن خدودا ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها وعلى فراقك لم أجد تجليدا ولئن بقيت وما هلكت فان لى
أجلا وان لم أحصه معدودا لاموت لى الا إذا الاجل انقضى فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى يوما على هذا وذاك مزيدا ماهد ركنى بالسنين وإنما
أصبحت بعدك بالاسى مهدودا ياليت انى لم أكن لك والدا وكذاك انك لم تكن مولودا
فقلت شقيت وربما شق الفتى بفراق من يهوى وكان سعيدا من ذم جفنا باخلا بدموعه
فعليك جفنى لم يزل محمودا فلا نظمن مراثيا مشهورة تنسى الأيام كثيرا وابيدا

وجميع من نظم القريض مفارق ... ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به ... لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته ... باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب لذى الالباب اذ فقد الشهاب أمام قد حوى من كل علم
كنوزا نحوها يسعى الركاب ليبكى كل ذى علم عليه فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته ثناها وهى عاصية صعاب فسلطان البلاغ بغير شك
شهاب الدين مافيه ارتياب سقى الله الكريم ثراه صوابا له من كل رضوان وضاب

(وقال الصدفى) ياغائبا فى الثرى تبلى محاسنه ... الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة ... فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير لحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم ان فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ماحكى عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خباط بازاء منزلى فرأيت انسانا اعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلى لاضيفه وليس معى دراهم بل كان عندى زوج أخفاف عليه فأرسلتهما مع جارية لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها مافته لها من الخبز واللحم لجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لى كتابا بارزا لهذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك

(وقال محمد بن عبد الله العقبي يرثي ابنا له)

أضحت بخدي للدموع رسوم   أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها   إلا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف إلى عمر بن سعيد يرثي بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها   وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا   فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثي الامير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل   فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي إلا لمن بات واثقا   بأيام دهر ما وعى حق بليغا

(وقال آخر) إلى الله أشكو أن كل قبيلة   من الناس قد فنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقا له توفي وكان من الكرماء)

ما درى نعشه ولا حاملوه   ما على النعش من عفاف وجود

(ولبعض الكتاب في ابن مقلة) استقر الكتاب فقد سالفا   وقضت بضعة ذلك الايام
فلذاك سودت لدواة كابة   أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما إلى معن وقولا لقبره   سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا   فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا   ويا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت   ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا   فتى عاش في معرفه بعد موته
أناس لهم بالبر قد كان أوسعا   ولما مضى معن مضى الجود كله   وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(قال آخر) عجبت لصبري بعده وهو ميت   وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة   ولكن دعاني اليأس منك إلى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي   على رزئهن الباكيات الحواسر   غدوا كسيوف الهند وزادحومة
من الموت أعيا وردهن المصادر   فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا   بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا   لهفت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه إلى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع إلى عميه إدريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله تعالى ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه   ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال الربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فألا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيئا الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع

قليل

وثلاثة آلاف درهم فتجمل بها لقدومك علينا فأدخلته إلى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيئا يشتري به هدية لأهله وتوجهنا إلى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي اقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها فقال تدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر   يمضي فيخترق الاجسام والهاما
لاينثني عما يهم به كالدهر   قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الأرض وسلمت

قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل إلا قليلا ثم ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وإن الآخرة لهى الحيواة لو كانوا يعلمون فلا ينبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض وكانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من أنس وجن ويسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا اعطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله ﷺ ألا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى إلى واد من أودية فاذا مزبلة رؤس الناس وعذارت وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذارت ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما رحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كان فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبك فقال ﷺ هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك لما أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقد ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوم من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربعة خصال ركون إلى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى ﷺ أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض أنه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل إن الدنيا مثل ظل الإنسان ان طلبته فر وإن تركته تبعك وفيه قال بعضهم

إنما الرزق الذى تطلبه ... يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا ... وهو وإن وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ... لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضهم ... لبعض وأشكال بغير وفاق

فرد على السلام فأنشدته مالا فيه من شعر فأمر لى بمائتى الف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وإنى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال إذا وصلت إلى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب أربعا وفى اليسرة ثلاثة فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام إلا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا إلى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير

تجيء وتمضي بابة بعد بابة … وتفنى جميعا والمحرك باقي

(وما أحسن ما قال سليمان ابن الضحاك)

ما أنعم الله على عبد … بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفي جسمه … فانه في عيشة راضية
والمال حلو حسن جيد … على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها … مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياوافقين ألم تكونوا تعلموا … ان الحمام بكم علينا قابل
لو تنزلون بشعبنا لعرفتموا … أن المفرط في التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم … تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا في حفرة … حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصير قوم يراب … تقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما … وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا … فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يانفس مما ترينه … فكل امور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن اسد)

يامن تملك ملكا لا بقاء له … حملت نفسك آثاما واوزارا
هل الحياه بذى الدنيا وان عذبت … الا كطيف خيال في الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذى الدار لذة ساعة … ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى … ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت … ولم تخف سوء مايأتى به القدر
وسألتك الليالى فاغتررت بها … وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن … بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

أين آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين إدريس رفيع رب العالمين أين إبراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين واما السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في موطن الحرب والمواقف أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حرايروقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبه وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا الا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاوليا وهجرهم الاخوان والاصفياء

من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابه واليحمور دابه وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (من اللطائف) ماحكاه أبو الفرج في كتاب النساب وابن الكردبوس في الاكتفاء قال كانت عند أبي العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومي وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت في قلبه موقعا عظيما فحلف لها أن لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له ياأمير المؤمنين فكرت في أمرك وسعة ملكك وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري واستظراف

والأصفياء ونسبهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا الانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس ... واهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهموا حبيبا ... ولا كانوا الأحبة في السواد
فعرجوا بالسلام فان أبيتم ... فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لاتفخر يزول ولا غنى فيما لايبقى وهل الدنيا إلا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلي وكنيف يملي وفي هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف ... أموالهم ونوالهم عندي

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظني وكان بيده شربة ماء فقال له ياأمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال ياأمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لاخير في ملك لايساوي شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام وإذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروي أن أبا العتاهية مر بدكان وراق وإذا بكتاب فيه

لاترجع الأنفس عن غيها ... مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبي نواس قال للخليفة هرون الرشيد حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت انه لي بنصف شعري (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد في ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن ادهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت إلى هذا فقال أن أبي من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسي وكلبي معي اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسي نحوه فسمعت نداء من ورائي ياابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أعلى من الاول ياإبراهيم مالهذا خلقت ولابهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت النداء من قربوس سرجي ياابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربي ماعصمني بعد يومي هذا فتوجهت إلى أهلي وخليت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته أو كساءه والقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت إلى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما انا قاعد على باب البحر إذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت في البستان اياما كثيرة فاذا خادم له قد اقبل ومعه اصحاب ولو علمت أن البستان لخادم مانظرته فقعد في مجلسه ثم قال ياناظورنا فأجبته قال اذهب فأتنا باكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال ياناظورنا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل من فاكهتنا ورماننا ولاتعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا ولا اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الاتعجبون من هذا ثم قال لي لوكنت إبراهيم بن ادهم ماكنت بهذه الصفة قال ثم تحدث

الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن واجناس التمتع على تشتهي منهن فمنهن ياأمير المؤمنين الطويلة الغيداء والمتيقة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتي يفتن بحلاوتهن ولورأيت ياأمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الألسن العذبة والقدودة المهفهفة والاوساط المختصرة والثدي النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين انت ياأمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ماعندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له ابو العباس ويحك والله ماسلك مسامعي قط كلام احسن مما سمعته منك فأعده علي فأعاده عليه وردفيه ثم انصرف خالد وبقي العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه ام سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ماأراده فقالت له مالي اراك مغموما ياامير المؤمنين فهل حدث أمر

الناس بذلك وجاءوا إلى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكل يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما إذا مر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال له إن صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى أن داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح الجبال إذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت إلى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى * وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبإذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعى عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم إنى ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

تسير إلى الآجال فى كل ساعة ... فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه ... إذا ماتخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا ... فكيف والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عن الله بن المعم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى وإياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا المكان سهلا ثم انس إلى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما مالى ان يحشولى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت إلى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال افق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشا يقول

يا خل انك ان توسد لينا ... وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ... فلتندمن غدا إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا إلى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول :

تكرمه أو أتاك أما ارتمت له قال لم يكن شىء من ذلك قالت فاقصصتك فجعل يكتم عنها فما تزل به حتى أخبرها فقال الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت إلى منزلى مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين إلى كلامى واعجابه به بما ألقيت اليه وأما لا أشك فى الصلة فلم ألبث أن جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوى ايقنت بالجائزة فوقفوا على وسألوا عنى فعرفتهم نفسى فأهوى إلى أحدهم بعمود كان فى يده فبادرت إلى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلى وطلبنى أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا على فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت الموت وقلت لم أر دم شيخ أضيع من دمى وركبت فلم أصل إلى الدار حتى استقبلنى عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ إلى الجلوس

من كان يعلم أن الموت يدركه   والقبر مسكنه والبعث يخرجه   وانه بين جنات مزخرفة
يوم القيامة أو نار ستنضجه   فكل شيء سوى التقوى به سمج   ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا   لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذاهى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم   غلب الرجال فلم تنفعهم القلل   واستنزلوا من أعالى عز معقلهم
فاسكنوا حفرة يابئس مانزلوا   ناداهموصارخ من بعدما دفنوا   أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة   وكان من دونها الاستار والكلل   فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل   قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا   فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته فلم يجد إلا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا إلا رغيفين فأكلاهما ثم مروا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاآ قرية فدعا عيسى ربه أن ينطلق لهم من يخبره عن حال هذه القرية فانطلق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمروا على وجوههما حتى انتهيا إلى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمروا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا بإذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه اضمر لصاحبيه السوء وقال اجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها .

وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سابن نواس خدمت عيصو ابن اسحق بن إبراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور احبابه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الاجلاف الجفاة يستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان

فثاب إلى عقلى وفى المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه حركة فقال لى ياخالد منذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا ياأمير المؤمنين قال أنت وصفت فى آخر دخلة لى من أمر النساء والجوارى مالم يطرق سمعى قط كلام أحسن منه فأعده على قلت نعم ياأمير المؤمنين أعلمك أن العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان إلا كان فى ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا فى حديثك قلت نعم ياأمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كاثافى القدر تغلى عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لاخصى لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعت منك من هذا شيئا قط قال خالد بلى والله ياأمير المؤمنين وعرفتك أن بنى مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك إلى الاماء والسرارى قال خالد فقال لى أبو العباس

ويكثر الهزيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش ذليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على منارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعظمهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت أذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كالحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم ... يوفون بالعهد مذ ماتوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها ... ترنم المجد بين الجود والكرم
(وقيل فى المعنى) بالله ربك كم قصر مررت به ... قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه ... وصاح من بعده بالويل والحرب
(وفيه) أيها الرافع البناء رويدا ... لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) أن رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الأرض وأنتم عنها زائلون وإلى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا إن كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وماهما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على الله وترك القصر والدنيا . وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شيء رأيته أنى مررت بمدينة لم أر على وجه الأرض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحداً أسأله وإذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة مررت بها وإذا موضع تلك المدينة بحر وإذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه وإذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت إلى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الأولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا

ويحك أتكذبنى قلت أفتقتلنى ياأمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر قائلا يقول صدقت والله ياعماه هذا الذى حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراودان فى أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لى تقول لك أم سلمة إذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البدائع) ما يحكى أن السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشارت عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوى فأمر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ماطلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الأمير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ماأرد سائلا هاتوه أحسنت والله ياصلاح الدين فأكله كان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكى انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه إبراهيم كان دائما يتهم به وكان بعض

الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الأرض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالدار فهذه آثارهم — تبكي الى حبه حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل اهلها — عن حالها مترجيا أو مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها — فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم) أيها الربيع الذي قد دثرا — كان علينا ثم أضحى أثرا — أين سكانك ماذا فعلوا
خبرن عنهم سقيت المطرا — فلقد نادى منادي دارهم — رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فالذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما — بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية — لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها إلا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض — على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوب على قصر باد أهله

هذي منازل اقوام عهدتهم — في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا — إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ماعدت ماوصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس إلا هالك وابن هالك — وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت — له عن عدو في ثياب صديق

(وروى) أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت إلى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ وهو آخر الأبواب وبه يختم الكتاب)

(ولنذكر أربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)

(الحديث الأول) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ من صلى علي صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في

الأدباء يميل إلى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الأديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فلعلي أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الامير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته في الجواب فأقسم أن لا بد أن أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره إلى مجلسه ونال منه راحة (وذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الادباء (عن محمد بن عثمان بن أبي خيسمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فاشربها — أم من سبيل إلى نصر ابن حجاج
إلى فتى ماجد الاعراق مقتبل — سهل المحيا كريم غير ملجاج

الأرض إلا صلى عليه (الحديث الثاني) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام (الحديث الثالث) قال رسول الله ﷺ من صلى علي مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلي على نبيك (الحديث الرابع) قال رسول الله ﷺ من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى علي ألفا لم يعذبه الله بالنار (الحديث الخامس) قال رسول الله ﷺ من صلى علي مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات (الحديث السادس) قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شكرا (الحديث السابع) قال رسول الله ﷺ من صلى علي في الصباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة (الحديث الثامن) قال رسول الله ﷺ من صلى علي ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة (الحديث التاسع) قال رسول الله ﷺ من صلى علي ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية (الحديث العاشر) قال رسول الله ﷺ من صلى علي في يوم مائة مرة قضيت له ذلك اليوم مائة حاجة (الحديث الحادي عشر) قال رسول الله ﷺ أقربكم مني مجلسا أكثركم علي صلاة (الحديث الثاني عشر) قال رسول الله ﷺ من صلى علي ألف مرة بشر بالجنة قبل موته (الحديث الثالث عشر) قال رسول الله ﷺ جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد إلا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة (الحديث الرابع عشر) قال رسول الله ﷺ الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد (الحديث الخامس عشر) قال رسول الله ﷺ الصلاة علي نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي علي (الحديث السادس عشر) قال رسول الله ﷺ من جعل عبادته الصلاة علي قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة (الحديث السابع عشر) قال رسول الله ﷺ من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة (الحديث الثامن عشر) قال رسول الله ﷺ ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة علي وعلى أهل بيتي (الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم تكن فيها الصلاة علي ردت عليه ولم تقبل منه (الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة (الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب (الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني الصلاة علي من أمتي فأستغفر لهم (الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فأنا بريء منه (الحديث الرابع والعشرون) قال رسول ﷺ يؤخر بقوم إلى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي (الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل إلى النار فأقول ردوه إلى الميزان فأضع شيئا كالأنملة معي في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادى سعد فلان

(الحديث

تنميه أعراق صدق حين تنميه
أتى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدو من عمر اليها شيء فدست اليه أبياتا وهي

قل للإمام الذي تخشى بوادره
مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى لتحجبه
حتى تقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه إلا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه (الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد إلى يوم القيامة إلا بلغنى اسمه وقال يارسول الله أن فلان بن فلانة صلى عليك (الحديث الثامن والعشرون) عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى ﷺ أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح (الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك إلى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبى الأمى ﷺ (الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر إلى اقلاعها فغضب الله عليه وأكسر أجنحته فربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبى ﷺ فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله ﷺ عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاءه مقبول غير مردود (الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال ﷺ صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الحديث الثالث والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فإن صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة (الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه ﷺ (الحديث الخامس والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على (الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه (الحديث السابع والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم (الحديث الثامن والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من أحد يصلى على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه (الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله ﷺ أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة (الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعوه واعطى أمله وأعين على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صلى على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الأنبياء ولا رسولا بالرسالة إلا سيد خلقه محمد ﷺ فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم اعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد ﷺ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل عليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى إذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم

تعالى عنه وقال الحمد لله الذى ذم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر ابن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان بنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدا إلى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج

بسم الله الرحمن الرحيم
سلام عليك يا أمير المؤمنين اما بعد فاسمع منى هذه الابيات

يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره إلا في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد ﷺ ٭ الأول قوله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل لأن سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لأنهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد ٭ الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ٭ الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد ﷺ ٭ الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذي ارسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي أن الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني إسرائيل يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لأنهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وإنما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه إلا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالإيمان للمؤمنين ومبشرا لأهل التجديد ونذيرا لأهل التجحيد وقيل شاهدا لأهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لأهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لأمتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا إلى الله بإذنه أي يدعو الناس بأمر الله تعالى إلى لا إله إلا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله ﷺ نفسه دعيا فقال أنا الداعي إلى وقوله تعالى وسراجا منيرا أي تهتدي به كما يهتدي بالسراج في ظلمة الليل (فان قلت) ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا ٭ فالجواب عن ذلك أن السراج اعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل إليه إلا يدي حتى يقتبسون منه والسراج إذا كان في بلد يملأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته ﷺ ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب إلى جانب البيت ولم يقتبس الناس من مشارق الأرض ومغاربها حتى امتلأت الأرض من نور سراجه فهو ﷺ أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا اسمح ولا اصبح ولا أجل ولا اعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا انصف ولا اعدل منه ﷺ فلو ان البحار مداد والنبات اقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته ﷺ لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا في زمرته وامتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عمن جاء به بحرمتك يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد الامي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا ملوما بتهمة وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي جرمة فالام
فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها وحالي لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل انت راجعي فقد جب مني كاهل وسنام
قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الأبيات قال اما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها راحلته وتوجه نحو المدينة اه (قيل) دخل بعض الشعراء على الأديب جمال الدين بن نباتة فرأى

نحمدك يا من هيأت لكسب الآداب جميع المعدات وفتحت للتحلي بأنوار آياتك سبل الخيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه ورشحت بكمال البيان وإعجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل إن من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الاتباع زهرا ه أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهي رحمه الله وأعلى منزله في دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الأول منه بكتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات لمن اسمه يكفي عن التنويه بشأنه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده في بيانه العلامة تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثاني منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين في الأدب حويا من هذا الشأن لمسرح النظر فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الأدب لعلامة زمانه وفريد أوانه الإمام تقي الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الأجور وثانيهما للفهامة الأديب واللوذعي الأريب الفاضل الشيخ إبراهيم ابن الأحدب رحمه الله من احسانه بكل ما يحب فجاء هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من أسرار الآداب كل معنى على انفراده في بابه شاهد وذلك

بمطبعة المشهد الحسيني لأصحابها أولاد
المرحوم الحاج عبد الحميد أحمد حنفي
في شهر شعبان سنة ١٣٨٥
هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة
وأتم التحية
آمين

في نواحي منزله نملا كثير فأنشد يقول

مالي أرى ومنزلي المولى الأديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا

(فأجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن إذن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعر

اه هذا آخر ما أردت إيراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المفتخرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(هذه فهرست ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الأبواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الأبواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف)

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف ﴾

﴿ فهرست الذيل الأول من كتاب ثمرات الأوراق ﴾

﴿ فهرست الذيل الثاني للثمرات أيضا ﴾

﴿ تمت ﴾